



كل الحقيقة للجماهير

AL-HADAF

الهدف

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الذكرى الخامسة والعشرون لاستشهاد الرفيق القائد الأمين العام

أبو علي مصطفى



عَلَى دَرْبِكَ يَا نَسْرَ الثَّوَرِ



الانتخابات الفلسطينية وخارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني



تتجسد الديمقراطية في الحياة الفلسطينية بتأمين أوسع مشاركة شعبية بالعملية الانتخابية القادمة لاختيار ممثلي الشعب في المجلس التشريعي والمجلس الوطني الفلسطيني، ثم انتخاب الرئيس المناسب للسلطة الفلسطينية (رئيس دولة فلسطين)، حيث يحدد القانون الفلسطيني شرطاً بأن تكون الانتخابات التشريعية والرئاسية متقاربة.

يأتي هذا الاستحقاق الانتخابي رغم الموقف الإسرائيلي المتوقع بمنع أو تعطيل إجراءاتها في مرحلة معقدة وأليمة تشهد استمرار حرب الإبادة والتطهير العرقي والعدوان المستمر على شعبنا في قطاع غزة، واستباحة (ساحقة ماحقة) للضفة الغربية بكل مدنها وقرائها ومخيماتها؛ مصادرة الأراضي، وضمها، واستيطان بلا حدود، وهجمات متواصلة للمستوطنين لتدمير وحرق البساتين والحقول والبيوت وطرد أهلها واقتلاعهم من أراضيهم ومنازلهم، إضافة لحملات الملاحقة والقتل والاعتقال، وفي القدس تتواصل سياسة تهويد وتدنيس المقدسات، والاعتداءات اليومية بهدف السيطرة التامة عليها، وصولاً إلى محاولات التهويد الكامل للحرم الإبراهيمي في الخليل. ويصرّح سموتريتش قبل أيام بأنه سيعمل على بناء أربعين بلدة «يهودية» في الجليل والنقب ضمن خطة التهويد الكامل للمنطقتين، ولن يكون ذلك إلا على حساب شعبنا هناك.

إذ لا يمكن الفصل بين الاستحقاق الفلسطيني الدستوري الانتخابي وبين التحديات والاختار الكبيرة، فهذا يستدعي توفير شروط نجاح العملية الانتخابية التي تضمن المشاركة الحقيقية للجميع، وحشد الطاقات الفلسطينية بتنوعها الوطني والسياسي والثقافي والاجتماعي لمواجهة الأخطار التي تستهدف الإنسان والأرض والوجود والهوية والكيانية والتمثيل الفلسطيني، الأمر الذي يفرض على القوى والفصائل وأصحاب النفوذ العالي عن المصالح الخاصة والحزبية والفئوية والمحسوبية والانحياز إلى المصلحة الوطنية العليا، وتوفير كل مقومات الحياة والعيش الكريم كأولوية لشعبنا، وحماية حقه بالوجود وصون حقوقه وثوابته الوطنية.

تري الجبهة الشعبية بضرورة الوحدة الوطنية، وتغليب منطق التوافق الوطني بدلاً من الاصطفافات والاستقطابات والصراعات الانتخابية التي تفرق ولا توحد، أو التي تصب الزيت على نار الصراعات الداخلية على حساب الصراع الرئيسي مع العدو الصهيوني. إن مشهد الثبات والصمود البطولي لشعبنا، وحجم التضحيات والآلام والمعاناة يدفع الجبهة الشعبية إلى طرح مبادرة وطنية إلى عموم شعبنا وقواه الوطنية الحية والمخلصة، تحت عنوان «خارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني»، وهذا نصها:

1. الذهاب نحو مرحلة انتقالية، تكون أولويتها تلبية احتياجات أبناء شعبنا والدفاع المشترك عن وجوده وحقوقه، وتهيئة البيئة للمهام الوطنية الكبرى عبر حوارات ثنائية وجماعية، بما يسهم في تحضير انتقال منظم نحو نظام سياسي وطني متوافق عليه، يحفظ وحدة الشعب والأرض والقضية.

2. الانتخابات ليست مسألة إجرائية منفصلة، بل يجب النظر إلى الظروف التي ستجري فيها ووظائفها السياسية، وما إذا كانت ستقود فعلاً إلى تجديد الشرعيات وإعادة بناء المؤسسات إذا جرت وفق رؤية وطنية موحدة. أما الذهاب إلى الانتخابات دون توافق وطني وضمانات سياسية وأمنية واضحة، فيحمل مخاطر كبيرة، فيما يمكن بحث مرحلة انتقالية وطنية متفق عليها.

3. ضرورة عقد اجتماع للأمناء العاميين للفصائل والقوى السياسية لبحث القضايا السياسية والأمنية، وأشكال المقاومة، وإدارة الصراع مع الاحتلال، وقواعد الشراكة الوطنية، والتوافق على أسس المرحلة المقبلة، إلى جانب إعادة بناء منظمة التحرير والنظام السياسي الفلسطيني على قاعدة الشراكة الوطنية.

4. الوصول إلى برنامج سياسي مشترك يتمسك بإنهاء الاحتلال، وحق شعبنا في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وضمان حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، فالمرحلة المقبلة تتطلب التوافق على طبيعتها وأولوياتها، وأشكال المقاومة المناسبة، وكيفية إدارة المواجهة مع الاحتلال.

5. يجب أن تشكل تضحيات شعبنا الفلسطيني وصموده المرجعية الأخلاقية والسياسية لأي حوار وطني، وأن يرتقي الجميع إلى مستوى المسؤولية التي تفرضها هذه المرحلة التاريخية، بعيداً عن البحث عن المواقف أو الحصص أو المقاعد، في وقت يتعرض فيه شعبنا وقضيته وحقوقه وتمثيله السياسي لاستهداف واسع وخطير.

6. أي قرار فلسطيني في هذه المرحلة يجب أن يُقاس بقدرته على حماية شعبنا وتعزيز صموده، لا بإضافة مخاطر أو أزمات جديدة عليه، خصوصاً في ظل استمرار الإبادة والتطهير ومحاولات تصفية القضية الفلسطينية، وهناك ضرورة لإعادة ترتيب الأولويات على أساس حماية الشعب وتعزيز صموده ومواجهة مخططات الاحتلال، ومواجهة ما يعيشه شعبنا في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس من إبادة وقتل واقتلاع ودمار وتجويع وتهجير، وما يقاسيه الفلسطينيون في مخيمات الشتات وساحات النضال المختلفة.

7. الانقسام والخلاف بين أي من القوى الفلسطينية لا يمكن معالجتهما بالإقصاء، بل بالحوار والتفاهم الوطني، وصولاً إلى صيغة شراكة تضم مختلف مكونات الحركة الوطنية الفلسطينية.

8. تقريب وجهات النظر بين القوى الفلسطينية، ومنع تحول الخلافات السياسية إلى انقسام أو صراع جديد على الشرعية والتمثيل، يمثلان أولوية وطنية في هذه المرحلة، وشعبنا لا يحتاج إلى مزيد من اللقاءات والوثائق التي تبقى دون تنفيذ، بل إلى حوار متواصل يقود إلى خطوات عملية، وشراكة وطنية فعلية، واستراتيجية موحدة تعيد بناء النظام السياسي الفلسطيني، وتوحد طاقات شعبنا في مواجهة الاحتلال ومخططاته.

تنعي جماهير شعبنا الفلسطيني وفصائل المقاومة الفلسطينية

بكل فخر وطني واعتزازٍ ثوري الشهيد المقاتل البطل



خالد حسين الأمين (فراس)

مواليد مخيم برج الشمالي في 11 آذار 1999، وابن قرية «الذوق» المهجرة قضاء مدينة صفد المحتلة، والذي ارتقى شهيداً على طريق فلسطين، جرّاء العدوان الصهيوني على لبنان، مقدّماً دمائه الطاهرة صفحةً متجددةً في سجل الصمود الأسطوري، ومؤكداً أن التضحية هي الجسر الحتمي نحو الحرية والتحرير

الرفاق في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كانوا الداعم الأكبر بعد إطلاق تجربتنا باسم رابطة العمل الشيوعي



الرفيق فاتح جاموس

حوار مع

عضو مؤسس في حزب العمل الشيوعي في سوريا،
وعضو المكتب السياسي للحزب، والتجمع الديمقراطي الوطني في اللاذقية

◀ أجرى الحوار: محمد أبو شريفة

■ مدير تحرير مجلة الهدف

مناضل ومن طراز خاص..

لم تكن الأثمان الباهظة التي دفعها الرفيق فاتح جاموس من اعتقال وملاحقة على يد النظام البائد، سوى محفز لفهمه لبناء حزبه، حزب العمل الشيوعي في سوريا، وتعميق لتجربته الحزبية، بخلق تجربة خاصة قوامها ائتلاف اليسار الماركسي وغير الماركسي، ومن معتقله آنذاك صاغ مادةً لحزبه تتعلق بانتقال الثورة الفلسطينية إلى الأرض المحتلة.

في سياق علاقته بالثورة الفلسطينية، وبشكل خاص بالحكيم جورج حبش، وتأكيد له دور الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تطوير العمل الحزبي، وليظل الموضوع الفلسطيني في السوية الثورية، ليظهر بقناعته ووعيه لم يتغير تجاه الكيان الصهيوني وسبل مقاومته في فلسطين أو سوريا. لم ينفلق على هويته الحزبية، وهو يتطلع إلى بناء سوريا بناءً تشاركياً متعدداً، انطلاقاً من اعتبارات وطنية وديمقراطية.

الافتتاحية	
1	• الانتخابات الفلسطينية وخارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني
حوار الهدف	
3	• مع الرفيق فاتح جاموس حوار: محمد أبو شريفة
شؤون فلسطينية	
9	• بيان الجبهة الشعبية في الذكرى 25 لاستشهاد الأمين العام للجبهة القائد أبو علي مصطفى
10	• أبرز ملامح «خارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني»
11	• تصريح صحفي: تدمير صرح شهداء «مادما» جريمة صهيونية جبانة
11	• فصائل المقاومة الفلسطينية تنعى الشهيد المقاتل خالد الأمين (فراس)
12	• النكية الفلسطينية: هندسة استعمارية بريطانية-صهيونية
16	• (السردية الفلسطينية) المصطلح الذي يُربك الحقيقة
17	• صبرا وشاتيلا: الجرح الفلسطيني الذي لا يندمل
19	• الوحدة الوطنية الفلسطينية: المطلوب قادة حقيقيين لشعب عظيم
20	• غزة تصنع الحياة
21	• في الهدف: عدنا لنقاوم.. لا لنساوم
22	• رفة بحثية: الضفة تحت مقصلة التهويد والضم وسط صمت النظام العربي والسلطة
شؤون عربية	
25	• العدوان الصهيوني على سورية: رسالة استباقية للجار التركي
26	• هل تنضم سوريا إلى اتفاقية مكة؟ قراءة في المكاسب والمخاطر المحتملة
شؤون دولية	
28	• ترامب.. فرصة العودة إلى مذكرة التفاهم أم (جرسة) الحرب؟
29	• موقف واشنطن والكيان الصهيوني من اتفاق مكة الدفاعي
31	• القوة الناعمة الأمريكية الصهيونية في الشرق الأوسط: حرب شرسة بلا قتال
شؤون العدو	
33	• متغيرات في مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي
34	• هندسة الأزمات: هل يفعل نتنياهو فوضى الانتخابات ليضمن ولاء القائمة؟
36	• الضفة الغربية والقطاع في منظور الانتخابات الإسرائيلية القادمة
37	• الانتخابات الإسرائيلية إلى أين؟
38	• تقرير: كيف ترى إسرائيل مستقبلها؟ قراءة في أخطر مؤتمر أمني بعد حرب 2023
42	• الأونروا في عين الاستهداف الإسرائيلي
دراسات الهدف	
43	• أخطر أشكال الاستعمار عبر التاريخ: الحرب الرابعة من الاستعمار الاستيطاني تجتاح الضفة الغربية
ترجمات الهدف	
47	• لمحات من الصحف العالمية لموضوعات متنوعة ترجمة: نور نواره
رصد الهدف	
48	• اقتربت نهاية الأسطورة الهدف
تقرير الهدف	
49	• فلسطين في شهر آب 2026: وقفْ هُنا للثوار في غزة، وتصعيدٌ متدرّج في الضفة موسى جرادات
شؤون ثقافية	
51	• حوار الهدف الثقافي: مع الشاعر سامر أبو هواس
55	• لقاء الهدف: مع الأستاذ قاسم توفيق
57	• الضمير الأنا الأخلاقي عند الإنسان
59	• مبدعون في المنافي: محمد أسعد نموذج المثقف المشتبك
61	• الفنان التشكيلي غسان كنفاني «قراءة في سيرته ومسيرته التشكيلية»
66	• ليلية عربية خاصة مع حنظلة بن ناجي العلي
68	• العتبات النصّية ودلالاتها في مسرحية «الاعتصاب» لسعد الله ونوس
70	• حين عبرت القضية من الوجدان المغربي إلى الأغنية والذاكرة والمقاومة
73	• محمود درويش: شاعر قضية أم شاعر مناسبات
75	• حين يعيد الإنسان تشكيل ذاته: التحول الجذري من الداخل
76	• المثقف المبدأ
77	• ناجي العلي: المبدع الذي احترق قول الحقيقة
78	• وداعاً سليمان منصور: من مجمل المحامل إلى الشهيد
79	• فلسطينيات: نص مسرحي سوري يعيد ثورة الأبطال
81	• حاتم قاسم حين تصير الأم وطناً والوطن أمّاً
83	• في ذكرى رحيلهما: محمود درويش وسميح القاسم شطرا البرققالة الفلسطينية
85	• شعر: النشيد الذي منع من التصفيق
86	• أمريكا: لعبة الأفق.. لعبة التقوب
88	• فعاليات أكاديمية دار الثقافة الهدف



أسسها عام 1969

الأديب الشهيد

غسان كنفاني

رئيس التحرير

كايد الغول

مدير التحرير

محمد أبو شريفة

المدير الفني

منير الرفاعي

تصميم الغلاف

جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي

أيمن الحسن

الإدارة

حسن شتيوي

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة

مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر

بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:

غزة - بجوار مشفى الشفاء -

نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:

hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن

دائرة الإعلام المركزي

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

■ **احتفلتم في حزب العمل الشيوعي بالذكرى الخمسين لتأسيس الرابطة وحزب العمل الشيوعي، بوجود عدد من الرفاق الذين شاركوا في الحلقات الماركسية والرابطة والمؤتمر الأول للحزب. ماذا تعني لك هذه المناسبة؟**

نعم هذا صحيح، وهو شيء مستحق ومهم لتجربتنا الكفاحية، مع أنه كان بإمكاننا عمل شيء أكثر اعتباراً على الصعيد الوطني وأكثر أهمية وتأثيراً في عملية استنهاض تجربتنا، مراجعة، معاصرة، اكتساب شرعية أعلى وأكثر صلابة في عملية الاستنهاض، والنشاط العلني.

■ **ذكرت في الحفل أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من أكثر الفصائل الفلسطينية التي لعبت دوراً في انتقال الحلقات إلى رابطة، هل تحدثنا عن هذا الدور؟**

ما ذكرته في الحفل هو أكثر أهمية، ومفاده أن الرفاق في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كانوا الطرف الذي قدم الدعم الأكبر والأهم بعد إطلاق تجربتنا باسم رابطة العمل الشيوعي، كان دعماً سياسياً، ولوجستياً ومادياً بوعد الحكيم جورج حبش بطباعة خطنا الاستراتيجي وموضوعاته على شكل كراسات بآلاف النسخ لكل موضوع، والمساعدة اللوجستية أيضاً في تعريفنا برفاقهم على الحدود السورية اللبنانية والاستفادة من إمكاناتهم في نقل الكراسات، وهناك العديد من القضايا الأخرى الهامة.

أما دور الجبهة في تطوير العمل الحلقي، فكان عبر عملية تعارف الأشخاص السوريين المتطوعين في الجبهة على بعضهم، كما حصل هذا الأمر أيضاً في الجبهة الديموقراطية، وكذلك في فتح، بحيث يسرت عمليات التعارف تلك على تحفيز ظاهرة الحلقات وانتقال اهتمامها تركيزاً على سوريا وتطويرها حتى إطلاق الرابطة.

■ **يذكر الباحث ثائر ديب أن الراحل جورج حبش، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بسبب اطلاعه على حقيقة، الحلقات والرابطة والموقف في القضية الفلسطينية والجولان، طلب في بداية العام 1977 لقاء مع وفد من الرابطة عُقد في آذار/مارس، لنفاجئ بعرض صريح منه بأن تقدم الجبهة لنا كل مساعدة من أجل الاستعداد للعمل الفعلي لإطلاق العمل المسلح لتحرير الجولان. ماذا حصل في هذا اللقاء الخاص مع الحكيم؟ ومن هو الوفد من الرابطة؟ وهل تكررت اللقاءات وأسبابها؟**

بعد التدخل السوري في لبنان\حزيران ١٧٦، وتشكيل جبهة الرفض انتقل رفاق الجبهة الشعبية إلى العمل السري في سوريا، ومع إطلاق الرابطة عاش عدد مهم من كادر التنظيمين مع بعضهم في مكانين مشتركة، بالتالي حصلت عملية تعارف أكثر عمقاً وتحديداً، خاصة في ميادين القضية الفلسطينية ومركز النضال فيها والقضية القومية وجدلها الخاص وطابع السلطة السورية والموقف منها ومن تدخلها في لبنان، في ذلك الجو طلب الحكيم جورج وفداً من الرابطة للتعارف والحوار وقضايا الدعم الممكن.

وبالفعل رحبت قيادة الرابطة وشكلت وفداً من ثلاث رفاق كانوا (عباس عباس أبو حسين، فاتح جاموس، والرفيق هيثم العودات)، وهو لا يزال رفيقاً قيادياً في الرابطة.

وحصل اللقاء مع أواخر آذار ١٩٧٧ في بناء عمليات الجبهة مكتب الحكيم، وفوجئنا فعلاً بطلب الحكيم أن تفكر الرابطة جدياً بقضية تحرير الجولان المحتل من قبل الكيان الصهيوني، وقدم تحليلاً حول العمل الموحد وأهمية قيام جبهة تحرير شبيهة بالجبهة الشعبية في الحقل الفلسطيني، وأكد أن الجبهة جاهزة لتقديم كل دعم ومساعدة لجعل الفكرة برنامجاً وصيغة تنظيمية، بين جبهة لتحرير الجولان وتنظيم الرابطة بقيادتها.

للق فوجئنا تماماً بطلب الحكيم ودعوته الجادة، خاصة وإن الأمر كان بعيد الاحتمال في حساباتنا كتنظيم في أول عمره، بالتالي لم يكن لدينا جواباً مسبقاً أو

محددًا، ورحنا نتساعد عفويا في الإجابة بالتركيز مثلاً على أن الخبز اليومي للنظام السوري في وجوده هو القضية الوطنية والتناقض مع الكيان ولا يرضى ولا يسمح بأي طروحات نقدية تكشف حقيقة موقفه وسقفه، ولا يسمح بممارسات راديكالية فيها من قبل أي طرف سوري ومستعد للقمع الشديد فيها ربما أكثر من التحريض على طبيعته.

وكذلك بأننا تنظم حديث العهد طري العود وعمليات القمع ستؤثر عليه بقوة، وكنا واضحين بأن الأمر فاجئاً تماماً، ويحتاج أيضاً لحوار من قبل الهيئات القيادية في الرابطة وموقف رسمي.

في تلك اللحظات تماماً من الاجتماع عرفنا أن هناك رفيقاً سورياً من الرابطة يريد رؤيتنا، وعندما دخل الرفيق، كان المرحوم أبو عبود نهاد نحاس ويحمل معه رسالة مشفرة حول حملة اعتقالات واسعة على تنظيمنا، فانقلب الجو وتضامن الحكيم معنا بشدة وتوقف الحوار وقمنا باستعدادات العودة إلى سوريا للمشاركة في الترتيبات التنظيمية والسياسية.

بالطبع استمرت اللقاءات مع الرفاق في الجبهة الشعبية وتطورت عمقا مع مشروع الكراسات وموافقة الجبهة على استقبال رفاقنا المتخفين بسبب حملات الاعتقال استقبلهم في معسكراتهم أو البيوت في بيروت، وهكذا حتى مؤتمر حزبنا الأول في لبنان، واعتذار رفاق الجبهة عن مسؤولية التكفل الأمني واللوجستي به، وذلك تحت ضغط التطورات والاتجاه الساداتي فيها، وتشكيل تحالفات جديدة لمواجهة الساداتية، وبالتالي كما أوضح لنا الحكيم برسالة خاصة واللقاءات اللاحقة حول خطورة هذه التطورات وأهمية الساحة السورية للعمل الفلسطيني.

وردنا بأنه يمكن بناء علاقة ثنائية ونحن في معارضة السلطة السورية مع بقائها علاقة رفاقية فعلية.

■ **لرابطة كراس خاص بعنوان «المسألة الفلسطينية»، وهذا يوضح أهمية القضية الفلسطينية للرابطة في أوساط سبعينيات القرن الماضي. كيف قاربت الرابطة القضية الفلسطينية في تلك المرحلة؟ وتقييمها؟**

اعتقد أن موقف الرابطة في سوريا والمنطقة كان في الخط الأول الأكثر راديكالية على الصعيد الأخلاقي والمفهوم والسياسي في القضية الفلسطينية كان الموقف الذي صاغته رابطة العمل الشيوعي في سوريا، خاصة حول طبيعة مشروع الكيان وخلفه الغرب الامبريالي، وإن هزيمة هذا المشروع الاحتلالي الاستيطاني العنصري التهجيري

غير ممكنة إلا بعمل كفاحي تحرري ثوري، منطلقه إسقاط إحدى دول الطوق في يد القوى الوطنية الثورية وجعلها ساحة وحائط استناد في الكفاح الفلسطيني.

كذلك كان موقفنا في قضية الجولان، بدوره راديكالياً على الصعيد النظري المفاهيمي، لكنه لم يتحول ولا في مرة واحدة إلى حوار جدي في الوسائل الكفاحية المطلوبة وتحويل ذلك إلى برنامج ومهمات.

مع محاولات الحكيم جورج ذلك، هكذا حتى مؤتمر الحزب في آب 1981 وبرز محاولة مختلفة وذات طابع عملي. هذه المرة بطرح عملي على الحكيم من قبل احد قياديي الرابطة والاتفاق المشترك معه على تقديم مشروع للحوار حوله في المؤتمر وذلك على الرغم من التراجع العام في مستوى العلاقة.

بالطبع حصلت تغيرات دراماتيكية شديدة الوقع في القضية الفلسطينية وخاصة بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان. وما حصل للمقاومة الفلسطينية والصراعات داخلها وانتقامات الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة وانتفاضة أيلول ١٩٨٧.

والطروحات الموازية حول مركز العملية الثورية في القضية الفلسطينية، لم يأخذ كل هذا وغيره من التطورات على قضايا رئيسية حقه في المراجعة الحزبية المركزية غدت شروط القمع الواقع على حزبنا أكثر خطورة وتأثيراً، بالتالي توقفت المؤتمرات المركزية وكل ما هو مرتبط بها من مراجعات ولحظ شروط التطور بقي الأمر مقتصراً على مراجعات فردية في المعتقل وبعده.

لكن وعلى الرغم من إمكانية رصد مراجعات داخل المعتقل ومع الحرية من قبل عديدين من الرفاق النخب إلا أن الموضوع الفلسطيني، وكما اعتقد بقي في السوية الثورية التي تليق بهذه القضية.

■ **حملت إلى مؤتمر (الرابطة/الحزب) الأول مشروعاً خاصاً بالعمل المسلح في هضبة الجولان السورية، وخسر هذا المشروع في ذلك المؤتمر، بالتصويت الديمقراطي. حبذا لو توضح لمجلة «الهدف» والقراء: ماذا حدث بعد 25 عاماً على هذا الحدث؟**

في أواسط عام 1981 وبعد الانتهاء من إعداد الوثائق، وقرار قيادة الرابطة بعقد مؤتمر مركزي. وتحديد لبنان مكانه لاعتبارات تتعلق بحالة احتياطات الحد الأمني الأقصى للمؤتمر والرفاق الممثلين. وكلفت بمتابعة وترتيب هذه المهمة بما يلزمها في لبنان. ودائماً بالتشاور والقرار الجماعي للقيادة.

وهذا ما سمح لي بالتواجد لأيام كثيرة في لبنان، ولقاءات عديدة مع الحكيم جورج على الرغم من انشغاله في تلك الأيام بكتابة تقرير لأحد مؤتمراتهم. ولعدة لقاءات ومحاولاتي وسبلي الحوارية أن تتبنى الجبهة المؤتمر كما ترغب قيادة الرابطة، فقد رفض الحكيم ذلك، ووافق حصراً على موضوعين، الأول هو التعهد المادي بتكاليف المؤتمر والثاني استعداده الشخصي لسماع وجهة نظري بخصوص التقدم إلى المؤتمر من قبلي شخصياً بمشروع حول الجولان والكفاح المسلح وان يعطي الحكيم موافقته على الدعم السياسي واللوجستي الكامل وأن يذكر هذا بشكل صريح في عرضي لورقتي الخاصة، حتى لو فشل أن يكون مشروعاً للهيئة المركزية كما حصل فعلياً، وبقي مشروعاً خاصاً بي، أي مشروع أقلية كما نسميه تنظيمياً..

وتركز جهدنا لتحقيق رغبتنا أولاً أن يوافق الرفاق في الجبهة الشعبية على ذلك من بين حلفائنا اللبنانيين الكثر.

وعندما رفض الحكيم فكرة تأمين مؤتمراتنا، ركزت بدوري على إقناعه بمشروعي مذكرة بطرحه القديم علينا، وإن الشروط القائمة والمحتملة قريباً خاصة الاحتمال الكبير جداً بقيام الكيان الصهيوني في اجتياح لبنان قريباً.

ما سيخلق ساحة نضال مسلح واحدة وإن هناك ضرورة لملء هذا الفراغ في سورية، فلا وجود لهذه الظاهرة وذكرت له تقديري بالعينة لنسبة وجود الشباب السوريين المتطوعين في فصائل المقاومة، لغياب

هذا الأمر في سوريا. وشرطت الأمر في مشروعني، بقبول إحدى قوى المعارضة الوطنية الأساسية في سوريا كالاتحاد الاشتراكي أو المكتب السياسي أو البعث الديموقراطي، قبولها بذلك المشروع ودعمها السياسي كحد أدنى له، كذلك شرط اللحظ الايجابي أو موافقة إحدى دول المنظومة الشيوعية العالمية عليه حتى ولو خارج الصيغ العلنية.

ووعد الحكيم أن يساعد في ذلك، وفي حينه كانت علاقتنا التعارفية والحوارية المشتركة قد انفتحت مع المنظومة السوفييتية عبر البلغار إذ كان دورهم الحزبي السياسي أشرفي في سورية بعد قرار ضممني في المنظومة بفتح حوارات مع اليسار الماركسي الجديد على الرغم من تلك العلاقة الأصلية والمميزة مع الحركة الشيوعية التقليدية، وصغت كل ذلك بصورة مكثفة في نهاية حواراتي مع الحكيم.

وأخيراً وافق على أن تلعب الجبهة الشعبية دوراً داعماً أساسياً في كل ذلك، والمطلوب قرار بالموافقة في المؤتمر على أن أتابع دوري في ذلك.

وفي تنظيم جدول العمل والموضوعات والوقت حددت لجنة تنظيم المؤتمر خمس ساعات لنقاش المشروع والتصويت عليه.

بدأ النقاش بعرضي للمشروع، وكنا في وضع من الشعور بالمسؤولية والرهبة والهيبة والهذوء والترقب والخوف.

بنهاية الحوار، وقبل التصويت انسحبت مجموعة رفاق يحسبون أنفسهم على تيار الأممية الرابعة التروتسكي، إذ كان هذا مسموحاً على النطاق الحزبي الداخلي انسحبوا لعدم موافقتهم على فكرة المشروع بتغيير تكتيكات النشاط عموماً بين الجبهة لتحرير الجولان لتكون جبهة شعبية ولبست نخوية، وبين ما هو خاص بالحزب.

وبالتصويت الرفاقي الحر كانت النتيجة أن نصف الرفاق صوتوا بنعم ونصفهم الآخر بلا، وبإعادة التصويت في هذه الحالة عادت نفس النتيجة.

وكانت النتيجة برسوب المشروع عملياً وحق متابعة الحوار حوله من قبل المركزية في المستقبل أن أراد صاحبه، وتقدمت بطلب صدور قرار من الحزب بالاشتراك الواسع بالتطوع الرفاقي مع المقاومة في

قناعتي لم تتغير تجاه الكيان الصهيوني ووسائل مقاومته في فلسطين أو سوريا أو لبنان

حال حصول اجتياح صهيوني، وهذا ما حصل.

واعتقلت في ٢٨ شباط ١٩٨٢، وحصل الاجتياح الإسرائيلي على نطاق واسع وخطير، وبقيت جبهة الجولان صامتة إلا من بعض عمليات محدودة لرفاق الجبهة الشعبية بالاشتراك الضيق مع فعاليات أخرى إنما غير سورية.

وبالمصادفة، تمكن الرفيق راتب شعبو من الحصول على مشروع بخطط يدي من أرشيف أوكسفورد بينما كان ينجز كتابه عن حزب العمل الشيوعي، وأرسل لي صورة عنه، وبالطبع عرفنا كيف وصل إلى هناك، وغير مهم حقاً الكتابة عن ذلك.

واسمح لنفسي بتعليق صغير أو بوح ذاتي، بأن وعيي وقناعتي لم تتغير تجاه الكيان الصهيوني ووسائل مقاومته في فلسطين أو سوريا أو لبنان واستعدادي العملي للتطوع في ذلك لو برزت شروط موضوعية وذاتية مناسبة وقوة قادرة وذات أرادة بالتغاضي مبدئياً عن الايديولوجيا، فأنا أعتبر أي قوة تواجه الاحتلالات لتحرير الأرض خاصة في حالة الكيان الصهيوني هي قوة وحركة تحرر وطني.

كل ذلك مع معرفتي الآن بصعوبة الشروط كمستوى اليمينية الصهيونية، والدعم الأمريكي لها، بالتالي الغربي ومستوى نجاحات الصهيونية في المنطقة وتمررها بالشعب والمذل، وتراجع فكرة المقاومة بشكل عام، والتحول الخطير في التناقضات والصراعات، ليصبح وعي وإرادة مقاومة الكيان في الدرجة الثانية.

■ **ساهمت الجبهة الشعبية في طباعة كراسات الرابطة في لبنان. كيف تمت هذه المساهمة؟**

كانت مساهمة الجبهة الشعبية في التبرع لنا بالإعداد الفني للكراسات في دار الهدف وتكاليف طباعتها الكبيرة في مطابع صديقة داخل الحركة الوطنية اللبنانية والمساعدة عبر خبرة رفاقهم بنقلها إلى سوريا كانت مساهمة كبيرة وفعالة في تحويل قناعاتنا بموضوعية رابطة العمل الشيوعي كظاهرة ثورية خارج الحركة الشيوعية التقليدية، وما يميزها ويحددها، كخط نظري وسياسي استراتيجي حول تلك القناعة إلى تأثير واسع وسط النخب اليسارية على الرغم

من كل عمليات الاتهام والتحريض السلبي والتشكيك، خلق شكل الكراسات ومحتواها وعملية توزيعها بعد نقل قسم كبير منها إلى سوريا، خلق تأثيراً دعائياً كبيراً وإعجاباً بروح التنظيم الجديد.

وفي ذلك اللقاء مع الحكيم جورج وقبل أن يطرح علينا فكرة الكفاح المسلح للمساهمة بتحريره، كنا قد تقدمنا بمجموع طلبات تم الاتفاق عليها في قيادة الرابطة، أهمها التبرع بطباعة الكراسات، ووافق الحكيم جورج على ذلك وأحال تنفيذ الأمر فنيا لدار الهدف التي كانت بإشراف عضو المكتب السياسي للجبهة الرفيق بسام أبو شريف، والاتفاق مع أصحاب مطبعة هم يطبعون فيها بصورة تجارية.

وبعد استيعاب حملة الاعتقالات الأولى الواسعة، والاستقرار التنظيمي النسبي، شكلنا لجنة للصياغة النهائية في الشكل اللغوي والتدقيق والضبط النهائي في المحتوى الذي كان قد مر بعمليات عديدة في الكتابة والحوار والتصويب واستكمال موضوعات الخط الاستراتيجي، بدءاً من الاجتماع الأول الموسع للحلقات الماركسية والثاني والإقرار في الثالث مع إعلان الرابطة.

وما بقي بالتالي هو الصياغات اللغوية النهائية والتدقيق في المفاهيم، وكتابة كراس لماذا رابطة العمل الشيوعي في سوريا، الذي كان المحتوى الأساسي له قد تحدد عموماً في الاجتماع الثالث دون نص مكتوب ببقية الموضوعات.

ولا بد هنا من التنويه وبسبب كثرة التفاصيل وابتعاد الزمن، والدوافع الذاتية التي تعمل بقوانينها أحياناً كثيرة، التنويه إلى حصول إمكانية خطأ أو نقص أو نسيان تفصيل ما فالأمر يستحق الاعتذار المسبق.

وكما ذكرت أسماء رفاق وفد الرابطة للحوار مع الحكيم وما جرى في اللقاء بصورة أساسية فإنني أيضاً أتجاوز التقليد القديم المتفق عليه بعدم ذكر أسماء الرفاق

وأدوارهم في القضية الفلانية أو تلك لأذكر أن اللجنة قد تشكلت من الرفيق أصلان عبد الكريم وفاتح جاموس والرفيق هيثم العودات.

وكان دورهم ومسؤوليتهم تجاه النصوص النهائية للموضوعات، وشارك في ذلك جزئياً الرفيق المرحوم أحمد جمول بعد سفره إلى لبنان في رحلة نهائية لتطبيق العمل التنظيمي بسبب خلاف مع هيئات الحزب حول تجاوزها للمهمة المركزية الدعائية إلى المهمات السياسية ذات الطابع التحريضي.

وكان بطبيعة ذا خبرة داخل الحلقات وساهم أيضاً في عمليات حوارية حول الموضوعات، وسارت مهمة اللجنة بسهولة معقولة في بيروت ببيت لرفاق الجبهة الشعبية كانوا قد قدموه لنا لحاجاتنا التنظيمية والعلاقات، العامة وإقامة رفاق متخفين.

اعتقد انه غدا مفيدا ربطا بموضوع الطواقم القيادية وأدوارها ومسؤولية كل رفيق تجاه مشروعنا الكفاحي سلباً أم إيجاباً.

والخيارات الجديدة والمراجعات من قبل هذا الرفيق القيادي أو ذاك، مع الاحترام الكامل للحق الشخصي في أي خيار لأي رفيق.

وأنتجاوز التقليد القديم لنفس الأسباب لأذكر انه كان للرفيق يوسف عبد لكي الدور الكلي في إكساب شكل الكراسات قيمة فنية ورمزية عالية بتصميمه للغلاف والشكل العام الموحد للكراسات.

وتابعت من جهتي بعد انتهاء أعمال اللجنة خطوات الإخراج في دار الهدف، وكذلك الطباعة والعلاقة مع أهل المطبعة والضبط، والتدقيق الأمني، فمشروعنا كبير وحساس، الكثير من قضايا الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية مكشوفة. وكامل وضعنا ونشاطنا مختلف بصورة شاملة بالمعنى الأمني وضرورات الحذر والسرية والدقة.

ونحن في سوريا، وتنظيمنا سري ومتابعة السلطة السورية وقمعها لنا مختلف في العمق. كما لم يعد سرا مهما عدم ذكر الدور الايجابي لأصحاب المطبعة الرفيقتين الشيوعيين جورج حداد ومصطفى قانصوه

(هو غير قانصوه القيادي البعثي اللبناني) فاستجابوا لطلبنا حول الدقة الأمنية في الطباعة والتجميع وتقديم مكان للتخزين، كما أصروا على تقديم مساعدتهم لنا بطباعة خمسمئة نسخة إضافية من الكراسات كهدية مضافة لهدية الجبهة الشعبية.

ولا بد في هذا السياق، من ذكر الدور التنفيذي الإداري الإشرافي لمديرة المطبعة الرفيقة السورية (ليلى بالاسم المتداول)، وحيدة بدره من بانياس كاسم فعلي.

إذ أعجبت بنشاطنا وعملنا وطلبت بعد حوار الانضمام لصفوفنا وأشرفت بدقة وحذر على المشروع داخل المطبعة، والتكثيف عليه وانجازه بسرعة ودقة، وصار المشروع في مرحلة التوصيل إلى سوريا.

وهنا أيضاً كان دور رفاق الجبهة الشعبية كبيراً، وعموماً حصرنا كل التفاصيل اللوجستية بيد رفاق قياديين، وهكذا كان دور بعض الرفاق القياديين في الرابطة كبيراً وشجاعاً جداً في انجاز ذلك العمل، ومحاولات نقله براً أو بحراً أو عبر عدد من رفاقنا العسكريين يستحقون ذكر أسمائهم (أبو يوسف جريس التلي، أبو جهاد من دير الزور، أصلان، فاتح، ونزيه نحاس).

كما ساهم رفاق جبهة التحرير الفلسطينية بصورة جدية بتقديم كل مساعدة لنا في مخيمات طرابلس.

■ **مع عودة حزب العمل الشيوعي في العام 2003. كيف تم العمل على ملف القضية الفلسطينية في الحزب تنظيمياً وإعلامياً وسياسياً؟**

في الجوهر لم تجري أي تغيير في موقفنا من الكيان الصهيوني ومشروعه والتأكيد على حق الشعب الفلسطيني في استخدام كل الوسائل المشروعة، بما فيها المقاومة المسلحة للاحتلال، واستعادة الأرض وحق العودة، والدولة المستقلة أو الدولة الديمقراطية حقاً، والتعايشية بعد التصفية العميقة لأهم سمات المشروع الصهيوني.

من جهة أخرى بالنسبة لي ومن داخل المعتقل صفت وهربت مادة للحزب تتعلق بانتقال مركز الثورة الفلسطينية إلى الأرض المحتلة، بالتالي ضرورة مراجعة موقف حزبنا القديم المتعلق بأن مركز الثورة هو في إحدى دول الطوق.

كما طرحت على صعيد مفهومنا للحزب المركزي في سوريا أن نلحظ من جديد أهمية الخصوصية الفلسطينية والكردية في سوريا بمنظمات خاصة، ومهام خاصة في أطار العمل والبرنامج المركزيين وكان طبيعياً، أن أتفاعل مع رفاقي بتلك المفاهيم بعد إطلاق سراحي، وإعادة نشاط حزب العمل.

وحاولنا استعادة تحالفاتنا القديمة مع القوى الفلسطينية الثورية، بشكل خاص الجبهة الشعبية والديموقراطية وبعض أطراف يسار فتح.

لكن كانت قد تغيرت الكثير من الوقائع، والنظام السوري قد فتح آفاقاً واسعة لنشاط حماس في سوريا على حساب بقية القوى، وتركيز القوى على النشاط في الأراضي المحتلة، وحسابات رد فعل السلطة السورية على علاقات متطورة مع حزب العمل.

كل ذلك جعل استعادة العلاقات وتطويرها صعباً وغير ممكن وللحق كانت مسؤوليتنا في ذلك من الدرجة الثانية، بقيت المودة وبعض التعاون وتحمل مسؤولية تقديم فرص عمل(أعلامي، صحافي ثقافي لعدد من الرفاق كانوا يستحقونه بامتياز بحكم خبرتهم وقيمة موقفهم في القضية الفلسطينية).

ولا يزال الشرط يفترض ضرورة النشاط السياسي المعارض العلني العقلاني والسلمي بخاصة والصريح لتكوين حالة اعتبار وطني نافذة، ولهذا عدة سويات، أولها وأهمها قيام أوسع جبهة وطنية ديموقراطية، والتخلي من منطق النخب المكثفة بذاتها والمعتقدة أنها على صواب أو فاعلة.

المهم هو بدء الاجتماع والحوار في موضوع، وعنوان واحد، الوقائع السورية وما تفترضه من ضرورة تحقيق جدل السلطة المعارضة، واكتساب شرعية الوجود كقوة تعمل على التغيير الديموقراطي مع أرادة استمرار الاجتماع والحوار، هنا مطلوب التحلي بالمرونة العالية وروح

ما الذي يمنع قيام حوار حول الوقائع السورية لكل الفعاليات والتحالفات اليسارية؟!

الاستعداد للتنازل، وروح تطوير التحالفات القائمة وتحويلها إلى تحالف واحد.

كل هذا ضروري جداً وفوري، فالتطورات السورية القادمة أكثر خطورة والشروط تتغير إلى المزيد من ضبط النشاطات المعارضة.

والسوية الثانية: هي الاهتمام بوضع اليسار، وتطوير تفاعله باتجاه وحدته أو تحالفه وإدارة تناقضاته، ليلعب دوراً نواتياً في التحالف الوطني الديموقراطي العريض، من الضروري بمكان أن يكون يساراً معاصراً يركز على قضية التأثير

والنفوذ الشعبي ووسائل ذلك. والتركيز على الصيغ الديموقراطية الأكثر نضجاً وتأثيراً على صعيد العمل التحالفي والحزبي أو الصعيد المجتمعي والسياسي.

■ **بعد السقوط، عملتم على تشكيل التجمع الوطني الديمقراطي في اللاذقية. ما هو الدور التنظيمي والسياسي لهذا التجمع؟**

تجمع القوى الوطنية الديموقراطية الذي يضم غالبية القوى والشخصيات الوطنية الديموقراطية، انجاز مهم جدا بحد ذاته خاصة على صعيد تحفيز التحالفات الإطارية القائمة على وحدة العمل والمهام والارتقاء التأطيري.

ويسعى باقتراحات نشطة في ذلك السبيل، لكن وحتى الآن لا يزال تأثيره نخبويًا ولم يتحول إلى فاعل سياسي اجتماعي كما تفترض الضرورة، حتى لم يبدأ ممارسات عملية متاحة لوضعه في حلقة الفعل السياسي والمجتمعي الشعبي الديموقراطي والوطني، هذا حقل شاغر، ويفترض انه للتجمع.

■ **في مجال النشاط المدني، كان هناك أكثر من ندوة سياسية واجتماعية، وأطلقتم منتدى الشهيد محمد عبود الذي استشهد في أقبية الأمن السياسي في اللاذقية، ما هي آلية عمل المنتدى والنشاطات القادمة؟!**

كل ذلك حصل حقاً، لكننا وحتى الآن لم ننجز حقلاً وحواراً يليق بالشهيد محمد عبود وبقية شهداء الحزب والحركة الوطنية المعارضة للنظام الديكتاتوري السابق.

■ **تشاركون في عملية استنهاض حزب العمل الشيوعي في سوريا، هل تسير عملية الاستنهاض نحو محطة تنظيمية سياسية؟!**

تصريح صحفي

أبرز ملامح «خارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني»
العناوين الرئيسية ضمن رؤية الإنقاذ الوطني
المقدمة من نائب الأمين العام للجبهة الشعبية



نشرت دائرة الإعلام المركزي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العناوين الرئيسية للرؤية المقدمة من نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الرفيق جميل مزهر، تحت مسمى «خارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني».

ويتضمن النص عدداً من النقاط التي تمثل تلخيصاً لأهم ملامح وعناوين الرؤية السياسية الوطنية، التي تسعى الجبهة من خلالها إلى إيجاد مخرج للأزمة السياسية والإنسانية التي يواجهها شعبنا، والتي تواصل الجبهة إجراء حوار بشأنها مع القوى الفلسطينية الرئيسية، ضمن تحرك سياسي واسع عنوانه استعادة وحدة شعبنا وعمله الوطني المشترك في مواجهة مشروع التصفية والإبادة. بنود خارطة الطريق من أجل الإنقاذ الوطني:

1- الذهاب نحو مرحلة انتقالية، تكون أولويتها تلبية احتياجات أبناء شعبنا والدفاع المشترك عن وجوده وحقوقه، وتهيئة البيئة للمهمات الوطنية الكبرى عبر حوارات ثنائية وجماعية، بما يسهم في تحضير انتقال منظم نحو نظام سياسي وطني متوافق عليه، يحفظ وحدة الشعب والأرض والقضية.

2- الانتخابات ليست مسألة إجرائية منفصلة، بل يجب النظر إلى الظروف التي ستجري فيها ووظيفتها السياسية، وما إذا كانت ستقود فعلاً إلى تجديد الشرعيات وإعادة بناء المؤسسات إذا جرت وفق رؤية وطنية موحدة. أما الذهاب إلى الانتخابات دون توافق وطني وضمانات سياسية وأمنية واضحة، فيحمل مخاطر كبيرة، فيما يمكن بحث مرحلة انتقالية وطنية متفق عليها.

3- ضرورة عقد اجتماع للأمين العامين للفصائل والقوى السياسية لبحث القضايا السياسية والأمنية، وأشكال المقاومة، وإدارة الصراع مع الاحتلال، وقواعد الشراكة الوطنية، والتوافق على أسس المرحلة المقبلة، إلى جانب إعادة بناء منظمة التحرير والنظام السياسي الفلسطيني على قاعدة الشراكة الوطنية.

4- الوصول إلى برنامج سياسي مشترك يتمسك بإنهاء الاحتلال، وحق شعبنا في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وضمان حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، فالمرحلة المقبلة تتطلب التوافق على طبيعتها وأولوياتها، وأشكال المقاومة المناسبة، وكيفية إدارة المواجهة مع الاحتلال.

5- تضحيات شعبنا الفلسطيني وصموده يجب أن يشكلوا المرجعية الأخلاقية والسياسية لأي حوار وطني، وأن يرتقي الجميع إلى مستوى المسؤولية التي تفرضها هذه المرحلة التاريخية، بعيداً عن البحث عن المواقع أو الحصص أو المقاعد، في وقت يتعرض فيه شعبنا وقضيته وحقوقه وتمثيله السياسي لاستهداف واسع.

6- أي قرار فلسطيني في هذه المرحلة يجب أن يُقاس بقدرته على حماية شعبنا وتعزيز صموده، لا بإضافة مخاطر أو أزمات جديدة عليه، خصوصاً في ظل استمرار الإبادة والتهجير ومحاولات تصفية القضية الفلسطينية، وهناك ضرورة لإعادة ترتيب الأولويات على أساس حماية الشعب وتعزيز صموده ومواجهة مخططات الاحتلال، ومواجهة ما يعيشه شعبنا في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس من إبادة وقتل واقتلاع ودمار وتجويع وتهجير، وما يقاسيه الفلسطينيون في مخيمات الشتات وساحات النضال المختلفة.

7- الانقسام والخلاف بين أي من القوى الفلسطينية لا يمكن معالجهما بالإقصاء، بل بالحوار والتفاهم الوطني، وصولاً إلى صيغة شراكة تضم مختلف مكونات الحركة الوطنية الفلسطينية.

8- تقريب وجهات النظر بين القوى الفلسطينية، ومنع تحول الخلافات السياسية إلى انقسام أو صراع جديد على الشرعية والتمثيل، يمثلان أولوية وطنية في هذه المرحلة، وشعبنا لا يحتاج إلى مزيد من اللقاءات والوثائق التي تبقى دون تنفيذ، بل إلى حوار متواصل يقود إلى خطوات عملية، وشراكة وطنية فعلية، واستراتيجية موحدة تعيد بناء النظام السياسي الفلسطيني، وتوحد طاقات شعبنا في مواجهة الاحتلال ومخططاته.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دائرة الإعلام المركزي - 2026/8/27

المطلوبة في مختلف الميادين.

ولا اعتقد أنني الآن سأتجاوز كثيراً في بضعة مقالات سأنشرها قريباً بخصوص الاستنهاض خاصة في موضوع اليسار.

الآن وفي هذه الشروط ببقاء التحالفات القائمة (هيئة التنسيق، تماسك، وتجمع القوى الوطنية الديمقراطية في اللاذقية)، وبعض تجمعات القوى الكردية وهي عديدة أيضاً، مكتفية بذاتها، تتمسك باشتراطاتها، عاجزة أو لا تريد أن تتصرف بمرونة وروح التنازل تجاه بعض وان تكسر فكرة أنها مكتفية بما تفعله دون طروحات تفاعلية جديدة.

ولنتصور مثلاً وجود بعض الفعاليات في أكثر من تحالف، ما الذي يمنع فورا. اجتماع كل الفعاليات والتحالفات اليسارية، وقرار بوعي وإرادة عالية باستمرار العملية، والبداية بحوار حول الوقائع السورية وما تقتضيه علينا.

واعتقد أن الجميع يعرف حق الاستقلالية التنظيمية، وحق الاعتراض المكتوب والمعلن على أي قضية خلافية، فهذا قائم بينها الآن، وبالتأكيد لن يستطيع أحد أجبار أحد في أي قضية بدون موافقته.

لاحظوا قيمة وحيوية وتأثير تجربة حزب العمال البرازيلي، سيكون شيئاً مزعجاً ألا نبدأ فورا هذا العمل، وان نخلق تجربتنا الخاصة، ولا يخف أحد على ذاته وعلى رأيه وتفارق إيديولوجيته، كله مصان بوعي إدارة الخلاف، والتأكد من المهام البرنامجية المشتركة، هي فرصتنا لاكتساب شرعية وجود ونفوذ وطني معارض عقلاني، شجاع، علني، سلمي.

هذا العمل الضروري والهام.

■ **تركز في أكثر من حديث على التحالفات على المستوى الوطني الديمقراطي اليساري، ما رأيك في الصيغة التحالفية الموجودة؟! وهل يمكن أن تتطور التحالفات في سوريا؟!**

نعم أنا مهتم فعليا بقضية اليسار الماركسي منه وغير الماركسي، مهتم جدا بفكرة وإمكانية تعايش إيديولوجيات اشتراكية عدائية مختلفة.

بل قد تكون متناقضة إنما بصورة غير صراعية، إيديولوجيات ونخب قادرة على إدارة خلافاتها، لها أشكال من التنظيم بين الاستقلالية والتشارك في بعض المهام البرنامجية أو المهمة المركزية.

بدأ ذلك في المعتقل متأثراً بتجربة حزب العمال البرازيلي، وسجلت لأول مرة بعض قناعاتي في نهاية مرافعتي المكتوبة والمقدمة لمحكمة امن الدولة، وذلك بعد دفاع شامل عن خط حزبنا، أضفت بعض التطورات في قناعاتي، مؤكداً على أنني لا أزال شيوعياً ساعياً لإعادة بناء حزب العمل مجدداً، وأسعى إلى إكساب حزبنا قيمة وقدرة لتحصيل اعتبار وطني وكفاحي عالي عبر العمل العلني.

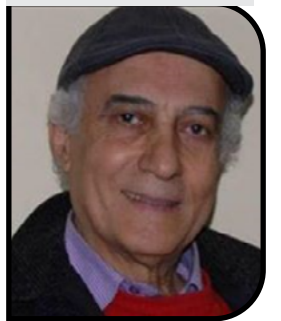
وفي تلك الأيام لم أتمكن أبداً من إقناع قسم مهم من الرفاق القياديين بكتابة مرافعة واحدة، وأسس تفكيرنا للمستقبل كانت تأثيرات المحكمة وفترة السجن وانقطاع العمل الحزبي قطع الطريق على أي عمل جماعي.

وبعد إطلاق سراحي في أيار ١٢٠٠١ شرعت فوراً بإعادة بناء الحزب، وكتبت مادة بعنوان أي حزب وأي حركة سياسية نريد، فيها أهم القضايا النقدية والمراجعات

بالنسبة لي أن عملية استنهاض حزبنا (حزب العمل الشيوعي) لها الأولوية بحد ذاتها، والمسؤولية الأولى في كل ذلك تقع على عاتق الطواقم القيادية بتاريخيتها. وما يجب أن تتحلى به من ايجابية ومشاركة فعالة في ذلك، بسويات وقضايا مختلفة، واغلب الاجتهادات والخيارات الأخرى التي مضى إليها بعض الرفاق، بتنوعها لن يجدوا أبداً أفضل من إطار حزب العمل وتراكم تجربته الكفاحية، والقدرة على لحظ التطورات وعلى المراجعة والمعاصرة، وإدارة وضبط الصيغ الديمقراطية الأكثر رقياً وتطوراً، حتى من قالوا انه ليس لديهم شيء يقدمونه، حتى من يحبون النقد الخفيف والساخر للتهرب، أو يشترطون أشياء شخصية متخلفة، أو يقضون وقتهم على أمجاد شخصية، لن يجدوا أفضل من استنهاض التجربة.

وعلى ذلك الطريق خلقت لجنة العمل التي يشترك بها رفاق المكتب السياسي جواً تحفيزياً حوارياً معاصراً وضرورياً، وكتبت مواد عديدة مهمة في المراجعة ومتطلبات الاستنهاض، ووصلنا مرحلة تحديد الأفق الزمني الذي يسمح لأي رفيق أن يساهم كتابة بما يراه ضرورياً، وجرى حوار في كيفية تنظيم الجهد الكتابي القائم والمحتمل، وحددنا نهاية الفترة لوضع كل ذلك في إطار الشرعية لاجتماع واسع أو مؤتمر، أي منهما سيد نفسه، وهناك أجواء مهمة في ضرورة أن نطلق عملاً تشترك فيه فعاليات اليسار بصورة حقيقية لمن يريد، وتداول صيغ معاصرة لعمل يساري جاد، والمحطة الزمنية لكل ذلك غدت قريبة، أشجع رفاقي ونفسي والفعاليات اليسارية لإنجاز مراجعاتنا المكتوبة، والمساهمة في

فاتح جاموس



عضو مؤسس في الحلقات والرابطة وحزب العمل الشيوعي في سوريا، ويشغل عضوية المكتب السياسي للحزب ذاته، والتجمع الديمقراطي الوطني في اللاذقية، تخرج من كلية الهندسة الميكانيكية في جامعة حلب، اعتُقل في العام 1982، وقضى ما يقارب 19 عاماً في السجون السورية، بشكل متواصل.

قبل الثورة السورية، شارك في حراك ربيع دمشق، ثم في إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي للعام 2005، اعتقله النظام السوري مجدداً في أيار/ مايو 2006، وأُفرج عنه بعد خمسة أشهر، شارك من خلال «حزب العمل» في تأسيس «تجمع اليسار الماركسي» للعام 2007 ونشط من خلاله.

بعد الثورة السورية، شارك في تأسيس «تيار طريق التغيير السلمي» في شباط/ فبراير 2012، وبعد سقوط نظام بشار الأسد شارك في إطلاق التجمع الوطني الديمقراطي في اللاذقية، عن نشاطه السياسي والديمقراطي والوطني.

بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في الذكرى الخامسة والعشرين لاستشهاد الأمين العام للجبهة الشعبية

الرفيق القائد أبو علي مصطفى

«قائد جسد المقاومة قولاً وفعلًا، وتمسك بالحقوق والوحدة الوطنية»

يا جماهير شعبنا الفلسطيني الصامد.. يا أبناء أمتنا العربية.. يا أحرار العالم،

خمس وعشرون عاماً مضت على استشهاد الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الرفيق القائد أبو علي مصطفى، الذي اغتالته صواريخ الغدر الصهيوني في مكتبه برام الله، يوم 27 آب/أغسطس 2001. ظلّ الاحتلال أن اغتياله سيغثال الفكرة ويسكت صوت فلسطين؛ لكنه أخطأ؛ رحل أبو علي شهيداً، وبقي نهجه ومقاومته وكلماته: «عدنا لنقاوم لا لنساوم»، عنواناً لخيار وطني لا ينكسر.

تخلّ الذكرى الخامسة والعشرون وشعبنا يواجه حرب إبادة متواصلة في قطاع غزة، وخروقات وعدواناً واستيطاناً وضماً في الضفة والقدس، وتدميراً ممنهجاً للإنسان ومقومات الحياة، ومحاولات ممنهجة وواسعة لاستهداف الكيانية الوطنية والهوية الفلسطينية، عبر التهجير والتفريغ وتفكيك وحدة الأرض والشعب وتصفية القضية، وصولاً إلى شطب حق شعبنا في العودة وتقرير المصير.

نستحضر اليوم أبو علي نهجاً حياً وبوصلة وطنية مقاومة؛ قائداً لم يساوم على الحقوق، ولم يستسلم للاحتلال، ولم يفرط بفلسطين كل فلسطين، مؤمناً بأن الحرية تنتزع، والتحرير يُصنع بالمقاومة والنضال والتضحيات والصمود، مجسداً المقاومة قولاً وممارسةً حتى الاستشهاد، مؤمناً بأن الوحدة الوطنية تحتاج إلى قيادة جماعية ومؤسسات وطنية قوية وفاعلة؛ لإعادة بناء منظمة التحرير وتفعيل مؤسساتها، وفي مقدمتها المجلس الوطني، بما يضم جميع أطراف العمل الوطني، شرطاً لحماية القرار الوطني وتعزيز المقاومة وصون وحدة شعبنا.

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في الذكرى الخامسة والعشرين لاستشهاد

الرفيق أبو علي مصطفى، وتجسيداً لنهجه وخياره الوطني والكفاحي، نؤكد ما يلي:

1. أن ينخرط كل الجهد الوطني الفلسطيني، بكل قواه وطاقاته، في معركة وقف حرب الإبادة على قطاع غزة، ووقف العدوان والخروقات والتدمير الممنهج، وكسر الحصار وحماية شعبنا، والتصدي الحازم لمخططات التهجير والتفريغ والضم، باعتبار وقف العدوان وإنقاذ شعبنا أولوية وطنية لا تغلو عليها أولوية، ولا تحتل التأجيل.

2. أن المقاومة بمختلف أشكالها حق ثابت ومشروع، وستبقى حاضرة وقادرة على مواصلة دورها مهما اشتدت الظروف والتحديات، ما دام الاحتلال قائماً، باعتبارها خياراً وطنياً أصيلاً لا يخضع للمساومة أو المصادرة. وندعو إلى تصعيد التصدي لجرائم الاحتلال واعتداءات عصابات المستوطنين، وتعزيز المقاومة الشعبية، وتشكيل لجان الحماية الشعبية في الضفة.

3. أن الوحدة الوطنية هي شرط الصمود والانتصار، وأن قوة جميع مكونات شعبنا وحركته الوطنية هي قوة للمشروع الوطني، ولا بد من إدارة الخلافات بالحوار والشراسة، بعيداً عن الصراع الداخلي.

4. أن خطورة المرحلة وتعقيدات الواقع الفلسطيني تفرض إطلاق حوار وطني شامل وجاد، يبدأ باجتماع للأمناء العامين بمشاركة جميع القوى، لإنهاء الانقسام وبناء جبهة وطنية موحدة في مواجهة الاحتلال ومخططات تصفية القضية، وصولاً إلى إعادة بناء مؤسساتنا الوطنية وتفعيل المسار الديمقراطي على أساس الشراكة، وصون وحدة الأرض والشعب والقرار الوطني.

5. أن إعادة بناء منظمة التحرير والنظام السياسي الفلسطيني على أسس ديمقراطية وشراكة وطنية حقيقية، وتفعيل مؤسساتهما وضمان مشاركة جميع القوى والمكونات،

تمثل ضرورة لحماية القرار الوطني وإنهاء التفرد والمحاصصة.

6. أن الوفاء والعهد للرفيق القائد الأمين العام أحمد سعدي، ولرفاقه أبطال عملية «الثأر المقدس» التي جاءت ردّاً على اغتيال الشهيد القائد أبو علي مصطفى، هو وفاء لدماء الشهداء ونهج المقاومة. وتجدد الجبهة عهدها لهم بأوسع دعم وإسناد، ولأسيراتنا وأسرانا الذين يواجهون حملات التنكيل والقمع الصهيوني، مؤكدة أن حريتهم قضية وطنية ثابتة وعهد لا يسقط.

يا جماهير شعبنا،

اغتيال الاحتلال القائد أبا علي مصطفى، لكنه أخطأ حين ظن أن الفدائي يمكن قتله؛ فأبا علي لم يكن جسداً في مرمى النار، بل فكرة تولد وتنمو وتكبر وتستمر وإرادة تتقدم ولا تنكسر، وصوتاً للحرية كلما حاولوا إسكاته اتسعت أصداؤه في فلسطين. مضى القائد، وبقي الفدائي حياً فينا، وبقي دمه عهداً لا يبهت، ووصيته بوصلة لا تنحرف، وبقيت فلسطين كل فلسطين غايتنا النبيلة وحققنا التاريخي الذي لا يُختصر ولا يُجزأ؛ فالتحرير والعودة وتقرير المصير حقوق لا تسقط، والوحدة والمقاومة والصمود طريق لا نبذله، وسنظل أوفياء لدرب الشهداء، نحمل رايته من جيل إلى جيل، حتى تنكسر مشاريع الاحتلال والافتتال والضم والتهجير والتصفية، وتتصير إرادة شعبنا، وتعود فلسطين حرة.

المجد والخلود للشهيد القائد أبو علي مصطفى، ولكل شهداء شعبنا..

الحرية للأسيرات والأسرى كافة.. الشفاء العاجل للجرحى.. وإننا حتماً لمنتصرون.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دائرة الإعلام المركزي - 26 آب/أغسطس 2026

عَلَى دُرَيْكٍ يَا نَسْرَ الثَّوْرَةِ

كَتَبَ الْبَيْتَ الْفَرَسِيُّ الْمِصْطَفِيُّ

الجبهة الشعبية

الذكرى الخامسة والعشرون لاستشهاد الرفيق القائد الأمين العام

أَبُو عَلِيٍّ مُصْطَفَى



تصريح صحفي

تدمير صرح شهداء «مادما»

جريمة صهيونية جبانة
والشهداء فكرة عصية على الكسر والنسيان

تؤكد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن السلوك الإجرامي الهنجاسي الذي أقدمت عليه عصابات المستوطنين، بحماية وإسناد ميداني من قوات الاحتلال الصهيوني، عبر اقتحام قرية «مادما» الصامدة جنوب نابلس وتحطيم صرح شهدائها البواسل، هو جريمة صهيونية جديدة تضاف إلى سجل جرائم الاحتلال ومستوطنيه.

وتعتبر الجبهة أن استهداف هذا الصرح الوطني، الذي يخلد أسماء شهداء القرية، بدءاً من شهداء معركة الكرامة الخالدة، مروراً بانتفاضات شعبنا المتتالية، وصولاً إلى شهدائنا الأبرار، وعلى رأسهم القائدان المقاومان في الجبهة الشعبية، الشهيد الرفيق يامن فرج والشهيد الرفيق الاستشهادي شادي نصار، يعكس حجم الفشل والعجز الصهيوني أمام صمود شعبنا وثباته وتمسكه بذاكرته الوطنية.

وتتشدد الجبهة على أن محاولات الاحتلال ومستوطنيه محو ذاكرتنا الوطنية هي محاولات بائسة ويأبى؛ فالشهداء فكرة راسخة في وجدان الأجيال، والفكرة لا تموت ولا تُهزم. وتؤكد أن أسماء القائد الشهيد يامن فرج، الذي خاض اشتباكاً مباشراً في قلب نابلس، والشهيد الاستشهادي شادي نصار، وسائر الشهداء، ستبقى منارات تضيء طريق المقاومة، ولن يفلح العدو في طمس تاريخهم المقاوم أو اقتلاع حضورهم من ذاكرة شعبنا.

وتؤكد الجبهة أن استهداف الأضرحة والأنصاب التذكارية، إلى جانب استهداف المزارعين والأهالي الأبرياء في أرضهم في عموم الضفة، يجسد الطبيعة الفاشية لهذا الكيان القائم على الإرهاب والتطهير العرقي، واستهداف كل ما يعبر عن هوية شعبنا وذاكرته الوطنية.

وإذ تحيي الجبهة صمود أهلنا في قرية «مادما» وثباتهم وتصديهم لمخططات الاحتلال وعصابات المستوطنين، فإنها تتعهد لأرواح شهدائنا الأبرار بأن تظل وفيه لتضحياتهم، متمسكة بإرثهم النضالي، ومواصلة طريق شعبنا في مقاومة الاحتلال حتى دحره عن كامل التراب الوطني الفلسطيني.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دائرة الإعلام المركزي - 2026/8/25

بيان نعي مقاتل

مشاعلُ الوفاء والتضحية.. وعزيمةُ الثوار لا تنكسر

فصائل المقاومة الفلسطينية تنعى الشهيد المقاتل
خالد الأمين (فراس)

بمزيد من الفخر والاعتزاز، تنعى جماهير شعبنا وفصائل المقاومة الفلسطينية الشهيد المقاتل خالد حسين الأمين (فراس)، ابن مخيم برج الشمالي، الذي ارتقى شهيداً في ساحات المواجهة في جنوب لبنان، ملتحقاً بقافلة المقاومين الذين نذروا أنفسهم لمقاومة الاحتلال والعدوان، ومقدماً نموذجاً في الشجاعة والبسالة والالتزام، ومؤكداً أن وحدة الساحات وتكامل ميادين المواجهة يشكلان رافعةً أساسيةً في مسيرة مقاومة الاحتلال وانتزاع الحرية.

وُلد الشهيد خالد حسين الأمين (فراس) في 11 آذار/مارس 1999، وتنحدر أصوله من قرية الذوق، قضاء صفد المحتلة؛ فحمل فلسطين في قلبه، وقضية العودة في وجدانه، وتمسك بهويته الوطنية بوصفها أساساً راسخاً في مسيرته وحياته النضالية، مؤمناً بأن حق العودة لا يسقط بالتقادم، وأن الانتماء إلى فلسطين يظل حاضراً في وجدان أبنائها، مهما أبعدتهم عنها سنوات اللجوء والاقتلاع.

لقد كان الشهيد المقاتل «فراس» صوتاً للحق في مواجهة آلة العدوان، ومناضلاً جسوراً لم يتردد في بذل ما يستطيع من أجل قضية شعبه العادلة، وظل متمسكاً بخيار المقاومة، وبقيم الوفاء والتضحية والعطاء، حتى ارتقى شهيداً وهو يؤدي واجبه في ساحات المواجهة.

وإن استشهاد «فراس»، وإن كان مصاباً أليماً لأهله ورفاقه وشعبه؛ فإنه سيظل مشعلاً من مشاعل الوفاء والتضحية، ودافعاً متجدداً لكل المناضلين والتأثرين لمواصلة الطريق الذي اختطه الشهداء بدمائهم. وستبقى دماؤه التي روت أرض المواجهة شاهداً على تمسك شعبنا بحقه في الحرية والعودة وتقرير المصير، وعلى أن إرادة المقاومة لا تُكسر، وأن التضحيات، مهما عظمت، لن تزيد شعبنا إلا إصراراً على مواصلة نضاله حتى انتزاع حقوقه الوطنية المشروعة.

إننا في فصائل المقاومة الفلسطينية، إذ نعزي أنفسنا وعائلة الشهيد ورفاقه ومحبيه، نعاهد الشهيد «فراس» ورفاقه الشهداء، وكل من مضوا على طريق المقاومة والحرية، بأن تبقى فلسطين بوصلتنا كل فلسطين من نهرها إلى بحرها، وأن يظل حق العودة ثابتاً في وجداننا، وأن تبقى راية شعبنا مرفوعة، لا تلين ولا تنكسر، حتى تحقيق أهداف شعبنا الوطنية وانتزاع حقوقه كاملةً.

ونؤكد أن قافلة الشهداء لا تتوقف، وأن دماءهم ستظل أمانةً في أعناق الأحياء، تستنهض فيهم الوفاء، وتعزز فيهم العزم على مواصلة النضال، وتذكّرنا بأن طريق الحرية تُعبّده تضحيات أبناء شعبنا، وأن إرادة الشعوب في التحرر أقوى من كل محاولات القهر والاقتلاع والعدوان.

المجد والخلود للشهداء... الحرية لأسيرائنا وأسراونا...

والتحية لرفاق درب الشهيد... والنصر لشعبنا

فصائل المقاومة الفلسطينية - 28 آب/أغسطس 2026

النكبة الفلسطينية:

هندسة استعمارية بريطانية-صهيونية في ضوء الوثائق الاستخباراتية والأرشيفات المفرج عنها

د. سعيد سلام - مدير مركز فيجن للدراسات الاستراتيجية



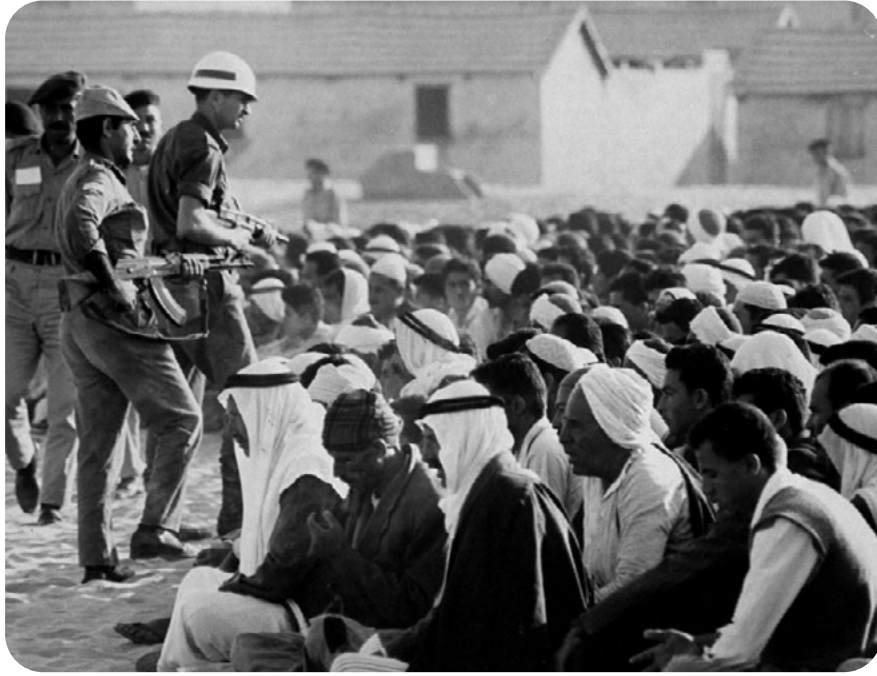
تُقدم الوثائق الاستخباراتية البريطانية التي رُفعت عنها السرية، إلى جانب الأرشيفات التاريخية الحديثة المكتشفة، إزاحة جذرية في الإطار المفاهيمي والتاريخي الحاكم لفهم أحداث النكبة الفلسطينية عام 1948، إذ تتجاوز هذه الوثائق حدود التوصيف الوصفي للوقائع الميدانية لتغوص في تفكيك آليات الهندسة الاستعمارية المعقدة التي أعادت وضع الدور البريطاني في نصابه الحقيقي بعيداً عن السرديات السطحية التي اختزلت في خانة الفشل الإداري العفوي أو الانسحاب الفوضوي، لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه كان تمكيناً استراتيجياً ممنهجاً للمشروع الصهيوني وفق هندسة دقيقة استهدفت إقامة كيان سياسي غريب على أنقاض شعب وحضارة متجذرة في التاريخ والجغرافيا، الأمر الذي يفكك السرديات التقليدية ويثبت أن ما جرى لم يكن مجرد مخاض حرب عابرة، بل عملية تطهير عرقي هندس لها عبر شبكة من التواطؤات الدولية والإقليمية والمؤسسية العميقة.

أثبت الفحص التحليلي للوثائق أن العمليات القتالية التي خاضها الفلسطينيون دفاعاً عن أرضهم، على الرغم من قلة ذات اليد وشح الإمكانات العسكرية، قد سجلت تفوقاً ومبادرات ميدانية عديدة كادت أن ترجح كفتهم، غير أن هذه الإنجازات لم تكن قابلة للاستدامة في ظل عوامل حاسمة تمثلت في النزيف المستمر للذخيرة ونفاذها من أيدي المقاتلين، فضلاً عن التدخل العسكري المباشر وغير المباشر من قبل القوات البريطانية التي كانت ترتدي زي «قوات الانتداب» بينما كانت تسخر قدراتها لإنقاذ المستوطنين المحاصرين، وهو ما قلب موازين القوى الميدانية لصالح العصابات الصهيونية، حيث وثقت تقارير دائرة التحقيقات الجنائية البريطانية حالات متكررة لتدخلات عسكرية سافرة لم تقتصر على فك الحصار عن المستوطنات، بل تعدتها إلى التجريد المنهجي للفلسطينيين من أسلحتهم الفردية والدفاعية، مما خلق اختلالاً بنيوياً تمثل في إيجاد فراغ

قوة تام لدى الجانب الفلسطيني في مقابل تخمة قوة وبنية تسليح فائقة لدى الجانب الصهيوني عشية الانسحاب الرسمي، لتتضح المعالم الكبرى للدور البريطاني بوصفه المهندس الخفي الذي صمم ميزان القوى العسكري وحسم المعركة جوهرياً قبل إطلاق رصاصة النهاية.

وفي السياق الميداني ذاته، فإن الأماكن والمواقع التي تمكن المقاتلون الفلسطينيون من السيطرة عليها، والعتاد والأسلحة التي غنموها من مخلفات المعسكرات البريطانية المنسحبة، لم تحظَ بفرصة توظيفها استراتيجياً لأمد طويل، إذ كانت تتعرض للمصادرة القسرية من قبل قيادة جيش الإنقاذ العربي الذي كان يرتجل انسحابات مريبة لاحقاً تاركاً تلك المواقع والحصون عرضة للسقوط السريع والسهل في قبضة القوات الصهيونية، مما أفرغ المقاومة الفلسطينية من مقومات صمودها وحرمتها من الموارد اللوجستية الضرورية لاستمرار المعركة، وكشف عورات التنسيق الفاقدة للاستراتيجية الموحدة بين الأطراف العربية المشاركة، وهو ما ينسجم تماماً مع طبيعة التخطيط الاستراتيجي البريطاني الرامي إلى ضمان التفوق الكاسح للكيان الصهيوني حتى بعد إعلان الانسحاب الظاهري الذي لم يكن اعتبارياً بل اتخذ طابعاً تكتيكياً مدروساً تم من خلاله تسليم المفاصل الاستراتيجية الحساسة، كالمطارات والموانئ والعقد المرورية، للمنظمات الصهيونية أو تركها في حالة جهوزية تتيح السيطرة عليها فوراً.

ولا تقتصر الأبعاد الزمنية للنكبة على اليوم المشؤوم في الخامس عشر من مايو عام 1948، بل تمتد جذورها وتتفاعل مساراتها كعملية تدريجية متصاعدة انطلقت فعلياً منذ منتصف عام 1947 واستمرت بلا هوادة حتى توقيع اتفاقيات رودس عام 1949، وهو أفق زمني مديد يؤكد قطعية الطابع المنهجي لعمليات الطرد والتطهير والسيطرة كجزء من استراتيجية طويلة الأمد حظيت بدعم استخباراتي دقيق وتواطؤ إقليمي ودولي، مما يسقط الادعاءات التقليدية التي تحصر النكبة في محطة تاريخية محددة، ليتبين أن النكبة كانت تنويجاً هيكلياً لمسار استعماري متكامل.



بالاك»، فضلاً عن تكثيف برامج إعداد وتدريب المستوطنين، والاستفادة القصوى من فترات الهدوء المفتعل لقمع السيطرة على مساحات ومناطق استراتيجية جديدة لم تكن خاضعة لنفوذها العسكري قبيل سريان الهدنة، مما أدى في نهاية المطاف إلى قلب موازين القوى الميدانية رأساً على عقب لصالح المشروع الصهيوني وإحداث تغيير جذري ونهائي في مسار الصراع برمته، مؤكداً بما لا يقبل الشك أن عمليات وقف إطلاق النار لم تكن قط أدوات محايدة لفض الاشتباك الإنساني، بل شكلت آليات هندسية استراتيجية بالغة الدقة صُممت خصيصاً لترجيح الكفة الصهيونية وحسم الصراع.

وتتجلى إحدى أخطر الحقائق والوقائع التي كشفت عنها الوثائق والأرشيفات السرية في طبيعة شبكة العلاقات والاتصالات الوثيقة والمشبوهة التي ربطت بين شخصيات وقيادات صهيونية بارزة وزعامات ودوائر عربية نافذة في كل من شرق الأردن، والعراق، وسوريا، ومصر، وبلاد الحجاز، وهي قنوات اتصال شبكية وظفتها الحركة الصهيونية باحترافية استخباراتية عالية لاختراق المجتمعات والنسيج القيادي العربي، واستنباط وتحديد الثغرات والخواصر الأمنية الضعيفة في القرى والبلدات الفلسطينية، فضلاً عن النجاح الاستخباراتي الهائل الذي حققته الأجهزة الصهيونية في اختراق عقر دار القيادة العربية العليا والاطلاع المبكر على الخطط، والتقدير، والمستندات العسكرية الحساسة، وهو الاختراق العضوي الذي أفضى إلى إجهاض العمليات الميدانية وشلل التحركات الدفاعية، ليؤكد بصورة قطعية وحاسمة الدور المحوري للتواطؤ البنيوي المزدوج، الداخلي والخارجي، في تهيئة وإنضاج الظروف والمناخات التي هندست ومهدت لكارثة النكبة.

وتثبت تقارير دائرة التحقيقات الجنائية البريطانية (CID) أن دوائر القرار ورئاسة الاستخبارات في لندن كانت على اطلاع فوري وإدراك مجهري تفصيلي بالفظائع والمجازر الدموية التي نفذتها المنظمات والعصابات الصهيونية، وعلى رأسها استباحة وتصفية قرية دير ياسين، ومع

ذلك جوبهت تلك التقارير والبيانات بصمت استخباراتي وسياسي مطبق وموجه، يعكس مسؤولية جنائية وأخلاقية مباشرة وقاطعة، حيث أعيذ استثمار وتوظيف تلك المذابح استراتيجيةً وعن عمد كأداة إرهاب عابرة للميدان لتحقيق غايات التطهير العرقي وإرهاب الحاضنة الشعبية الفلسطينية لدفعها قسراً نحو التهجير والنزوح الجماعي، وهو ما أقر بصحته وصراحته المفوض السامي البريطاني في وثائقه الرسمية، بالتوازي المحكم مع تفعيل الهندسة النفسية وآليات الحرب المعنوية عبر «حملات الهمس» الترهيبية التي أدارها القادة الميدانيون لبث الذعر وتضخيم الشائعات حول قدوم وتعزيز حشود عسكرية صهيونية غاشمة ووقوع مجازر وشيكة، في صورة تبرز التلاحم والتكامل التام بين أدوات الإرهاب الصهيوني الميداني والتغاضي والتمكين البريطاني الرسمي.

وعلى ضوء هذه المعطيات الوثائقية والشهادات التاريخية الدامغة، أزاحت الأرشيفات والوثائق الإسرائيلية المرفج عنها مؤخراً الستار الكثيف عن حزمة من الأوامر العسكرية الصارمة والمكتوبة بخط يد قادة عسكريين كبار، والتي صاغت عقيدة قتالية متكاملة تقضي بالتخلص المنهجي من المدنيين الفلسطينيين وطردهم جماعياً. إذ يُظهر فحص هذه الوثائق في شهر يوليو من عام 1948 إصدار قائد الكتيبة 12 في

لواء غولاني، يتسحاق بروشي، توجيهات كتابية رسمية ومباشرة تقرض أنماطاً من التعامل القاسي والدموي مع القرى المأهولة، شملت التصفية الجسدية الفورية لأي شخص يتمتع عن إبراز وثيقة هويته، أو يتخلف عن المثل الإجمالي للتفتيش العسكري، أو يُشبهه بكونه عربياً غريباً عن محيط القرية. وبلغ مؤشر التطرف ذروته الإجرامية بإصدار الأوامر القاضية بإعدام كل عاشر رجل في القرى التي يُعثر فيها صدفة على غرباء، في تدبير قمعي يعتمد العقاب الجماعي والإبادة الانتقائية لهندسة صدمة نفسية مروعة تقرض الرعب الوجودي وتدفع المجتمعات المحلية نحو الفرار القسري. يضاف إلى ذلك تصفية جميع الذكور البالغين في أي منزل تُضبط فيه مقتنيات أو أثاث مدني مسروق من المستوطنين اليهود، إلى جانب التعليمات الصارمة بتدمير القرى المستهدفة عن آخرها وتسويتها بالأرض، وصولاً إلى التعليمات الصريحة والقاسية بإبادة «عشيرة عرب الزبائح» البدوية بكاملها بحيث لا يبقى لها لا روح ولا أثر، وهي وثائق رسمية مكتوبة وموقعة بخط اليد تنسف من أساسها السردية الصهيونية المزيفة حول النزوح الطوعي المزعوم، وتتطابق تكاملياً مع الشهادات الحية والاعترافات الموثقة لضباط وقادة إسرائيليين رفيعي المستوى، على غرار مردخاي ماكليف

حافلة بحضارة إنسانية متقدمة تضم 28 مجلة أدبية دورية، ودور سينما، ومسارح، ومكتبات عامة عريقة، وشبكة صحافة وإذاعة نشطة، وموانئ حيوية، ومنشآت معمارية هندسية باذخة، مما يدحض تماماً فرية الخلاء البشري ويؤكد تجذر شعب حيوي ومتقف كان يسهم بفاعلية بالغة في المشهد الحضاري والإقليمي والدولي. وإمعاناً في محو الحقائق، لم يكن مصطلح إسرائيل متداولاً في أدبيات الإعلام أو الدوريات العالمية أو حتى في صلب «وعد بلفور» التاريخي، بل كانت المنطقة تُعرف حصراً بفلسطين، وهو ما يؤكد الطابع الاصطناعي والاستعماري البحت لهذا الكيان الذي تم إقحامه على أنقاض التاريخ الطبيعي لتلك البقعة الجغرافية، مؤكداً أنه نتاج مخاض استعماري حديث وليس امتداداً جذرياً طبيعياً.

وعلى صعيد المصير المأساوي للقرى الفلسطينية التي تجاوز عددها الخمسمائة قرية، لم يكتفِ المشروع الصهيوني بحدود الإخلاء القسري للفلسطينيين، بل عمد إلى تفكيك وتدمير بنيتها المادية والمعمارية بطريقة جذرية وحرفية تستهدف محو ملامحها البنيوية من جغرافية الأرض، بحيث لا يبقى من شواهدا سوى ما أخطأته يد المحو بالصدفة البحتة، وذلك انطلاقاً من غاية استراتيجية عليا تروم استئصال الوجود المادي والدلالي للشعب الفلسطيني من ذاكرة التاريخ والجغرافيا، وإغلاق الأفق تماماً أمام أي إمكانية أو حق قانوني لعودة اللاجئين إلى أملاكهم، بما يفضي في النهاية إلى فرض واقع جيوسياسي وجغرافي يعيد تشكيل الإقليم بصورة استيطانية نهائية تمنع أي فرصة لترميم الهوية المكانية أو العودة إلى جذور المشهد التاريخي.

ولم يقف الدور البريطاني عند حدود إطلاق وعد بلفور وتعبيد المسارات أمام «إقامة الوطن القومي لليهود»، بل تفرع بنيةً وممارسةً ليشمل سياسة التسهيل المطلق مع العصابات الصهيونية المسلحة رغم تورطها في جرائم قتل واستهداف مباشر لجنود ومؤسسات التاج البريطاني، في ازدواجية معايير صارخة قوبلت بالاعتقال الفوري والبطش المنهج بحق

تكشف الأرشيفات أن المشروع الصهيوني بدأ مبكراً في بناء منظومته الاستخباراتية لجمع البيانات الشاملة حول جغرافية فلسطين وسكانها منذ أواسط العشرينيات من القرن الماضي، لدرجة أنه بحلول نهاية عام 1933 باتت لدى الدوائر الصهيونية سجلات دقيقة ومجهرية تحصي كل فرد وكل شجرة وكل حانوت وكل آلية وقطعة سلاح وحتى الدواب والممتلكات الخاصة بالفلسطينيين، في مستوى غير مسبوق من التحضير الميداني والمسح الاستخباراتي الممنهج الذي عُرف لاحقاً بـ «ملفات القرى»، والتي غطت تفاصيل التضاريس وشبكات المياه والولاءات السياسية ومقاطعات الضعف والثغرات الأمنية في كل تجمع سكاني فلسطيني، وهي ملفات شرعت الهاغاناه في تجميعها منذ أواخر العقد الأول من القرن العشرين وتكتفت بوتيرة متسارعة خلال الثلاثينيات والأربعينيات بغطاء استخباري بريطاني وتغاضٍ كامل أتاح ترسيخ بنية تحتية سيادية للمستوطنين بالتوازي مع التدمير المنهجي للبنية السياسية والمؤسسية الفلسطينية.

ومن الشواهد العميقة على شمولية الهندسة الاستعمارية وطبيعتها التي تسعى لطمس الهوية الفلسطينية، أن أول خطوة عملية نفذها الكيان الاستيطاني الجديد فور بسط سيطرته عام 1948 لم تكن عسكرية صرفة، بل ركزت على البعد الثقافي والمعرفي عبر مصادرة المكتبات الشخصية والعامّة الكبرى التي حوتها البيوت الفلسطينية المهجورة في ما بات يُعرف بـ «سرقة الكتب الكبرى»، وهي عملية منظمة شاركت فيها المؤسسات الأكاديمية والثقافية لكيان الاحتلال الصهيوني بغية محو الذاكرة الثقافية الفلسطينية وابتلاع إرثها الفكري والحضاري لطمس الهوية الوطنية وإلغاء أي سند مادي يثبت أحقية أصحاب الأرض الأصليين، مما يبرز اتساع نطاق الهندسة الاستعمارية ليشمل الوعي والذاكرة الجمعية فضلاً عن الجغرافيا والديموغرافيا.

وتتداعى السرديات الاستعمارية التي سعت لتسويق مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» أمام الصلافة الحضارية والمشهد المزدهر الذي كانت تعيشه المدن والقرى الفلسطينية عشية النكبة، حيث كانت فلسطين

الذي تدرج في المناصب ليصبح لاحقاً رئيساً لأركان الجيش الإسرائيلي، والتي أكدوا فيها صراحة وبلا لبس أن الإرهاب المسلح كان ضرورة استراتيجية لا غنى عنها لاقتلاع العرب وكسر إرادتهم، وأن عمليات الإبادة الجماعية والتطهير الممنهج تجسدت ميدانياً بأبشع صورها في قرى ومدن مثل صفصاف، وجيش، وعيلبون، والد، والرملة. وبأن القيادة العسكرية العليا كانت على بينة كاملة وإحاطة تامة بهذه الممارسات الإجرامية، لتتكامل بذلك خيوط الأدلة الدامغة وتترسخ الطبيعة الممنهجة والمؤسسية لعمليات التطهير العرقي باعتبارها سياسة عليا للدولة الناشئة وليست مجرد تجاوزات ميدانية فردية معزولة.

ولا تقف خيوط المؤامرة عند هذا الحد، إذ تتضافر الوثائق والشهادات التاريخية المحفوظة في الأرشيفات الدولية لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الانسحاب البريطاني من فلسطين لم يكن حدثاً اعتباطياً أو فراغاً إدارياً عشوائياً، بل جاء توتيجاً لتصميم استراتيجي وتكتيكي عالي الدقة استهدف تسليم العقد الحيوي، والمطارات العسكرية، والموانئ الاستراتيجية، ومستودعات السلاح مباشرة إلى العصابات والتشكيلات الصهيونية لضمان تفوقها الميداني المطلق، بالتوازي مع شن حرب اقتصادية مدمرة وممنهجة استهدفت تقويض البنى التحتية للاقتصاد الوطني الفلسطيني من أساسه؛ حيث أقدمت سلطات الانتداب على تجميد كافة الأرصدة والودائع البنكية الفلسطينية في المصارف الواقعة تحت السيطرة «الإسرائيلية» الناشئة وحرمان أصحابها من الوصول إلى أموالهم، إلى جانب العمل المدروس على تخريب وتجفيف موارد قطاع الحمضيات الاستراتيجي الذي كان يمثل عصب الصادرات الزراعية والتجارة الخارجية، وصولاً إلى الخطوة الأكثر خطورة والمتمثلة في الاستحواذ على سجلات الطابو ودوائر تسوية الأراضي العقارية أو التلاعب بها ونقلها إلى خارج حدود البلاد، وذلك لحرمان الفلسطينيين عمداً من أي أساس قانوني أو وثائقي يتيح لهم لاحقاً المطالبة بممتلكاتهم وعقاراتهم المهجورة، الأمر الذي يجسد بوضوح تام البعد الجيواقتصادي المعقد الذي وظفته

الأداة الاستعمارية هندسياً لتثبيت ركائز الكيان الغاصب وتكريس وقائع النكبة. ولم تتوقف الأدوار البريطانية الممنهجة عند حدود التمكين الميداني العسكري فحسب، بل امتدت لتشمل هندسة شبكة معقدة من الضغوط الدبلوماسية والسياسية المكثفة عبر التحالفات والدوائر الحليفة من الزعامات والملوك العرب بهدف تطويق وإجهاض الإضراب الوطني الكبير لعام 1936 وإفراغه من مضمونه التحرري، وصولاً إلى فرض وإملاء هدن عام 1948 المشؤومة التي شكلت في جوهرها الحبل السري الحيوي والمتقذ الذي انتشل المشروع الصهيوني من أتون الانهيار العسكري الوشيك، متبوعة بتركة استعمارية قانونية ثقيلة وفتاكة تمثلت في أنظمة وقوانين دفاع الطوارئ لعام 1945، تلك المنظومة الزجرية التي سارعت الدولة الصهيونية الناشئة إلى استنساخها بحذافيرها وتطبيقها بقسوة مفرطة لإخضاع الفلسطينيين الباقين في أراضي الداخل كمنظومة قمع وهندسة سيطرة بنوية مستمرة وممتدة حتى يومنا هذا، مما يرسخ الحقيقة التاريخية الساطعة حول عمق الشراكة الاستراتيجية البريطانية في صياغة وتوفير الغطاء القانوني والمؤسسي الشامل للبطش الإسرائيلي الممنهج.

وتتطابق هذه الشهادات مع ما تكشفه التحقيقات التاريخية المعمقة عن عملية إخفاء وسطو أرشيفي ممنهجة ومؤسسية أطلق عليها اسم «عملية ليفاسي»، وهي العملية الاستخباراتية التي جرى من خلالها ترحيل ونقل آلاف الملفات والمستندات والبرقيات السرية والحساسة من الأراضي الفلسطينية إلى مركز «هانسلوب بارك» الخاضع لسيطرة الاستخبارات البريطانية في ضواحي لندن قبيل إنجاز الانسحاب الرسمي، وذلك بقصد مسبق لستر الفضائح السياسية والأخلاقية البريطانية وتغطية الحجم الحقيقي للتواطؤ العضوي في هندسة وتمير كارثة النكبة. وفي المقابل لتلك السياسة الإجرامية المتمثلة في طمس أدلة الإدانة وحرمان أصحاب الأرض من ذاكرتهم الوثائقية، أقدمت سلطات الانتداب والدوائر الإدارية البريطانية على خطوة تكاملية بالغة الخطورة تمثلت في تزويد

القيادات والوكالة الصهيونية بخرائط طبوغرافية استراتيجية بالغة الدقة بمقياس 1:20,000 أصدرتها مصلحة المساحة البريطانية، وهي خرائط نوعية احتوت على الإحداثيات والمساقط والمقاطع الدقيقة لمصادر المياه والعيون وشبكات الآبار والمسالك الجبلية الوعرة والعقد المروية والمواقع الحساسة، الأمر الذي منح العصابات والتشكيلات الصهيونية تفوقاً استخباراتياً ومعلوماتياً مطلقاً وحاسماً في هندسة وتخطيط وتنفيذ حملات الاجتياح والتجهيز، مترافقاً مع حرمان القيادات والتشكيلات الدفاعية الفلسطينية من الوصول إلى أية بيانات أو خرائط مماثلة، لتتحول تلك الخرائط الجغرافية في أيدي الغزاة إلى سلاح استخباراتي فتاك حسم مآلات المعارك الميدانية وقوض أية فرصة للدفاع المنظم.

تتكامل هذه المعطيات والأدلة التاريخية لتفضي إلى إعادة صياغة وتعريف حقيقة الدور البريطاني تاريخياً، لا باعتباره مجرد قوة انتداب تقليدية عابرة أخلت المكان وخلفت وراءها فراغاً سياسياً عشوائياً، بل بصفتها الراعي الاستراتيجي الأكبر والمهندس الخفي المدبر الذي أشرف بدقة محكمة على عملية نقل السيادة من أتون الاستعمار المباشر إلى منظومة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وذلك عبر شبكة معقدة ومتكاملة من التمكين الهيكلي، والتواطؤ الميداني، والتدبير الجيو-اقتصادي، والإرث القانوني القمعي، وطمس وتشيت الأدلة والأرشيفات، وتقديم بنك المعلومات الجغرافية والاستخباراتية والعسكرية الفتاكة، الأمر الذي يضع الدولة البريطانية في صدارة المسؤولية التاريخية، والجنائية، والأخلاقية، والقانونية المباشرة عن كارثة النكبة الفلسطينية، ويفضح الجذور والأبعاد الحقيقية لطبيعة الصراع الوجودي المفتوح الذي ما زالت تداعياته المأساوية تلقي بظلالها الثقيلة حتى يومنا هذا، مؤكداً بما لا يدع مجالاً للشك أن النكبة تبقى جريمة تطهير عرقي ممنهجة ومؤسسية، بكل ما تحمله الكلمة من عمق جغرافي، وثقل تاريخي، ومعاناة إنسانية لا تتقادم ولا يسقطها التقادم.

(السردية الفلسطينية) المصطلح الذي يُربك الحقيقة

زكريا السيد أحمد- كاتب فلسطيني.. سورية

- اليقينُ راسخٌ بأن الهزائم ليست دائماً تلك التي نلمس كارثية نتائجها بالعين المجردة، فثمة هزائمٌ أكثر خفاءً وفجاعة، سيما التي تبدأ حين تتسلل اللغةُ إلى وعينا بملامح بريئة وزخارف وادعة، لتعيد ترتيب العالم داخلنا خلصة، فالكلمات ليست مجرد أصواتٍ نعبّر بها عن المعنى، بل هي بواباتٌ خفيةٌ يُستدخلُ منها التصور الكامل للتاريخ والحق والإنسان، ولهذا السبب سُلبت الأُممُ المهزومةُ أسماءها قبل أن تُسلب خرائطها وتُشوه مكانيتها، وربما لأنني فلسطينيُ الحرفِ في الشعر والقصة، تبدو علاقتي بالكلمات أقل براءة مما ينبغي، والكلمات في فمي تشعر بالثقل : ثقل المنافي وثقل الدم وثقل التاريخ الذي لا يرحم من يتلاعب بأسمائه، فتراني هنا لا أكتبُ لانتقد مصطلحاً أكاديمياً بل لأحمي الاسم من التلاشي، فلا يمكنني النظر إلى المفردات كأدوات للتعبير وحسب، ذاك أن اللغة في التجربة الفلسطينية لم تكن يوماً ترفاً ثقافياً بل جبهةً من جبهات البقاء، ولهذا يساورني قلقٌ عميقٌ يشاطرنه الكثيرون فيه كلما مررنا بكلماتٍ محمّلةٍ بعوالم لا تشبه حقيقة ما عشناه مهما بدت أنيقةً وعصريةً في ثوبها الجديد .

- لم تكن فلسطين في معركتها الوجودية تواجه جيشاً بعتاده فحسب، بل تموضعت للضرورة في قلب مواجهةٍ مع آلةٍ هائلةٍ لإعادة تعريفها أمام العالم، فمئذ النكبة لم يتوقف الاحتلال عن محاولة انتزاع الفلسطيني من موقعه بوصفه صاحب أرض وذاكرة إلى كائنٍ لغويٍ هش يُصنف كـ (لاجئ) أو (حالة إنسانية) ثم لاحقاً كـ (طرف في نزاع) في محاولةٍ لغويةٍ خبيثةٍ لاختزال مأساة اقتلاع شعبٍ من أرضه بقوة السلاح وكأنه مجرد سوء تفاهمٍ بين حكايتين .



- إذاً فاللغة في هذا السياق لم تكن شأنًا ثانوياً ، فالألم الفلسطينية مثلاً تحفظ اسم القرية كما يُحفظ الدعاء، واللاجئ يخبئ مفتاح بيته كحارسٍ للمعنى الأخير للعالم، والقصيدة الفلسطينية تُكتب لكي تحمي الحقيقة من السقوط في يد العدو، ولكن ما يثير المخاوف اليوم ليس فقط لغة الخصم، بل ذلك (التسلل الناعم) لمصطلحي (السردية الفلسطينية) و(الرواية الفلسطينية) إلى خطابنا، فهذان المصطلحان المجلوبان من فضاءات (ما بعد الحداثة) التي تُعامل الحقيقة كبناءٍ لغويٍ تأويلي لا كواقعٍ صلب، يسحبان القضية من ميدانها الأصلي من (أرضٍ سُرقت وشُعبٌ أُبِيد) إلى ميدانٍ أكاديميٍ باردٍ لا يعترف باليقين، وهنا حين تتحول فلسطين إلى (سردية) يبدأ تصدعٌ عميقٌ في المعنى، فنحن نتحول من أصحاب حق تاريخي إلى أطراف في منافسة سردية، وبذلك يُستبدل فعل الاقتلاع المادي الوحشي بـ (وجهة نظر) قابلة للنقاش، ونقع في فخ (الروايتين المتنازعتين) الذي يسمح الفارق الأخلاقي الصارخ بين الجلال والضحية، ويجعل من البلاغة والقدرة على الإقناع - لا دماء الشهداء وقوة الحق - مقياساً للحقيقة .

- أؤكد وبكل وضوح أنني لا أقلل أبداً هنا من قيمة الشهادة الفلسطينية أو الحكاية الشفوية، فهي جزء أصيل من مقاومة المحو، لكن الفرق جوهرى بين أن (نحكي) فلسطين، وبين أن نخترلها إلى سردية قابلة للتأويل، لأن فلسطين لم تكن في يوم من الأيام مجرد نص أو سرد، بل إنها تجربة وجودية كاملة قوامها أرض وشعب ومفاتيح معلقة على جدران المنافي، وأسماء قرى ما زالت تنبض في أفواه الأمهات أكثر مما هي حيةً على الخرائط، والفلسطيني بكيونته لا يملك رواية فحسب، بل يملك تاريخاً ضارباً في الجذور ووثيقة ملكيةٍ ودماً لم يجف إلى هذه اللحظة .

- لقد أدرك المحتل مبكراً أن معركة اللغة لا تقل ضراوة عن معركة الأرض، ونحن حين نستخدم أدوات المعرفة فإننا نعيه في وضع قضيتنا داخل (قوسين) لنصبح مجرد نسخة أخرى من الحكاية، والشاعر والكاتب والباحث منا يلتقطُ برودة هذه المفاهيم المستوردة، لأنه يدرك أن بعض الكلمات مهما برقت فهي تحمل في طياتها نصلَ المحو حين تُنزع من سياقها الدامي وتُلقي فوق شعبٍ لا يزال ينزف ويتعرض

في كل أن لعملية إبادة جماعية ممنهجة .

- منتهى العبرة هي نظرة عميقة إلى تجارب حركات التحرر الوطني في العالم، حيث الشعوب التي انتزعت حريتها لم تكن يوماً رهينة لسرديات أو روايات تقبل المقايضة أو المنافسة في أسواق الإعلام الغربي، ففي تجارب التحرر في فيتنام و أفريقيا وأمريكا اللاتينية، كان الحق يُنتزع حقيقة مادية لا تقبل التفسير، ولم يكن نضال تلك الشعوب يوماً محاولة لإقناع الجلال بصوابية حكايتها، بل كان إثباتاً لحقها في الوجود الذي لا يحتاج إلى لغة وسيطة للوقوف على تفاصيله، فهم لم يمنحوا الاستعمار ترف القبول بمنطق الروايتين، بل فرضوا الحقيقة كأمر واقع تُهي وجوده على أراضيها، لا كحكاية تنتظر الموافقة أو التعاطف .

- وأمام هذا الانزياح الخطير لا يكفي أن نرفع صوتنا بالرفض فقط، بل نحن مدعوون جميعاً إلى تبني لغة تحررية أصيلة، لغة لا تعتذر ولا تستجدي الاعتراف، والبدل لا يكمن في ابتكار مصطلحات جديدة بقدر ما يكمن في استعادة مفرداتنا التي امتلكت دلالاتها من عمق التجربة لا من رفوف الأكاديمية الباردة، فلنعمل على استعادة الحقيقة فما يجري في فلسطين ليس قضية للنقاش، بل هو واقع موثق بالدم والشهادة، ولنعتمد الذاكرة بدلاً من السردية، لأن الذاكرة هي مخزننا الذي لا يُخترق، فهي ملامح قرانا ومدننا التي نحفظها من أحاديث الآباء، والمفاتيح التي نخبئها، فالذاكرة هنا فعل ثوري يتحدى محاولات طمس يحول دون ذوبان الفرد في سردية عامة قد تُشوّه خصوصية معاناته، ولنفرض حضورنا في خطاب العالم ولكن نحن الصوت الذي يقرر كيف نُعرف وجودنا، لا أن ننتظر العالم ليمنحنا مساحة لسرديات مقبولة في أرواقته، ولنصرّ على أن القضية هي مستعمر يقتل وصاحب أرض يقاوم، وما دون ذلك فهو مساس بقديسية هذه القضية وشرعيتها الإنسانية .

- إن معركتنا ليست في تحسين جودة (الرواية) أو رفع سوية (السرد) بل في استعادة المعنى الذي حاول المحو طمسه، إذ إننا لا نملك سردية لتعيد إنتاجها، نحن نملك قوافل من الشهداء وجثامين تحت الأنقاض وخرائط مسلوقة وبيوتاً صارت أطلالاً، فليتوقف هذا الترف اللغوي الذي يُنزل القضية من عراقة الحق إلى ابتذال التأويل، فالغالبية فلسطين ليست نصاً نكتبه لننال إعجاب العالم، بل هي حقيقة تصرخ في وجه التاريخ، وكل من يصرّ على اختزالها في سردية يشارك بقصد أو بغيره في تجميل جدار السجن بكلمات لا تحرر أحداً ولا تجتث غاصباً ولا تعيد للمقتل وطنه، فالحذر الحذر من التلاعب بالمصطلحات فالحقيقة أصلب من أن تُختزل في رواية تكون سيقاً في سردية، وليسود اليقين بيننا أن فلسطين ليست ما نرويه للعالم بل ما عجز الآخر ورغم كل شيء أن يحويه منها .

صبرا وشاتيلا: الجرح الفلسطيني الذي لا يندمل

إلهام الحكيم كاتبة فلسطينية - تركيا

ما أن يذكر اسم « صبرا وشاتيلا » حتى تنبش الذاكرة واقعاً مؤلماً وهي تبكي على أحبة طالتهم يد الإجرام والإرهاب الصهيوني في ليلة خريفية حزينة على خروج أبطال المقاومة الفلسطينية من لبنان عبر البحار ليتوزعوا على عدة دول عربية « سورية، تونس، اليمن » وليتحولوا من مقاومين يمتشقون السلاح ويفغذون العمليات الفدائية ضد العدو الصهيوني إلى أفراد يمارسون العمل السياسي في الساحات التي انتقلوا إليها.



اطمأنت قيادة « م ت ف » أن الشعب الفلسطيني اللاجئ في لبنان - في المخيمات تحديداً - سيكون آمناً بضمانة أمريكية وحماية قوات حفظ السلام الدولية وسيتم التعامل معهم وفق القوانين والأعراف الدولية لكن هذه القوات انسحبت فور مغادرة المقاومة يوم 30 / 8 / 1982 وباتت المخيمات بمسؤولية الجيش الصهيوني المحتل !! ومع خلو المخيمات من المقاومة وسلاح الدفاع حتى الفردي ، جهزت قوات الاحتلال الصهيوني يوم 16/9/1982 أجواء الحماية لجيش لبنان الجنوبي والقوات اللبنانية » حزب الكتائب » الذين كانت يد غدرهم جاهزة للضغط على الزناد ، توزعت الأدوار بينهم حيث اعتلى وزير الدفاع الصهيوني آنذاك « أرييل شارون » سطح سفارة فارغة ليراقب مجريات المجزرة .. ثم أطبقت دبابات الجيش الإسرائيلي الحصار المحكم على مخيمي صبرا وشاتيلا لمنع الأهالي من الفرار.. وتم قطع الماء والكهرباء عنهما.. تسلت قوات الكتائب وجيش لبنان الجنوبي تحت جنح الظلام بأسلحتهم المتنوعة «الرشاشات، المسدسات ، البلطات ، السكاكين ، السواطير » لزوم تنفيذ المجزرة المروعة التي حصلت على مدى ثلاثة أيام ضد أهل المخيمين المدنيين العزل .. كان القتل عشوائياً فلم يميز بين الفلسطينيين واللبنانيين من النساء والأطفال والمسنين والمرضى، نُفذت المجزرة بوحشية دللت عليها الأشلاء المنتشرة بين الأزقة، والأجنّة التي انتزعت من الأرحام المبقورة وتركت بين الركام ، رائحة الدماء تزكم الأنوف .. جثث منتفخة وأخرى مشوّهة كان من الصعوبة التعرف عليها إثر انتهاء المجزرة بعد ثلاثة أيام بلياليها وفك الحصار و انسحاب المجرمين من المخيمين ومستشفى عكا - المحاذية لهما - التي اختُطف منها العديد من الممرضين والكادر الطبي وتمت تصفيتهم حتى لا يكونوا شهوداً على الجريمة النكراء بحق اللاجئيين العزل بإشراف مباشر من شارون و إيلي حبيقة - مسؤول مليشيات حزب الكتائب حينها - .. قُدر عدد ضحايا المجزرة بين 3000 و 7000 « شهيد وشهيدة -فلسطيني ولبناني - ، لم يُعرف العدد الحقيقي للضحايا نتيجة تعدد الجهات التي دفنتهم .. فالمجرمون دفنوا البعض بمقابر جماعية أو تحت أنقاض البيوت المدمرة لإخفاء معالم الجريمة البشعة.. والبعض الآخر دفنهم الأهالي و الصليب الأحمر.. إضافة لاختطاف

المئات الذين تم اقتيادهم لأماكن مجهولة ولم يعرف مصيرهم حتى الآن رغم مرور عشرات السنين على جريمة لم يُعاقب مرتكبوها نتيجة القصور الدولي بملاحقة الجناة والتحقيق معهم وتقديمهم للمحاكم لينالوا عقابهم ، و رغم تشكيل المحامي والسياسي الأيرلندي شون ماكبرايد و مجموعة رجال قانون من « أمريكا ، بريطانيا ، فرنسا، ألمانيا ، أيرلندا » لجنة تحقيق مستقلة آنذاك « لجنة ماكبرايد » و إصدار التقرير الذي يفضح الممارسات الصهيونية وخرق القانون الدولي و تحميلها المسؤولية القانونية والتخطيط و التحضير للمذابح وتسهيل مهمة التنفيذ للمليشيات اللبنانية الطائفية وجيش لبنان الجنوبي العميل، لكن الجهات الدولية المعنية بالمتابعة والمحاسبة والعقاب لم تحرك ساكناً و تجاهلت الموضوع كما طوّت القوات الصهيونية التحقيق الداخلي ولم تحاسب الضباط الإسرائيليين المشاركين بالمذبحة !! و في العام 2001 رفع ناجون من المجزرة «فلسطينيون ولبنانيون » دعوى لدى القضاء البلجيكي ضد شارون وغيره من المجرمين، لكن ضغط اللوبي الصهيوني ساهم بتغيير القانون البلجيكي تقادياً لقبول القضية وبهذا نجا المتورطون من العقاب كون الضحايا فلسطينيين ولبنانيين !!

طبعاً لم تكن مجزرة « صبرا وشاتيلا » هي الأولى ولا الأخيرة بل سبقها و تلاها مئات المجازر على يد العصابات الصهيونية بحق أبناء الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده ومنها « 50 » مجزرة فترة النكبة « 1947 1948- » ، وعلى سبيل المثال لا الحصر مجزرة دير ياسين ،الدوايمة ، عيلبون ، قبية ، كفر قاسم ، الطنطورة ، خان يونس ، يافا ، مخيم جنين ،و غيرها من المذابح التي حصلت بعيداً عن الإعلام والتصوير الذي يكشف مدى الإجرام والإرهاب الذي يتعرض له المدنيون الفلسطينيون على يد



الإرهابيين الصهاينة لهذا طُمست العديد من الجرائم نتيجة لذلك !. والتي أكثرها دموية هي المجازر المتتالية في غزة منذ ما يقارب 3 سنوات حيث أخذت طابع الإبادة الجماعية والتطهير العرقي واستخدام مصادم الموت التي اتبعتها الحكومة الصهيونية بحق المجوعين طالبي المساعدات.. وقد تجاوز عدد الشهداء « 75 » ألفاً منهم أكثر من 20 « ألف طفل إضافة لفقدان « 9 « آلاف مدني تحت الأنقاض ، مازالت المجازر مستمرة حتى اليوم مع نجاة المجرمين من العقاب الرادع رغم نقلها على الهواء مباشرة بالصوت والصورة كشاهد دامغ على تلك الجرائم !!.. بل على عكس المأمول فقد عوقب مسؤولون بالمحكمة الجنائية والعدل الدولية بسبب قرار ملاحقة ننتياهو كمجرم حرب مسؤول عن الإبادة الجماعية للفلسطينيين !!

• شهادة حية :

هل تقتصر صفة ضحايا المجازر على من قتلوا وسط الحدث ؟ أم يمكن اعتبار من قضوا نحبهم بسببها أيضاً - ضحايا - ؟ تساؤل مشروع طرحته إحدى السيدات الفلسطينيات بعد فقدان والدها بسبب رؤيته مجزرة « صبرا وشاتيلا » عبر التلفاز .. وتقول :« كنت أتابع الأخبار مع والديّ وعند نقل المشاهد المروعة للضحايا عبر الأزقة وإذ بوالدي ينتفض وتصيبه حالة من الرجفة بكامل جسمه والتواء شقه الأيمن من الوجه ولم يعد يستطيع الكلام ثم أغمي عليه .. ومن لحظتها بدأت رحلة العلاج بين سورية والاتحاد السوفيتي لاستعادة صحته - دون جدوى - وكان يذرف الدموع باستمرار .. لكن القدر كان أقوى وقضى نحبه يوم 17 /8/1983 أي بعد عام بالضبط من الجريمة النكراء .. ومن لحظتها احتسبته شهيداً كونه أحد ضحايا المجزرة .. رحمه الله مع كافة الشهداء

غزة تصنع الحياة

حيدر العيلة - باحث مختص بالشأن الإسرائيلي - غزة - فلسطين

للموت بأن يصبح نظاماً للحياة.

فالناس لا يقاومون الاندثار بالشعارات وحدها، بل بأفعال صغيرة تتكرر كل يوم. أمّ تبحث عن الحطب لتطهو لعائلتها، أب يحمل أواني الماء لمسافة طويلة، معلم يجمع الأطفال في مساحة مؤقتة ليواصل درساً، طبيب يذهب إلى مكان عمله رغم الخطر، بائع يفتح بسطته، مزارع يعيد زراعة أرض نجا منها شيء، وطفل يركض خلف كرة بين بقايا البيوت.

هذه ليست صوراً هامشية في مشهد الحرب. إنها جوهر المشهد.

فحين يصير الإنسان على ممارسة حياته، فإنه يستعيد شيئاً من السيطرة على مصيره، ولو في مساحة ضيقة. وحين يرفض أن يكون مجرد ناچ ينتظر دوره في قائمة الضحايا، فإنه يؤكد أنه ما زال إنساناً كاملاً، له حاجاته وأحلامه وكرامته وحقه في المستقبل.

لقد فقدت غزة كثيراً، لكنها لم تفقد نفسها.

وهذه ربما هي المعركة الأشد عمقاً التي يخوضها المجتمع اليوم: معركة الحفاظ على الإنسان من الداخل.

فالركام يمكن رفعه، والبيوت يمكن إعادة بنائها، والشوارع يمكن إصلاحها، والمدارس يمكن ترميمها. أما إذا نجحت الحرب في تحويل المجتمع إلى اليأس والكراهية والفوضى واللامبالاة، فإن الخسارة تصبح أعمق من خسارة الحجر.

لذلك فإن انتصار الحياة لا يعني فقط أن يولد طفل جديد، أو أن يفتح متجر أبواه، أو أن يعود الناس إلى بيوتهم. انتصار الحياة يعني أيضاً أن يبقى المجتمع قادراً على إنتاج القيم التي تجعل الحياة ممكنة: التضامن، والتكافل، والمحبة، والتعليم، والعمل، واحترام الإنسان، والإيمان بالمستقبل.

ومن هنا تبدو غزة، رغم كل الجراح، أكثر من مجرد مدينة مدمرة.

إنها مجتمع يحاول أن يعيد إنتاج نفسه.

كل ولادة جديدة هي امتداد للحياة.

كل طفل يذهب إلى مكان للتعليم هو رفض للجهل الذي تفرضه الحرب.

كل يد تمتد لمساعدة نازح هي انتصار على الأنانية.

كل شجرة تُزرع في أرض مدمرة هي إعلان بأن المستقبل لم يمت.

وكل ضحكة لطفل هي لحظة تستعيد فيها الحياة شيئاً انتزعته الحرب.

ولعل الأطفال هم التعبير الأكثر وضوحاً عن هذا التحدي.

لقد كبر أطفال غزة قبل أوانهم، ورأوا من الموت والدمار ما لا ينبغي لطفل أن يراه. ومع ذلك ما زالوا يبحثون عن لعبة، وعن كرة، وعن قطعة حلوى، وعن صديق يضحكون معه. إنهم لا يعرفون اللغة السياسية الكبيرة، لكنهم يعرفون بالفطرة شيئاً بسيطاً وعميقاً: أنهم يريدون أن يعيشوا.

وهؤلاء الأطفال لا يحتاجون إلى أن نطلب منهم أن يكونوا أبطالاً.

لقد دفعوا من طفولتهم أكثر مما ينبغي.

إنهم يستحقون فقط أن يكونوا أطفالاً؛ أن يذهبوا إلى مدرسة آمنة، وأن يناموا في بيت آمن، وأن يلعبوا في حديقة، وأن يكبروا دون أن تكون القنابل والصواريخ في السماء جزءاً من ذاكرتهم اليومية.

إن الحديث عن صمود غزة يجب ألا يتحول إلى طريقة لإخفاء مسؤولية العالم عن استمرار المأساة. فالقول إن الفلسطيني قادر على التحمل لا يعني أنه يجب أن يتحمل إلى الأبد.

غزة لا تريد أن تعيش في الخيام كي تثبت للعالم قدرتها على الصمود.

ولا تريد أن يبقى أطفالها يحملون أواني الماء بدل الكتب.

ولا تريد أن تتحول معاناتها إلى صورة جميلة عن البطولة بينما يستمر الحرمان من أبسط شروط الحياة.

غزة تريد الحياة، لا مجرد البقاء.

تريد أن تعود المدارس مدارس، والمستشفيات مستشفيات، والأسواق أسواقاً، والبيوت بيوتاً، والشوارع أماكن للناس لا مساحات للبحث عن الناجين.



في غزة، لم تعد الحياة نقيض الموت فحسب، بل أصبحت فعلاً يومياً في مواجهته. هنا، حيث مرّت الحرب على البيوت والشوارع والذاكرة، وحيث تركت خلفها الركام والفقد والنزوح والجوع والخوف، لم يختف الإنسان. بقي حاضراً، يقاوم الاندثار بأبسط ما يملك: أن يستيقظ في الصباح، أن يبحث عن عائلته، أن يؤمّن الماء والطعام، أن يعلم أبناءه، أن يزرع شتلة، أن يضحك، وأن يحلم.

هذه التفاصيل التي قد تبدو عادية في أي مكان آخر، اكتسبت في غزة معنى مختلفاً. إنها ليست مجرد مظاهر للحياة اليومية؛ إنها إعلان متكرر بأن الموت لم ينتصر.

لقد أرادت الحرب أن تجعل غزة مكاناً لا يصلح للحياة، وأن تحولها إلى مساحة من الركام والخوف، وأن تدفع الإنسان إلى الانكفاء على غريزة النجاة وحدها. لكن المجتمع الغزي، رغم كل ما أصابه، لم يسمح للمأساة أن تمحو حياته الاجتماعية والإنسانية بالكامل. ظل الناس يتزاورون، يتكافلون، يعلمون أبناءهم، يبحثون عن الرزق، ويقيمون الأفراح ولو في أبسط صورها. وحتى في أشد اللحظات قسوة، بقيت هناك مساحة للضحكة، وللأغنية، وللذكرى، وللحلم.

وهنا يكمن أحد أعمق وجوه المقاومة في غزة: أن تستمر الحياة حين يُراد لها أن تتوقف. ليس المقصود بذلك تجميل المأساة أو تحويل الألم إلى حكاية بطولية رومانسية.

غزة لم تختار الموت، ولم تختار الخراب، ولم تختار أن تعيش في الخيام وبين الأنقاض. لكنها، وهي تواجه كل ذلك، اختارت ألا تسمح

الوحدة الوطنية الفلسطينية: المطلوب قادة حقيقيين لشعب عظيم

نعيم إبراهيم - صحفي وكاتب فلسطيني - سورية



والهيمنة الغاشمة.

فالمشاريع الأمريكية التي تقدم بلبوس «الإعمار» أو «الترتيبات الانتقالية» أو حتى «حل الدولتين» وفق المنظور الصهيوني، ليست سوى خدع سياسية هدفها إعادة صياغة الصراع الوجودي على قاعدة باطلة، أن المشكلة إنسانية أو إدارية وليست استعمارية استيطانية إحلالية، بمشاركة أمريكية استراتيجية تكتب فصول المأساة الأكبر، عبر حرب إبادة تدمر الحجر والبشر، وملايين المشردين، وعشرات آلاف الشهداء والجرحى، وبنية تحتية تحولت إلى ركام في الضفة الغربية وقطاع غزة وتضمن بقاء كيان العدو الصهيوني متفوقا وتجريد الفلسطيني من مشروع التحرير، ومنع إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، بينما العالم يكتفي ببيانات شجب باهتة لا تسمن ولا تغني من جوع.

إن اللحظة الراهنة لا تحتمل التردد؛ فهي لحظة وحدة وطنية فلسطينية حقيقية تتجاوز الحسابات الفصائلية الضيقة، وتطلق طاقات الشعب الفلسطيني ومعه أحرار العالم لمقاومة الاحتلال الصهيوني بكل الوسائل المشروعة، وفي المقدمة منها الكفاح المسلح.

التحرير الفلسطينية بصورة قوية تستوعب جميع مكونات الشعب الفلسطيني، وترسخ التمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية عبر استثمار هذه الفرصة (لقاءات وحوارات القاهرة) وعدم إضاعتها في ظل الظروف والتحديات التي تواجه القضية الفلسطينية والمشروع الوطني التحرري الفلسطيني الذي يستهدف تحرير فلسطين كل فلسطين من البحر إلى النهر.

لذلك تتطلب الضرورة الوطنية الان أن تكون الأولوية في المرحلة الحالية لتعزيز صمود أبناء الشعب الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها ومطالبة القيادات الحقيقية بالارتقاء فوق الخلافات واتخاذ قرارات حاسمة وإرادة سياسية وكفاحية جادة تمهد الطريق نحو وحدة وطنية أوسع وصولاً إلى توحيد الصف الفلسطيني صوتاً للمشروع الوطني الفلسطيني، على أهداف التحرير والعودة.

وبعد.. الشعب الفلسطيني ومعه الأمة العربية والإسلامية والمجتمع الدولي أمام مرحلة يختلط فيها الدم بالسياسة، ويراد للأرض أن تبتلع في الضفة والقدس، ولغزة أن تركع تحت نار الحرب والحصار، في محاولة لفرض وقائع لا تعكس سوى منطق القوة

بتقديري إن ما تشهده الساحة الفلسطينية من تحركات ولقاءات قي القاهرة وغيرها وربما عقد تحالفات جديدة بين فصائل وقوى فلسطينية وطرح مبادرات ومشاريع، دونها عقبات عديدة داخلية وخارجية، في وقت تزداد فيه خطورة المنعطف الذي تمر به القضية الفلسطينية على الصعيد كافة.

بعيدا عن المدهانات والتناقضات بكل تشعباتها إن ما يجري داخل البيت الفلسطيني هو عبارة عن شد وجذب في موضوع يقع تحت وطأة تناقضات كاشفة، في أنه لم يعد يكفي هذا الفصل أوداك الطرف أن يقدم برنامجه. فهو مطالب من الشعب الفلسطيني بأن يقدم خطوات عملية واضحة نحو تحقيق حوار جاد يتمخض عنه مصالح وطنية تؤدي بالضرورة إلى وحدة وطنية ناجزة، في ظل مقتضيات الحالة الراهنة.

فإذا لم يتوحد الكل الفلسطيني الآن في ضوء إصرار الاحتلال الصهيوني على حسم الصراع الوجودي لصالحه، فمتى ستتحق الوحدة الوطنية الشاملة؟

المطلوب بكل موضوعية وشفافية الترفع عن النظرة الفصائلية الضيقة وعن الخلافات التي باتت مستعصية والخروج من دائرة الصراعات والتجاذبات والمماحكة السياسية وغيرها والتي تضع الجميع أمام مفترق طرق تتطلب معالجة جذرية وإغلاق صفحة الماضي والبدء بأخرى جديدة تنهي الانقسام وتحقق الوحدة الوطنية لأن المشروع الصهيوني- الأمريكي، مشروع توسعي استيطاني يقود إلى سياسة الضم ويستهدف وجود الشعب الفلسطيني على أرضه.

لا شك إن لقاءات القاهرة مهمة، فهي كشفت أن استمرار الانقسام أصبح أكثر كلفة على الجميع، وأن التحولات في قطاع غزة والضفة الغربية وعموم المنطقة والاقليم والتداعيات المحتملة، أعادت فرض ملف الوحدة الوطنية الفلسطينية على الطاولة. وينبغي أن تتحول هذه اللقاءات إلى مراجعة حقيقية تفتح الطريق أمام وحدة وطنية أوسع ولا تتوقف عند شكل ما من التحالفات الضيقة.

بالضرورة لا بد من إعادة بناء منظمة

ورقة بحثية:

الضفة الغربية تحت مقصلة التهويد والضم
وسط صمت النظام العربي وصمت السلطة وتنسيقها الأمني

عليان عليان - باحث وكاتب سياسي - الأردن



عناوين مسلسل الضم

لقد تبلور مسلسل الضم ت من خلال ثلاثة عناوين رئيسة هي: أولاً: مصادقة الكنيست الصهيوني في 23 يوليو/تموز الماضي على مقترح يدعو إلى فرض «السيادة الإسرائيلية» على الضفة الغربية المحتلة -بما في ذلك غور الأردن- بأغلبية 71 صوتاً مقابل 13 معارضة فقط. وفرض السيادة على الضفة الغربية، يشكل محطة على طريق ضمها، من خلال إخضاع المستوطنات والقوانين هناك للإدارة المدنية والقانون الإسرائيلي بدلاً من الحكم العسكري الإسرائيلي، ويشكل وأداً لموضوع الدولة الفلسطينية، لا سيما وأن الكنيست الصهيوني صوت في وقت سابق بأغلبية ساحقة ضد إقامة دولة فلسطينية. ثانياً: -مصادقة ما يسمى (مجلس الوزراء الأمني الإسرائيلي) «الكابنت»، بتاريخ 9 فبراير/ شباط 2026، على سلسلة قرارات

تتدرج الأمور بشكل متسارع باتجاه توسيع رقعة الاستيطان، ومصادرة الأراضي وضم الضفة الغربية، في إطار برنامج مخطط له منذ فترة طويلة، وفي سياق توافق بين أطراف حكومة الائتلاف اليميني الصهيونية التوراتية والتلمودية، فهذه الحكومة تعتبر فلسطين بكاملها أرض يهود التوراتية، وأن الضفة الغربية هي «يهودا والسامرة» وأنها والقدس في مقدمتها جزء من أرض إسرائيل) الكاملة. ولمن لا يتذكر، نذكر ما صرح به نتنياهو غداة معركة السابع من أكتوبر التاريخية 2003 بشأن سفر يوشع «اقتلوا الرجال والنساء والأطفال والبهايم بدون هوادة» وتصريحات متطرفة وخطيرة أكثر من ذلك، مفادها أن الفلسطينيين هم ينتمون للعمالق قبل 2000 عام، ويجب قتلهم جميعاً، والعمل على قطع نسلهم وإبادتهم جميعاً، ووفق تصريح وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش «فإن الضفة الغربية جزء من (إسرائيل) بوعد إلهي» «والدولة الفلسطينية تشكل خطراً على (إسرائيل) الدولة اليهودية الوحيدة في العالم». وما جرى في حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة على مدى ثلاث سنوات التي أسفرت منذ أكتوبر 2023 وحتى 25 أغسطس / آب 2026 عن استشهاد 73 ألفاً و431 وإصابة 174 ألفاً و437 من أبناء قطاع غزة لمؤشر على ما تقدم، وما جرى ويجري على صعيد هجمات المستوطنين على القرى والمدن والمخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية على مدار الساعة بحماية ودعم من قوات الاحتلال واستشهاد مئات الفلسطينيين مؤشراً آخر على ذلك.

في الهدف

عدنا لنقاوم..
لا لنساوم

قبل استشهاد حينما عاد للوطن طائراً حراً، لم ينفك يردد (عدنا لنقاوم.. لا لنساوم)، كلمات قالها الشهيد القائد أبو علي مصطفى ليستمر بزمان المقاومة، زمن يرسخ هوية الفدائي وقيم المناضل والبطولة الاستثنائية، الآتية من زمن التوهج والصحو والامتلاء والعنفوان الثوري الذي شكل مدرسة بذاتها، كان الشهيد القائد أبو علي مصطفى إحدى علاماتها المؤسسة إلى جانب القادة التاريخيين الذين أسسوا لأمثولات الكفاح المديد، إلى جانب القادة الاستثنائيين جورج حبش ووديع حداد وأبو أحمد فؤاد وأبو ماهر اليماني والقائمة تطول، لأجيال وأجيال. الأمين العام السابق للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أبو علي مصطفى، هو من أدرك مبكراً أن استشهاد هو الشرارة الجديدة التي ستندلع من زمن الانتفاضة إلى زمن المقاومة المسلحة ولتصبح قوات المقاومة الشعبية هي كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، التي قارعت الغزاة في غزة هاشم وأنحاء فلسطين، مستلهمة من فكر القائد وممارسته أبجدية نضال لا يتوقف إلا بدحر الغزاة عن الأرض الفلسطينية كلها، وعودة شعبها المهجر إليها، وبرمزية عودته ليدفع النضال قدماً إلى الأمام، كانت فلسطين بانتظاره هناك ليعود شهيداً انزوع في أرضها رمحاً وسارية، وليخضب ترابها بدمه ليمنحها دورة حياة في مقاومة مفتوحة، تتجدد في سياقات التاريخ الفلسطيني الوطني، وهو من خبر كيف تكون الطلقة وعياً يجترح سرديته المضادة لسردية الغزاة، وهو من خبر الهوية كينونة ليذهب في ترسيخها بفعله المقاوم، الذي اجترح زمن الفلسطيني العائد وليس المساوم، القابض على جمر حقه والمشبع بالكبرياء، فني ذكرى استشهاد نستعيد المثل والأمثلة لقادة استثنائيين حملوا فلسطين وعياً وهدفاً، وسددوا بنادقهم على مشروع احتلالي توسعي وقالوا لشعبهم: إن فلسطين تعود واحدة موحدة، ولن ترتعش أيدينا لنطلق على صدر ذلك المشروع، إذ لا مسافة بين الاستشهاد والعودة، كما لا مسافة بين الشهيد ووصاياء الأخيرة، في اجتراح زمن جديد للمعجزات، ولأسطورة الفلسطيني المسكون بوطنه أينما ذهب وكيفما اتجه حارساً للحلم، وذاهباً في أرضه بفضة روحه نشيداً لحرية الوطن السليب، ولمجد من أضاءوا كل دروبه.

تريد أن يعود الإنسان الغزي إلى ممارسة حياته الطبيعية: أن يعمل، وأن يتعلم، وأن يحب، وأن يختلف، وأن يخطط، وأن يبني، وأن يحلم. وهذا هو المعنى الحقيقي لإعادة الإعمار. إعادة الإعمار ليست إعمار البيوت فقط. إنها إعادة بناء الثقة، والمؤسسات، والتعليم، والثقافة، والاقتصاد، والعلاقات الاجتماعية، وقبل ذلك كله إعادة بناء الإنسان الذي أنهكته الحرب. ولذلك فإن المعركة المقبلة ليست معركة إزالة الركام وحده، بل معركة استعادة الحياة من بين الركام. على الفلسطينيين أنفسهم أن يدركوا أن حماية الحياة لا تكون فقط في مواجهة العدو، وإنما أيضاً في مواجهة الفوضى واليأس والكرهية والانقسام الاجتماعي والعنف. فالمجتمع الذي نريد بناءه بعد الحرب لا ينبغي أن يكون مجرد مجتمع نجا من القصف، بل مجتمعاً أكثر عدلاً وتماسكاً وكرامة. غزة لا تحتاج إلى الشفقة. تحتاج إلى العدالة. لا تحتاج إلى كلمات الإعجاب بصمودها بقدر ما تحتاج إلى موقف سياسي وأخلاقي يضمن لها حقها في الأمن والكرامة وإعادة البناء. فلا يجوز أن يتحول صمود الضحية إلى مبرر لتركها وحدها أمام الكارثة. ومع ذلك، تبقى الحقيقة الأكثر إشراقاً أن غزة لم تتوقف. في كل صباح جديد، هناك من يشعل النار ليعد الطعام. هناك طفل يركض. هناك أم تحتضن أبنائها. هناك شاب يبحث عن عمل. هناك معلم يحاول أن يشرح درساً. هناك من يزرع، ومن يصلح، ومن يبني، ومن يحب. وهذه الحركة اليومية الصامتة هي التي تجعل غزة أكثر من مكان نجا من الموت. إنها مكان ينتصر فيه الإنسان على محاولة تحويله إلى أثر بعد عين. قد يهدم الموت بيتاً، لكنه لا يستطيع وحده أن يهدم معنى البيت. قد يقتل إنساناً، لكنه لا يستطيع أن يقتل كل الذين أحبه. قد يمزق أسرة، لكنه لا يستطيع أن يمحو ذكرياتها. وقد يهدم مدينة، لكنه لا يستطيع أن يمنع أهلها من تخيلها وهي تنهض من جديد. لهذا فإن غزة لا تنتظر الحياة كي تعود إليها. غزة تصنع الحياة. تصنعها في الخيمة، وفي الصف المؤقت، وفي السوق الصغير، وفي الحقول، وفي البيوت التي بقيت واقفة، وفي البيوت التي لم يبق منها إلا جدار. تصنعها في دمعة أم، وفي ابتسامة طفل، وفي يد تمتد إلى يد، وفي قلب يصر على أن يحب رغم كل ما رأى. وهنا يكمن انتصار غزة الحقيقي: ليس في أنها لم تمت، بل في أنها، رغم كل الموت الذي مرّ بها، ما زالت قادرة على إنتاج الحياة. لقد أرادوا لها أن تكون مقبرة، فأصرت أن تبقى وطناً. أرادوا للركام أن يكون خاتمتها، فجعلته بداية جديدة. أرادوا أن يقتلوا المستقبل، فظل المستقبل يولد في عيون أطفالها. وهكذا، كلما ظن الموت أنه قال كلمته الأخيرة، خرجت غزة من بين الركام لتقول: ما زلنا هنا. ما زلنا أحياء. وسنظل نصنع الحياة.

تهدف إلى تغيير الواقع القضائي والمدني في الضفة الغربية المحتلة، وتمييق السيطرة الإسرائيلية في المنطقة من خلال الكشف عن سجلات الملكية الأردنية لمواطني الضفة الغربية إبان عهد الحكم الأردني.

وتشمل هذه القرارات ما يلي:

أ-رفع السرية عن سجلات الأراضي وإلغاء ما يُعرف بـ«رخصة الصفقة» حيث كانت سجلات الأراضي في الضفة الغربية غير متاحة للجمهور، الأمر الذي حدّ من التداول العلني وفرض المرور عبر الإدارة المدنية والحصول على رخصة خاصة لإتمام أي صفقة.

ويقضي القرار الجديد بإتاحة سجلات «الطابو» (الوثائق الرسمية والمحفوظات العقارية التي تثبت ملكية العقارات والأراضي)، للجمهور كما هو معمول به داخل (إسرائيل)، وإلغاء شرط الحصول على «رخصة صفقة» من ضابط التسجيل، واستبداله بشروط مهنية عامة، ما يعني عملياً تسهيل إجراءات التمليك، سواءً للمستوطنين أو للشركات التابعة لهم.

2-إلغاء القانون الأردني الذي استمر العمل به بعد عام 1967، والذي كان يحظر بيع العقارات لليهود، واستُخدم سابقاً كأداة لتقييد نقل الملكية إلى مستوطنين، إذ إن إلغاء القانون الأردني بالتوازي مع إلغاء رخصة الصفقة، يفتح المجال أمام اليهود لشراء الأراضي في الضفة الغربية بصورة مباشرة، وفق نموذج يقترب من قانون الملكية الإسرائيلي العادي، ويزيل طبقة من الرقابة العسكرية والأمنية التي كانت مفروضة على الصفقات العقارية.

3-نقل صلاحيات التخطيط والترخيص في الخليل، من البلدية الفلسطينية إلى مؤسسات التخطيط التابعة للإدارة المدنية، مع منح مديرية الخليل الإسرائيلية صلاحيات بلدية كاملة إضافة إلى إنشاء مديرية بلدية خاصة بمجمع قبر راحيل ومحيطه في مدينة بيت لحم، وهذا القرار يؤدي يفي المحصلة، إلى إقامة أطر حكم محلي مستقلة للمستوطنين، منفصلة عن السلطات الفلسطينية، في صورة تشبه بلديات إسرائيلية قائمة بحكم الأمر الواقع داخل الأراضي المحتلة.

ولا بد من التذكير هنا، أن المفاوضات

الفلسطيني الذي ارتكب جريمة التوقيع على اتفاق تقسيم الخليل في 15 يناير 199، بموافقة قيادة السلطة الفلسطينية والقيادة المتنفذة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والذي نص على تقسيم مدينة الخليل عام 1997(إلى قسمين H1)) خاضع لسيطرة الفلسطينية مدنيا وأمنياً (H2) خاضع بالكامل للسيطرة الإسرائيلية ويشمل البلدة القديمة- التي هي جوهر الخليل- والحرم الإبراهيمي، سهل خطة حكومة العدو في اتخاذ القرار الخاص بعموم مدينة الخليل.

4-إعادة تفعيل لجنة شراء الأراضي التي توقف عملها قبل نحو 20 عاماً، ما يعني عودة حكومة العدو لتكون طرفاً مباشراً وفاعلاً في سوق العقارات بالضفة الغربية، بما يعزز قدرتها على التأثير في خريطة الملكية، وتوجيهها بما يخدم مشاريع استيطانية ذات طابع استراتيجي.

5-توسيع صلاحيات الرقابة في مجالات المياه، والمواقع الأثرية، والمخاطر البيئية داخل مناطق أوب في الضفة الغربية، بحيث يصبح من صلاحيات حكومة العدو، إصدار أوامر بوقف الأعمال، وفرض غرامات، أو تنفيذ عمليات هدم لمنشآت قائمة، ويُعد هذا التطور تدخلاً مباشراً في مجالات يُفترض، وفق اتفاق أوسلو، أن تخضع مدنياً لإدارة السلطة الفلسطينية.

ثالثاً: إيعاز وزير الحرب الصهيوني «إسرائيل كاتس» في 14 أغسطس لجيش الاحتلال بإعداد خطة منظمة لنقل صلاحيات إنفاذ القانون، والتعامل مع المستوطنين في الضفة الغربية المحتلة إلى الشرطة الإسرائيلية، وبحيث تحل الشرطة الصهيونية محل الإدارة المدنية في الضفة الغربية التي يرأسها ضابط في جيش الاحتلال.

وينطوي هذا القرار – حسب مركز عدالة الفلسطيني وأوساط حقوقية أخرى- على أخطار عديدة منها:

1-الضم الفعلي الصامت للضفة، إذ إن

نقل الصلاحيات لشرطة مدنية تعمل بموجب قوانين «الكنيست»، يعني التعامل مع الضفة كجزء من السيادة الإسرائيلية الداخلية، وليس كأرض محتلة تخضع للقانون الدولي الإنساني والإدارة العسكرية.

2-تعميق نظام الفصل العنصري (الأبارتهايد): فهذا القرار الإجراءي يؤدي إلى تكريس نظامين قانونيين منفصلين في ذات البقعة الجغرافية؛ نظام مدني إسرائيلي يحكم المستوطنين ونظام عسكري صارم يطبق على الفلسطينيين.

3- يستهدف هذا الإجراء، توسيع مصادرة الأراضي والاستيطان في إطار استراتيجية حكومة العدو المعلنة، وخلق المزيد من البؤر الاستيطانية، وتشريع البؤر الاستيطانية السابقة لتتحول إلى مستوطنات الجديدة، وتسهيل شراء الأراضي.

وقد وصف وزير الأمن الصهيوني هذا القرار الإجراءي بالتاريخي وأنه يساهم في تسريع عملية ضم الضفة الغربية للكيان الصهيوني، كما تندرج هذه الخطوة ضمن استراتيجية حكومية أوسع لتسريع الاستيطان، وتسوية أوضاع البؤر العشوائية، وتسهيل شراء الأراضي قبل أي متغيرات سياسية أو انتخابات مرتقبة.

أدوات وآليات تنفيذ مخطط الضم الصهيوني

أولاً: المستوطنون أداة مركزية لتنفيذ القرارات السابقة

تشهد الضفة الغربية المحتلة تصعيدياً في اعتداءات المستوطنين والعمليات العسكرية الإسرائيلية منذ اندلاع حرب الإبادة الإسرائيلية في غزة في أكتوبر/ تشرين الأول 2023، بالتزامن مع توسع النشاط الاستيطاني وفرض قيود على حركة الفلسطينيين.

وقد تولت قطعان المستوطنين وبدعم من جيش الاحتلال من فترة طويلة، تنفيذ مخطط ضم الضفة الغربية، وتحويل هذا المخطط إلى أمر واقع، خدمة لتحقيق هدف تهجير أبناء شعبنا من الضفة الغربية إلى الخارج، مع إبقاء نسبة محدودة جداً منهم وفق معادلة «أرض أكثر وعرب أقل». ولا يكاد يمر يوم واحد دون أن نسمع عن اقتحام قطعان المستوطنين لهذه القرية أو تلك في عموم أرجاء الضفة

الغربية والاعتداء، بالضرب على المواطنين وإطلاق الرصاص عليهم وإحراق ممتلكاتهم وسرقة مواشيهم، وما حدث في بلدة التل من اعتداء بإطلاق النار على المواطنين ما أسفر عن استشهاد أربعة مواطنين، وكذلك الاعتداء الأخير على ركاب سيارة لعائلة من بلدة المغير، بالحجارة والبلطات والسكاكين، الذي أسفر عن إصابة (19) فلسطينياً من أفراد العائلة، ومن المواطنين الذين هبوا لنجدة أبناء قريتهم، إلا مؤثر يحاكي جرائم ومجازر عصابات «الهاجانا وشترين وإتسل ولحي» قبل نكبة 1948 بهدف دفع المواطنين إلى النزوح والهجرة خارج الوطن.

واعتداءات المستوطنين، تتم يومياً في عموم أرجاء الضفة الغربية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما حدث في قرى برقة والمغير ودير جرير شرق رام الله وفي قرى صفا وبيتونيا غرب رام الله ، وبلدة بيت عنان وبُدُو والجيب شمال غرب القدس المحتلة، وبلدتي عرابة ويعبد غرب مدينة جنين، وقرية أوصرين جنوب شرق نابلس، ومنطقة رأس العين ببلدة قصرى جنوب نابلس، المحاصرة منذ أكثر من أسبوعين من قبل المستوطنين والجيش ومنع السكان من الوصول إلى المنطقة، لعزل عائلات فلسطينية ودفعها للرحيل، بهدف إقامة مستوطنة فيها تخدم خط استيطاني يبدأ من الساحل وينتهي في منطقة الغور ، وكذلك قرى مسافر يطا وحلحول وسعير وبني نعيم قضاء الخليل ألخ، وجميع هذه الاعتداءات تؤشر إلى مخطط اغتصاب الأرض والضم والتهجير.

تجد الإشارة هنا أن الاعتداءات على هذه البلدة أو تلك، يتبعها أمران هما: إقامة خيمة كمقدمة لإقامة بؤرة استيطانية جديدة في البلدة، والاستيلاء على معظم أراضي القرية، فعلى سبيل المثال ، أعلن المستوطنون سيطرتهم على أكثر من 11 ألف دونم من أراضي قرية برقة من أصل 12 ألف دونم، واستيلائهم على أكثر من 4000 دونم من أصل 4800 دونم من أراضي أم صفا غرب رام الله.

ووفق معطيات نشرتها هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، قتل المستوطنون 25 فلسطينياً منذ مطلع 2026 وحتى 25

أغسطس/ آب 2026، بينما بلغت الحصيلة 61 شهيدا منذ أكتوبر/ تشرين الأول 2023، و87 شهيدا منذ 2019، معظمهم من محافظتي رام الله والبيرة ونابلس.

وخلال النصف الأول من 2026، نفذ المستوطنون (3000) 488 اعتداءً في الضفة الغربية، أسفرت عن استشهاد 17 مواطناً فلسطينياً، وتهجير (26) تجمعاً بدوياً ورعويّاً بصورة كلية أو جزئية، إلى جانب إقامة (42) بؤرة استعمارية جديدة، معظمها بؤر رعوية وفق إحصائية هيئة مقاومة الجدار الاستيطان الفلسطينية.

ثانياً: التوسع في بناء المستوطنات

يشهد الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية عام 2026 تصاعداً كبيراً وغير مسبوق عبر التهام آلاف الدونمات وإقامة عشرات البؤر الاستيطانية الجديدة في المناطق الخاضعة لسيطرة السلطة الفلسطينية وفق اتفاقيات أوسلو، حيث التهم الاستيطان ما يزيد عن 22 ألف دونم من الأراضي الفلسطينية لبناء بؤر استيطانية جديدة وإقامة 19 ألف وحدة استيطانية.....

وبلغ إجمالي عدد المستوطنات والبؤر الاستيطانية الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة نحو 592 تجمعاً استيطانياً حتى منتصف عام 2026، وفقاً لتقارير هيئة مقاومة الجدار والاستيطان.

وأعلن سموتريتش أن الوقت حان لمحو الخطوط التي تفصل بصورة دائمة بين المناطق (أ) و(ب) و(ج)، معلناً أن هدفه يتمثل في إلغاء اتفاقيات أوسلو وتفكيك السلطة الفلسطينية، وصولاً إلى فرض السيادة الإسرائيلية، كما أعلن عن انطلاق برنامج استيطاني لربط مستوطنة «معاليه أدوميم» بمدينة القدس المحتلة بعد أكثر من 20 عاماً من التأجيل، وذلك بواقع 1200 وحدة استيطانية وفق خطة E1، ما يؤدي إلى عزل القدس الشرقية، وفصل شمال الضفة عن جنوبها ما يحول دون قيام الدولة الفلسطينية.

وكانت سلطات الاحتلال قد صادقت عام 2025 على إقامة 28 ألف وحدة استيطانية جديدة بالضفة الغربية المحتلة، التي يقيم بها حوالي 850 ألف مستوطن، نصفهم في مدينة القدس.

ثالثاً: إلغاء دور وكالة الغوث

الأونروا) في الضفة الغربية

وجاء هذا القرار بذريعة دور موظفي الأونروا المزعوم، في معركة السابع من أكتوبر 2023، حيث تم إغلاق مقر الأونروا الرئيسي في القدس، ما يعكس خطة العدو لتفريغ مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية – التي ترمز إلى حق العودة- ويزيد عددها عن (19) مخيماً، توطئةً لتهجيرهم وذلك بعد أن تم هدم مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس، ما أدى إلى نزوح ما يزيد عن (13) ألف مواطن فلسطيني إلى القرى المجاورة.

ولم تكتف سلطات الاحتلال بهدم المخيمات سالفة الذكر، بل باشرت بتاريخ 25 أغسطس / آب 2026، باقتحام معهد قلنديا للتعليم المهني التابع للأونروا في منطقة كفر عقب قرب القدس ورفع العلم الإسرائيلي على مبانيه وإنزال علم الأمم المتحدة، كما أخلت قوات الاحتلال المعهد من طواقمه الإدارية والتعليمية بالقوة تمهيداً لهدمه.

ارهاصات انتفاضة جديدة.. ولكن؟؟!

هذه الخطط والإجراءات الصهيونية، تجري مواجهتها من قبل أبناء شعبنا الأعزل بما تيسر لهم من أدوات بسيطة، حيث إن إرهاصات انتفاضة جديدة باتت تعتمل في صدورهم، لكن هذه الارهاصات تحتاج إلى قيادة وطنية لتأطيرها، على النحو الذي حدث إبان انتفاضة الحجارة وانتفاضة الأقصى، قيادة تضع حداً لإجراءات السلطة الفلسطينية الأمنية التي تحول دون اندلاع انتفاضة جديدة، حيث بات أبناء شعبنا يقبعون بين مطرقة الاحتلال وسندان السلطة وتنسيقها الأمني.

أما البيانات التي تندد بإجراءات الاحتلال، الصادرة عن الفصائل الفلسطينية والدول العربية والإسلامية، وعن الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ، فلا قيمة عملية لها في غياب الإجراءات المادية الملموسة ضد مخططات الاحتلال، بل أن رئيس وزراء العدو نتنياهو بات يوظف تحديه لها، في الانتخابات المزمع عقدها في 27 سبتمبر/ أيلول القادم.

هل تنضم سوريا إلى اتفاقية مكة؟

قراءة في المكاسب والمخاطر المحتملة

د. عزيز موسى - كاتب وباحث في الشؤون الدولية والأمنية - سورية

شكّل الإعلان عن توقيع «اتفاقية مكة للدفاع المشترك» بين المملكة العربية السعودية وتركيا وباكستان، في 7 أغسطس/آب 2026 بمكة المكرمة، خطوة فارقة في إعادة تشكيل بنية الأمن الإقليمي، فالاتفاقية التي تقوم على مبدأ أن «أي هجوم مسلح على إحدى الدول الأعضاء يُعدّ هجوماً على الجميع»، تمثل أول إطار أمني جماعي يجمع دولاً عربية وغير عربية منذ حلف بغداد عام 1955، وأول اتفاق دفاعي توقعه الرياض خارج مظلة مجلس التعاون الخليجي، وقد جاء هذا التحول في لحظة إقليمية بالغة الحساسية، تلت الحروب الإسرائيلية المتتالية التي أعقبت السابع من أكتوبر 2023، وبلغت ذروتها في الحرب الأمريكية-الإسرائيلية مع إيران، مما فتح النقاش حول احتمال انضمام سوريا إلى هذه المنظومة، بعد أن أعلن وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني أن دمشق تدرس فعلياً هذا الخيار خلال زيارته للعاصمة الباكستانية إسلام آباد.



ومحاسبة المسؤولين الصهاينة على هذه الجرائم التي تتجاهل القانون الدولي». أما مكتب الرئاسة التركية فقد نفى المزاعم التي أطلقها نتنياهو بحق تركيا كونها «تهدف إلى شرعة العريضة الإسرائيلية التي تستهدف سيادة سورية ووحدة أراضيها»، وتابع المكتب بيانه «ستواصل تركيا التعاون مع سورية الجديدة على أساس مشروع ومن أجل إرساء الأمن والرفاه والاستقرار فيها، ولن تسمح بزعة أمنها أو النيل منها»!!

وعليه، لن يفلح العدوان الصهيوني بتغيير السياسة التركية ومواقفها حيال مواصلة التعاون مع سورية، لكن ليس وارداً أن يفضي النزاع بين تركيا و«إسرائيل» إلى التورط في صدام عسكري مباشر بينهما، خاصة وأن «إسرائيل» تدرك جيداً التكلفة الباهظة لأي مواجهة مع تركيا، بالنظر إلى قوتها العسكرية، وعضويتها في حلف الناتو والعلاقات الودية بين رئيسها ورئيس الإدارة الأمريكية، فضلاً عن أنها دولة قادرة على ردع المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى الاستفراد بدول الإقليم..!

لقد علّق السفير الأمريكي في تركيا «توماس باراك» على العدوان الصهيوني ووصفه بـ «التصعيد غير المبرر». وعكست تصريحاته حجم التخوف الأمريكي من تحول الأراضي السورية إلى ساحة اشتباك مباشر بين «دولتين في حلف الناتو» وفي الوقت نفسه حليفين لواشنطن، وهما «تركيا وإسرائيل»!

ليس خافياً حجم التوتر المتنامي بين «أنقرة وتل أبيب» على خلفية ملفات كثيرة. إلى حد أن تحذيرات عديدة صدرت من بعض الأطراف تحذر من الصدام الوشيك بين الطرفين! وصرّح توم براك قائلاً: «العمل جار من أجل إنشاء آلية تنسيق أمني تمنع الاحتكاك بين تركيا وسورية من جهة وإسرائيل من جهة أخرى» وتابع قائلاً: «تركيا لم تتلق إشعاراً مسبقاً بالضربة الإسرائيلية، لكن أجهزة راداراتها رصدت الطائرات الإسرائيلية المتجهة نحو حدودها.. وكان يمكن أن يؤدي ذلك إلى رد فعل تركي مختلف.. ولحسن الحظ تمكنت العقول الباردة من منع التدهور لما هو أسوأ..!

- خلاصة القول: يحمل العدوان الصهيوني على سورية ما هو أعمق وأكثر من «رسالة مزدوجة» إلى كل من سورية وتركيا كي تنضويان ضمن المساعي الصهيونية لإعادة تموضع سورية، وإبقائها في حالة من الضعف والتفكك وفق ما تقتضيه مصالح ائتلاف اليمين القومي الديني الفاشي الصهيوني، ويتماشى مع ما يقوم به جيش الاحتلال في الجنوب السوري، حيث يحاول عرقلة أي تواجد عسكري سوري فيه.. كما تواصل «إسرائيل» دعمها للمحاولات الانفصالية التي يقودها زعيم حركة الموحدون في جبل العرب حكمت الهجري في محافظة السويداء!

من حق سورية الخارجية من حرب استمرت «14» عاماً وهي مدمرة ومنهكة، الالتفات إلى التعافي وإعادة بناء الدولة وإنقاذ الاقتصاد وتوفير الحياة الأفضل للشعب السوري.. بوصف كل ذلك من الأولويات التي يتطلع إليها السوريون. لذلك تحاول الإدارة الجديدة تجنب أي صدام مع «إسرائيل» والتفرغ لإعادة الإعمار والبناء.

غير أن حكومة الاحتلال ليست في موقع منح دمشق فرصة التعافي وإعادة البناء.. وليس أمام سورية الجديدة راهناً سوى المضي قدماً في اعتماد النهج الواقعي البراغماتي والاعتماد على مقاومة وتضحيات الشعب السوري والحاضنة القومية والبلدان الصديقة في مواجهة التوغّل والصهيويأمريكي..

تسعى لإطلاق يديها لتوسيع الحرب في الإقليم عبر اللجوء لتوجيه الضربات المتتالية على أكثر من جبهة، وهو ما يحتاجه نتنياهو وحكومته المتطرفة لدعم رصيدهم الشعبي قبل انتخابات الكنيست في تشرين الأول 2026.

• ردود الفعل السورية والتركية:

لا تزال حكومة دمشق مهتمة بتقديم مشهد سوري مختلف عن مشهدها السابق خلال فترة نظام الأسد - الأب والإبن - وبالتالي تقديم نفسها إقليمياً ودولياً بوصفها دولة تتطلع لإعادة الإعمار وإعادة بناء نظامها ومؤسساتها، وتأهيل بيئتها الداخلية من أجل التعافي والاستقرار. ولم تتخذ أي إجراءات عدائية نحو دولة الاحتلال، بل حاولت طوال الشهور الماضية التوصل إلى «اتفاق أمني» وهو ما صرح به وزير خارجيتها أسعد الشيباني - أكثر من مرة - سعيًا منها لخفض التصعيد بين الجانبين. لكن توجهها هذا بدأ بالتبدل بسبب التعتت والاشتراطات الصهيونية. وأعلنت أنها بحاجة للدفاع عن شعبها وبلادها في مواجهة الاعتداءات الصهيونية المتكررة..!

اختارت دمشق مساراً مختلفاً، غير أنها بقيت محافظة على الدبلوماسية والبراغماتية عبر تبني خطاب سياسي يدين الاعتداءات ويدعو للتحرك من داخل المؤسسات الأممية والقانونية الشرعية. إضافة لحشد الدعم الإقليمي والدولي الرافض للانتهاكات الصهيونية، جنباً إلى جنب مع تدارك الانزلاق نحو مواجهة عسكرية مباشرة مع دولة الاحتلال، بالرغم من تكرار الاجتياحات والتوغلات في أراضيها.

دخلت دمشق بعدد من «جولات التفاوض» غير المباشرة مع العدو الصهيوني عبر الوسيط الأمريكي، ولا تزال جاهزة للانخراط فيها من أجل التوصل إلى «تساهمات أمنية» جديدة تضع حداً للعدوانية الصهيونية. لكنها في الوقت نفسه ترفض الإذعان للشروط الإسرائيلية. فليس أمام دمشق راهناً سوى مواصلة النهج الدبلوماسي البراغماتي، وتعزيز علاقات التحالف والتعاون مع تركيا ودول المنطقة وعلى مستوى كافة المجالات..!

من جانبها اعتبرت الخارجية التركية العدوان الصهيوني على مطار أبو الظهور تهديداً مباشراً للأمن القومي التركي، وأدانت العدوان بشدة، ودعت «المجتمع الدولي» لاتخاذ مواقف أكثر حزماً لوقف الاعتداءات الصهيونية المتصاعدة على سورية والمنطقة

العدوان الصهيوني على سورية: رسالة استباقية للجار التركي

محمد صوان - كاتب سياسي فلسطيني - تركيا



على قطاع غزة بحجة تصفية قادة المقاومة الميدانيين، وحصدت خلال شهر آب 2026 أكثر من «150» شهيداً بينهم «30» طفلاً والباقي من المدنيين، ونفذت عمليات تصعيد استيطاني وعسكري في الضفة الغربية شملت هجمات لقطعان المستوطنين المحميين من الجيش على بلدات ومخيمات عديدة في شمال الضفة الغربية وفي المنطقة التي تعرف باسم «E 1» قرب القدس، لشطر الضفة الغربية إلى نصفين بهدف منع قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة..!

• لماذا سورية الآن؟:

لا يمكن قراءة الفارات على مطار «أبو الظهور» بوصفها حادثة منقطعة عن مسار أشمل، فمنذ سقوط نظام الأسد في 8/2024 تعرضت سورية لنحو «500» غارة إسرائيلية، إضافة إلى «900» اجتياح بري للأراضي السورية!

تركز «إسرائيل» باستهدافها المواقع العسكرية السورية التي تتصل بإعادة برامج التأهيل أو التعاون مع تركيا، من بينها مطار «T 4» في تدمر ومطار «حماء العسكري»، إضافة لدأبها بتوسيع مجال الاحتلال، وإنشاء «أحزمة أمنية عازلة» داخل الأراضي السورية واللبنانية والفلسطينية!

كل ذلك يؤشر إلى أن العدوان الصهيوني المتواصل في المنطقة لم يعد مجرد ضربات استباقية.. بل انتقل إلى إدارة المجال الحيوي، والسعي لإنتاج وقائع قابلة للتحويل إلى «ترتيبات سياسية أمنية» وتتزامن تلك الاعتداءات مع تنامي وتيرة التهديدات الإسرائيلية الموجهة إلى سورية، وتعريفها بـ «غزة المضخمة» وأن الصدام معها قادم، وأن رئيسها أحمد الشرع «العدو الشرر لإسرائيل»!

كل ذلك يندرج ضمن «التوجهات الإسرائيلية» للتعامل مع سورية الجديدة.. وإبقائها دولة ضعيفة أمنياً ومفككة ديمغرافياً وسياسياً، وغير مسموح لها بالتعافي والنهوض والتطور الطبيعي..!

إن حكومة اليمين القومي الديني الصهيوني

يوم 2026/8/18 قصفت «إسرائيل» قاعدة أبو الظهور الجوية في محافظة إدلب شمال غرب سورية، متهمه دمشق بـ «انتهاك اتفاق» عبر السماح بانتشار قوات تركية فيها، في خطوة أثارت غضب الإقليم والعالم.. وعلى الفور نفت دمشق «وجود أي اتفاق مع إسرائيل، وعدم وجود أي قوات تركية في الموقع المستهدف»! واعتبرت القصف الإسرائيلي «انتهاكاً صارخاً لسيادة الدولة وعدواناً أثماً على أراضيها»!

تنتهج حكومة تحالف اليمين القومي الديني الفاشي في «إسرائيل» سياسة يسميها الصهاينة أنفسهم «هستيريا الجبهات الساخنة» سواء كان ذلك في قطاع غزة أو الضفة الفلسطينية المحتلة أم في لبنان، أم على الجبهة السورية.. فحكومة وجيش الاحتلال يبرران هذا التصعيد بحجج أمنية واهية، وترى وسائل الإعلام العبرية وعبر عدد من المحللين الصهاينة أن ذلك هو محاولات لإنقاذ حكومة اليمين القومي الديني من الهزيمة في الانتخابات التي ستجري يوم 27 تشرين الأول 2026، فعلى مدار شهر آب 2026 نفذ الجيش الإسرائيلي «27» غارة جوية على سورية و«36» عملية اجتياح بري واعتقل «11» مواطناً سورياً، وترافق ذلك مع تهديدات من المسؤولين السياسيين والعسكريين موجّهة لتركيا التي يتهمونها بإقامة قواعد عسكرية على الأراضي السورية، وهو الأمر الذي تنفيه كل من أنقرة ودمشق بشكل قاطع ورسمي..! وفي الوقت نفسه تنفذ حكومة تل أبيب غارات وحشية

الفرص التي تتيحها الاتفاقية السورية

بعد خروج سوريا من حرب استمرت لما يقارب عقداً ونصفاً من الزمن إضافة إلى الانهيار المؤسسي، تعيد سوريا قراءة التحديات الأمنية التي يمكن أن تواجهها من وجهة نظر أكثر واقعية، إذ باتت ترى الإدارة السورية ضرورة الانتقال إلى صيغة أمنية تضمن مظلة ردع تعوّض هشاشة قدراتها الذاتية، فمبدأ الدفاع الجماعي الذي شبّهه وزير الخارجية التركي هاكان فيدان بالمادة الخامسة من ميثاق الناتو ضمن اتفاقية الدفاع المشترك، وإن ظل رهناً بالتشاور السياسي بين الأعضاء يمنح الدولة العضو ثقلًا ردعياً إضافياً لا يقوم على قدراتها وحدها، بل على الالتزام السياسي لشركائها، وهذا أمر بالغ الأهمية لدمشق التي تواجه ضغوطاً أمنية متعددة المصادر، وتنافساً تركيا-إسرائيلياً متصاعداً حول شكل الترتيبات الأمنية على أراضيها.

جدد أو طبيعة الموافقات المطلوبة، وهو ما يجعل الحديث عن «انضمام» سوريا سابقاً لأوانه من الناحية الإجرائية، إذ لا يوجد حتى الآن أي دعوة رسمية موجهة إليها.

ثانياً، أن سوريا لا تزال دولة تحت الاحتلال الجزئي، مع استمرار الغارات الإسرائيلية المتكررة على أراضيها واحتلال إسرائيل لمرتفعات الجولان منذ 1967، وهو ما يعني أن انضمامها الفعلي قد يضع الاتفاقية أمام اختبار مباشر لمصداقيتها الردعية منذ اللحظة الأولى، فيما لا تزال الدول الثلاث الموقعة تتباين في علاقاتها مع واشنطن وتل أبيب وطهران، الأمر الذي يجعل الانتقال من صياغة «الهجوم على دولة هجوم على الجميع» إلى استجابة عسكرية موحدة أكثر تعقيداً بكثير مما توحى به اللغة السياسية للبيان.

ثالثاً، هشاشة المؤسسة العسكرية السورية ذاتها التي لا تزال في طور إعادة البناء بعد سنوات الحرب، ما يطرح تساؤلات حول جاهزيتها للانخراط في التزامات تحالف من هذا النوع، ويضاف إلى ذلك تعدد الفاعلين النافذين في الملف السوري، من تركيا إلى الدول الخليجية إلى الفاعلين الدوليين، بما يجعل أي خطوة سورية نحو تحالف عسكري إقليمي محكومة بحسابات توازن دقيقة، لا سيما أن الخبراء يميزون بين احتمال أن تصبح دمشق عضواً رسمياً في الاتفاقية، وبين احتمال أقرب أن تحصل عملياً على جزء من مظلة الردع بشكل غير مباشر عبر شراكتها الأمنية المتمعة مع أنقرة.

إسرائيل والاتفاقية: من هو المخاطب الحقيقي؟

على الرغم من أن الاتفاقية لا تسمي أي طرف بوصفه هدفاً، إلا أنه تحمل مؤشرات موجهة بشكل أساسي إلى إسرائيل نظراً لاتساع نطاق العمليات العسكرية الإسرائيلية في المنطقة، بما شمل ضربات طالت أراضي عدة دول، من بينها الهجوم الذي استهدف قيادات حماس في قطر في أيلول/سبتمبر 2025، وهو ما دفع قادة الخليج والقمة العربية-الإسلامية في الدوحة إلى التحذير من أن السلوك الإسرائيلي بات يهدد الأمن الإقليمي

برمته ويقوّض فرص التسويات القائمة والمرتبقة، من هذا المنظور فإن انضمام سوريا الواقعة على خط تماس مباشر مع إسرائيل وتحت غاراتها المتكررة، سيقرأ في تل أبيب باعتباره تمهداً لمنظومة ردع إقليمية إلى حدودها الشمالية مباشرة، ويحمل احتمال دفع إسرائيل إلى تصعيد استباقي لمنع ترسّخ أي شكل من أشكال الشراكة الدفاعية على حدودها، بدل انتظار تبلور الاتفاقية كأمر واقع.

سيناريوهات مستقبلية

يمكن تصور ثلاثة سيناريوهات تتعلق بمستقبل تطور هذه الاتفاقية والانضمام إليها: الأول هو الانضمام الرسمي الكامل، وهو الأقل ترجيحاً في المدى القريب نظراً للعوائق القانونية والسياسية والأمنية المذكورة آنفاً، أما الثاني، وهو الأكثر واقعية حالياً، يتمثل في تعميق شراكة أمنية وعسكرية ثنائية أو ثلاثية غير مؤسسية مع تركيا والسعودية، تشمل التدريب والتسليح وربما بناء أنظمة قيادة وسيطرة مشتركة، دون رابط رسمي بالاتفاقية، أما الثالث فهو أن تبقى مسألة الانضمام «ورقة تفاوضية» تستخدمها دمشق لتحسين موقعها في مواجهة الضغوط الإسرائيلية والمطالب الدولية المرتبطة بترتيبات أمنية جنوب سوريا، دون أن تتحول فعلياً إلى التزام تعاقدي.

تبقى اتفاقية مكة في مرحلتها الراهنة، إطاراً مؤسسياً وليداً أكثر منها منظومة دفاع جماعي مكتملة الأركان، وتحولها الفعلي رهين بقدرة أطرافها الثلاثة على تجاوز تباين أولوياتهم الاستراتيجية، وبالنسبة لسوريا، فإن الفرص الأمنية والسياسية والعسكرية التي يوفرها الاقتراب من هذه المنظومة حقيقية، لكنها مشروطة بمخاطر واقعية تتصل بالوضع الجيوسياسي الهش للبلاد وموقعها كدولة تحت الاحتلال الجزئي في مواجهة مباشرة مع القوة العسكرية الإسرائيلية المهيمنة إقليمياً، لذلك يبدو المسار التدريجي القائم على تعميق الشراكة الثنائية مع تركيا والسعودية، مع إبقاء خيار العضوية الرسمية مفتوحاً كأداة تفاوضية، السيناريو الأكثر ترجيحاً على المدى المنظور.

ترامب..

فرصة العودة إلى مذكرة التفاهم أم (جرصة) الحرب؟

حمزة البشتاوي - كاتب وإعلامي فلسطيني - لبنان



أزمة استراتيجية عميقة تعيشها الإدارة الأميركية في الحرب التي شنتها ضد إيران بشعارات كبرى، ثم تحولت لاحقاً إلى معركة استنزاف في ممر مائي ضيق يسيطر عليه الحرس الثوري الإيراني، الذي يؤكد أن فتحه أو إغلاقه هو شأن إيراني دائم وثابت، لا تغيّره السفن الحربية أو تغريدات ترامب.

وعلى ترامب أن يختار ما بين فرصة العودة إلى مذكرة التفاهم، أو (جرصة) العودة مجدداً إلى الحرب التي يفترق فيها إلى القدرة والإرادة، ويخاف من كلفتها الباهظة بشرياً ومادياً، وانكشاف حقيقة القوة الأميركية والتضليل الاستخباراتي الذي استُخدم لشنّ العدوان، والذي وقف مرتكبه عاجزين أمام إرادة وقرار الصمود والمواجهة من جانب إيران.

إن العودة إلى الحرب يتوقع أن تُظهر مجدداً عجز إدارة ترامب أمام إيران، وهذا ما قد يجعلها حاضرة في العجز أيضاً أمام الصين وروسيا، وكذلك كوريا الشمالية، وأمام مسألة أمن الملاحة العالمية.

ويضاف إلى ذلك تراجع تأثير الولايات المتحدة ونفوذها، وفشلها في معالجة مشاكلها الداخلية، فضلاً عن الفشل في سياستها الخارجية، بعد أن أصبحت

تتأرجح سياسة الرئيس الأميركي دونالد ترامب ما بين فرصة العودة إلى مذكرة التفاهم الموقعة في حزيران 2026، وبين (جرصة) العودة مجدداً إلى الحرب التي فشل في تحقيق أهدافها، إضافةً إلى عدم القدرة على حسمها، وفشل الرهان الأميركي- الإسرائيلي على زرع الفوضى في الداخل الإيراني، الذي أثبت وحدة غير مسبقة والتفافاً حول قيادته دفاعاً عن الكرامة والبلاد.

وفي ظل هذا التآرجح الأميركي، تظهر الفجوة الكبيرة ما بين تصريحات ترامب الوهمية والحقائق الميدانية التي تشير إلى بقاء البرنامج النووي والصواريخ الباليستية والعلاقة بين إيران وحلفائها من دون أي تغيير، وكذلك بقاء مضيق هرمز مفتوحاً، من دون أن تفتح تصريحات ترامب، الذي شنّ الحرب من أجل تدمير سلاح نووي غير موجود، وفتح مضيق لم يكن مغلقاً، كما قال الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما.

منذ أن تحولت الأهداف الأميركية - الإسرائيلية من إسقاط النظام إلى فتح مضيق هرمز، ومن نصر سريع إلى محاولة الخروج بأقل الخسائر من الحرب، لم يعد الأمر مجرد جزء من التخبط الأميركي في تحديد الأهداف، بل أصبح تعبيراً عن

تصرفاتها، بشكل أكثر وضوحاً، تشكل الخطر والتهديد الأول للسلم والأمن في العالم.

لقد استطاعت إيران، في الحرب، أن تفقد الجيش الأميركي تفوقه، وأن تدمر العدد الأكبر من قواعده في المنطقة، التي لم يستطع حمايتها رغم كل ما يمتلكه من أسلحة. وقد ظهر أن هذه الأسلحة تتناسب مع معارك الأمس، وليس مع معارك اليوم، التي أصبحت فيها الساحة للطائرات المسيّرة، التي تتفوق فيها إيران بشكل كبير، وتصل إلى أي مكان تريده بكلفة قليلة، مقارنةً بما تكلفه الطائرات والصواريخ الأميركية التي تستطع قصف أهداف في إيران، بحثاً عن انتصار تكتيكي لم يتحقق، وسط الكثير من المؤشرات التي تتحدث عن الخسارة الاستراتيجية التي ستصاب بها الولايات المتحدة الأميركية وإدارتها وقواتها ومصالحها في المنطقة.

وقد أجبرت إيران الولايات المتحدة على الدخول في مفاوضات عنوانها البحث عن طريق للخروج من الحرب، بدلاً من تحقيق الحسم أو أي نصر فيها، وهذا هو ملخص مذكرة التفاهم.

انتقلت تصريحات ترامب في هذه المرحلة من الحديث بلغة الصدمة والرعب وحسم الحرب، إلى استخدام لغة استعراضية جديدة عنوانها المزيد من التهديد بالضغط الاقتصادية، وسط تعثر المفاوضات، التي تزيد تصريحات ترامب من تعثرها، وهو الذي يظن أن الحرب هي تطبيق إلكتروني أو لعبة فيديو دخلها وفق حسابات مرتبطة بعدد الصواريخ التي يمتلكها، وبعد أشهر من الحرب راح يسأل: كيف يمكن الخروج منها من دون أن يبدو وكأنه خرج منها لأنه لم يستطع إكمالها أو تحقيق أهدافها؟

في حالة اللاسلم واللاحرب، تعتبر العودة إلى مذكرة التفاهم بالنسبة إلى إيران عدم تقديم أي تنازلات، بل هي فرصة لتجاوز حالة الاحرب واللاسلم من دون أي تراجع أمام الضغوط الخارجية ومحاولات إضعاف إيران، التي تستخدم فيها الولايات المتحدة كل الوسائل، ومنها الضغط على إيران لفتح مضيق هرمز المغلق تماماً، بغض النظر عن ادعاءات ترامب بأن هناك من يتعاون معه، وهذا من المستحيل أن يحصل.

ويبقى السؤال المطروح: هل ستستفيد إدارة ترامب من فرصة العودة إلى مذكرة التفاهم، التي لا تعني أن واشنطن وطهران

سوف تتبادلان الورد، أو أن سنوات العداء سوف تنتهي بكلمة، وإنما تعني أن تفعل السياسة ما عجزت عنه الحرب، التي تصر فيها إيران على الصمود وتحقيق النصر، بينما يستمر ترامب في مؤتمراته الصحافية بتهديد إيران ومطالبتها بالاستسلام ورفع الراية البيضاء؟

رغم كل ما قيل وسيقال، الفرصة ما زالت متاحة للعودة إلى مذكرة التفاهم باعتبارها مخرجاً يخفف من وطأة الهزيمة الأميركية، على أن تبدأ العودة إليها بوقف التصعيد والبدء في مفاوضات عبر الوسطاء، والالتزام ببنود المذكرة، التي يجب عدم الخروج منها الآن، ولا في عهد أي رئيس قادم في الولايات المتحدة يأتي ويقول: هذه المذكرة لا تعجبني، بعد انتهاء ولاية ترامب.

إن مذكرة التفاهم تتضمن نقاطاً أساسية ومهمة تتعلق بوقف الحرب على إيران ولبنان وكل الجبهات، ورفع العقوبات والأموال المجمدة، وفتح مضيق هرمز، والحفاظ على البرنامج النووي مع وضع قيود عليه. وتركز إيران على هدف استراتيجي، وهو خروج القوات الأميركية من المنطقة.

وقد بدأ حلفاء الولايات المتحدة يبحثون عن بدائل، ليس لأنهم يرغبون في ذلك، بل لأنهم لم يعودوا يثقون بقدرة الولايات المتحدة على توفير الأمن والحماية. وقد تسمح العودة إلى مذكرة التفاهم، التي يعترض عليها اللوبي الصهيوني، بظهور نهج أميركي أكثر تواضعاً، يسمح للولايات المتحدة بأن تحظى بمكانة بين الدول، وسط تقدير عام بأن الفشل الأميركي لم يعد هزيمة عسكرية فقط، بل تحول إلى بوابة لانهايار المظلة الردعية التي كانت حجر الزاوية في الوجود الأميركي في المنطقة.

لكن الواقع الحالي والفشل الواضح يستدعيان الانطلاق نحو استراتيجية جديدة تقوم على الواقعية والتوازن، بدلاً من الأوهام والتبجح، اللذين لن يستطيعا إخفاء تراجع الهيمنة الأميركية حول العالم، وتراجع قدرات الولايات المتحدة على التأثير العالمي الذي كانت تمارسه خلال العقود الماضية.

لأن وعي الانتصار اليوم وانتصار الوعي يؤكدان أن الحرب لن تنتهي لصالح العدوان.

موقف واشنطن والكيان الصهيوني من اتفاق مكة الدفاعي

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي - سورية



بصورة مفاجئة من دون مقدمات أو إشارات، وسط جلبة الحرب الأميركية الإسرائيلية من جهة، والإيرانية من جهة أخرى، تم التوقيع على اتفاق ثلاثي دفاعي مشترك في مكة المكرمة من المملكة العربية السعودية وما تمثله من موقع ديني مهم للأمتين الإسلامية والعربية وتركيا العضو البارز في حلف الناتو، وثاني أكبر جيش بعد الولايات المتحدة الأميركية، والباكستان المسجلة على قوائم النادي النووي وذلك يوم الجمعة 7 آب / أغسطس 2026م في قصر الصفا.

شعرت هذه الدول الثلاث الموقعة على اتفاق مكة الدفاعي، بخيبة الأمل من التلاعب والخداع الصهيوني-أمريكي في منطقة الشرق الأوسط، حيث رأت، أن هدف واشنطن من استمرار الأزمة أو الحرب يستهدفها ويستنزفها اقتصادياً وأمنياً، على اعتبار أن الولايات المتحدة أقل ضرراً من إغلاق مضيق هرمز والتقلبات في أولويات الحرب بحجة انتخابات التجديد النصفي في نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل. وفي نفس السياق تسعى «إسرائيل» لتتياهو إلى استمرار الحرب وإسقاط النظام الإيراني والتمهيد لاستهداف تركيا الصاعدة والمهددة للكيان سواء في سوريا أو وقفها مع القضية الفلسطينية.

إن نتائج الحرب الدائرة وتحولها من العسكرية إلى العقوبات الاقتصادية الخانقة، سواءً للولايات المتحدة التي تعلن مع مطلع كل نهار بانها انتصرت، أو صمود إيران بوجه الحملة العسكرية أو مقدرتها على الالتفاف على العقوبات كعادتها المعهودة؛ ذلك وضع المنطقة برمتها أمام مخاطر محدقة، وبالتالي فهمت المملكة العربية السعودية ومعها تركيا والباكستان أن حالة «اللاحرب» و «اللاسلم» قد تؤثر تأثيراً خطيراً، لأن واشنطن ستضغط على دول الخليج العربي وتحميلهم الكلفة الاقتصادية الهائلة بحجة حمايتهم، وبالتالي تصحح المنطقة رهينة الابتزاز الأميركي الفاضح، وفي حالة صمود إيران بوجه الضغوط، يعني ذلك الاعتراف بها قوة مهيمنة على مضيق هرمز، وبالتالي باستطاعتها فرض الرسوم على مرور السفن التجارية، وهذا لن يرضي دول الخليج المتشاطئة، وحتى سلطنة عمان التي حاولت إيران أن تهيم على قرارها السيادي وإجبارها بالتخلي عن حقوقها.

يمكن ملاحظة عدم الحسم مع إيران وتمييع الحلول وتحديد مواعيد للاستجابة الأميركية، ومن ثم التراجع عن التهديدات التي طالت الحضارة الإيرانية في بدايات الحرب، ثم سقوط النظام. لتستقر الأمور عند فتح المضيق أمام الملاحه الدولية، وحمية منع إيران امتلاك سلاح نووي، وتمسك طهران بالمضيق الذي أعطاهها القوة أكثر مما لو امتلكت السلاح النووي

الذي قد يجبر عليها تحالف ضروري ومتسارع ومن عدة جبهات داخلية وخارجية تسرع في انهيار النظام، لأن البرنامج النووي يحتاج إلى أمور فنية كبيرة ليس باستطاعة طهران تشغيله أو إدارته.

اعتبر الكيان الصهيوني، اتفاق مكة الثلاثي الدفاعي، تحالفاً ضده، واستباقاً للنيات الخبيثة، واستهداف تركيا بعد إيران، الأمر الذي أدى إلى تراجع حدة التهديدات لتركيا، وتغليب لغة الدبلوماسية على العسكرية، وذلك لأن علاقات أنقرة بواشنطن بأفضل حال، بينما رآته واشنطن أي (الاتفاق) أداة ردع سياسية واحتواء إقليمي لإيران، حيث بالإمكان استثماره في الوقت الحالي مع طهران، وبالطبع لا يخلو الأمر من الشكوك التي ربما تؤجل لوقت آخر، وهو إشارة قوية لعدم الاطمئنان للمظلة الأميركية في العرف الاستراتيجي. الكيان الصهيوني ومحاولات ما يسمى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو الضغط على ترامب لشن هجمات ساحقة ماحقة على المنشآت النووية، والعمل على انهيار الدولة بالكامل، إلا أن التحالف الجديد يعكس الحالة الزئبقية كما أسلفنا لسلوك واشنطن المتردد بالحسم خشية ذهاب الصين وروسيا إلى تحالف الضرورة بوجه الأطماع الصهيوني-أمريكية، وربما يعلنان على عجل عن تحالف دفاعي مشترك قد يصعب على واشنطن التصدي له، وبالتالي الأفضل أن تراوغ وتخدع بالأزمة إلى وقت يستنزف الانتظار الروسي - الصيني اقتصادياً، وإقناعهما بالتخلي عن طهران والاستفادة من النفط الإيراني الرخيص.

تعتقد الإدارة الصهيونية إن أي تحالف في المنطقة، و«إسرائيل» ليس فيه هو تحالف ضدها بالضرورة، وبالتالي لابد من العمل بجهد لإفشاله في مهده، لذلك جاءت الهجمات الصهيونية على مطار أبو الظهور في مدينة إدلب السورية الثلاثاء آب/ أغسطس 2026/8/18 كبالون اختبار للقوات التركية التي تتهمها بإنشاء قواعد عسكرية أو مساعدة الجيش العربي السوري في استعادة قدراته العسكرية الجوية.

سيظل التحالف الثلاثي الدفاعي الجديد بخطر طالما الأزمة الأمريكية - الإيرانية لم تحسم بعد، وهناك مؤشرات تقول، الذهاب إلى اتفاق مع طهران بات وشيكاً بالرغم من التعيينات الجديدة للقيادة، يعني ذلك أن واشنطن قد تقبل بفتح مضيق هرمز لقاء

فك الحصار عن الموانئ الإيرانية والإفراج عن بعض الأموال المجمدة، وأكثر ما يخشاه التحالف العضوي الصهيوني-أمريكي هو اتساع التحالف وانضمام بعض الدول إليه وخصوصاً جمهورية مصر العربية. إن هذا التحول الجيو-سياسي العميق، ينسف تابو من تابوهات الفكر الاستعماري الذي يعتاش على الانقسامات والاختلافات بين الدول والكيانات وحتى الداخل من كل دولة، في الوقت الذي كانت تنتظر واشنطن من سياسة تخويف المنطقة من الأطماع الإيرانية، وضرورة الوقوف معها وتزويدهم بأعتى أنواع السلاح للقيام بأعمال عسكرية بالنيابة عنها، تفاجأت بالإعلان العظيم مما شكل لديها الارتباك والفوضى بالرغم من محاولتها واستعراضها بأنها توافق على مثل هذه التحركات السياسية، حيث بالإمكان الاستفادة بتوجيه بوصلة الاتفاق مع الأغراض الصهيوني-أمريكية.

ما يقلق الكيان الصهيوني، خشيته من تراجع النفوذ الاستراتيجي الأمريكي لصالح قوى إسلامية إقليمية مستقلة بقرارها بعيداً عن التوجيه الأمريكي المباشر، هواجس يمكن أن تضاف لحالة الردع وفقدان الهيمنة وتراجع التفوق التكنولوجي والعسكري، وانتقال الخبرات العسكرية والدفاعية وتكاملها بين الدول الثلاث، مما يضيق الفجوة العسكرية الاستراتيجية.

والأهم من ذلك، يعتبر الاتفاق بديلاً استراتيجياً عن المسار الإبراهيمي، وفرصة بالذهاب بعيداً بالمملكة العربية السعودية عن مسار التطبيع والانخراط في محور إقليمي تقوده «إسرائيل»، وربما ينسف فكرة رؤية السعودية 2030 والازدهار الاقتصادي برؤية أمريكية خالصة، وأعتقد أن الولايات المتحدة فقدت زمام المبادرة واختلطت عليها الأمور، وهي في حالة ارتباك سياسي، وأعتقد أيضاً دخلت مرحلة الخوف والتوجس، والتفكير في فضاء الخوف أخطر منه من حالة السلم وبالتالي على الولايات المتحدة أن تصحح مساراتها وتصدق في أزماتها أي أن تحسم في حالة القدرة على الحسم، وتراجع وتبرر سبب التراجع، لأن الداخل الأمريكي وزحف التقدميين لا يرحم.

صحيح أن واشنطن ما تزال تحتفظ بقدرتها العسكرية الهائلة، والأرقام الفلكية تتحدث عن نفسها، إلا أنها إمبراطورية كحال الإمبراطوريات البائدة تخشى من فوضى الأولويات، فالفوهر «هتلر» وقياس القوة العسكرية التي كانت عليها وقتذاك، قوة لا

تقهر، لكنها هزمت عند بوابة الأولويات أو البداية التي تفتح عليه البوابات، وأعتقد جازماً أن اليهود هم من أشاروا عليه بمهاجمة المد الشيوعي السوفيتي الذي قضى على جيشه في غابات القوقاز جوعاً وقتلاً وتشريداً.

رسائل كبيرة ومعان خطيرة، من الاتفاق الدفاعي الثلاثي المشترك للعالم، حقيقة أن واشنطن لم تعد المظلة الآمنة، وبالتالي على العالم التحرك بسرعة لتحالفات أكثر وأكبر بوجه الإمبريالية الصهيوني-أمريكية التي تجاوزت العادات والتقاليد وفقرت فوق القانون الدولي واستباححت المجالس الدولية خدمة لأهدافها، وتشجيعها المخزي للكيان الصهيوني بالتوسع والاعتداء على دول الجوار، واستمرار الإبادة الجماعية للشعب العربي الفلسطيني في غزة والضفة الغربية، لذلك أعتقد جازماً تحركات الكيان الصهيوني بالتوسع والاحتلال هو إشارة فهمتها بتراجع وضعف واشنطن بعد التحول السياسي البريطاني الفرنسي من القضية الفلسطينية والاستعداد الظاهر لـ «إسرائيل».

على كل حال حتى لا نفرط بالتفاؤل أكثر، أمام واشنطن تحديات قريبة وبعيدة، والأجدر منها أن تتخلص من القريية حتى تتفرغ للبعيدة، والأزمة مع إيران تحتاج للصدق، أي إعلان حرب على غرار الحرب على العراق، حيث مُنح مسؤوليه من السفر، وحتى المندوب بالأمم المتحدة توقف عن عمله بقرار أمريكي، بينما النظام الإيراني يسافر مسؤوليه في كل الاتجاهات من قائد الحرس الثوري إلى رئيس البرلمان، والغريب أن جنازة الخامنئي وصلت للعراق مع مشيعيه!!

ثمة تحديات تهدد التحالف الثلاثي الدفاعي المشترك، فالسعودية بين فكي كماشة، الفك الأول الفصائل المؤيدة لإيران في العراق، والثاني جماعة أنصار الله اليمينية (الحوثي) في الجنوب وتهديدها لإغلاق باب المندب، والصواريخ الإيرانية الباليستية. الباكستان عدوتها الهند جاهزة ومتربصة ومتحالفة مع «إسرائيل» والولايات المتحدة وتنتظر الأوامر.. تركيا و«إسرائيل» وما بينهما ما صنع الحداد.

لا بد من تكامل أمني على نطاق واسع، وانتقال تدريجي من سياسة تعاون الضرورة إلى تكامل «المصير المشترك» لحماية السيادة ومواجهة التحديات الطارئة، وتعزيز الاستقرار الإقليمي والدولي عبر بناء قواعد توازن قوى ينصهر فيها القرار الأمني بجهود دول المنطقة نفسها.

القوة الناعمة الأمريكية الصهيونية في الشرق الأوسط: حرب شرسة بلا قنابل

علي زيدان - باحث وكاتب سياسي - لبنان



الاستعمال المفرط للقوة العسكرية ووسائلها. ويضيف البروفيسور الأمريكي جوزيف ناي (وقد شغل أيضاً وظيفة مساعد لوزير الدفاع الأمريكي) في كتابه المعروف عن القوة الناعمة (Soft Power) أن هذا المصطلح عبارة عن سلاح فعال ومؤثر يهدف إلى تحقيق أهداف الدولة عبر الجاذبية والإقناع، لا الإكراه العسكري أو الاقتصادي المباشر، مثل التعليم، والإعلام، والثقافة الشعبية، والمنظمات غير الحكومية، وبرامج المنح والتبادل، والدبلوماسية العامة.

لقد استخدمت الإدارة الأمريكية هذه سياسة القوة الناعمة بفعالية خلال فترة الحرب الباردة، شملت بث الدعايات والإعلانات الموجهة عن بعض أنواع الأطعمة السريعة والألبسة وعلامات تجارية محددة نحو مجتمعات الاتحاد السوفياتي السابق، ودول أوروبا الشرقية في ذلك الوقت. ومولّت أيضاً الأفلام السينمائية عبر استديوهات هوليوود مثل فيلم مزرعة الحيوان عن رواية الكاتب الإنكليزي جورج أورويل، وفيلم دكتور جيفاكو عن رواية الكاتب الروسي بوريس باسترناك، بالإضافة إلى الحفلات الموسيقية، ومعارض الفن التشكيلي، وغير ذلك من البرامج التي تغنى بمفاهيم الحرية والديمقراطية والليبرالية، ضد مفاهيم الجمود العقائدي والانغلاق المجتمعي. لقد تركت تلك البرامج أثرها الفعال في المجتمعات المستهدفة. وغني عن القول إن تلك البرامج الموجهة، إنما تأتي بشكل تلقائي من خلال مؤسسات الدعم والتعاون تحت عناوين مد الجسور التنموية أو الثقافية المشتركة، أو غير ذلك من العبارات والشعارات الإنسانية. إذن القوة الناعمة هي وسيلة مهمة لتغيير الموازين في الساحة السياسية الدولية.

في الشرق الأوسط، تقدم الولايات المتحدة دعماً مطلقاً للكيان الصهيوني على حساب الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى، حيث يقومان بمحاولات حثيثة لتغيير منطقة الشرق الأوسط وفرض الهيمنة الكاملة عليها، ووضع اليد على الثروات الطبيعية ومصادر الطاقة. وفي هذا الإطار يجري العمل على مسارات مختلفة ومتوازنة تستهدف العقول والمناهج التربوية، والخطاب الإعلامي، بحيث تكمل ما لم تحققه القوة العسكرية على الأرض. حالياً، تعتبر القوة العسكرية حاضرة بكثافة في المنطقة، من خلال حرب الإبادة في غزة، والحرب المستمرة في الضفة الغربية، والحرب في لبنان، والحرب على إيران. لقد استخدم التحالف الأمريكي الصهيوني القوة العسكرية المفرطة في محاولة فرض السيطرة الكاملة على المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، تم استخدام أدوات القوة الناعمة بشكل مكثف في المنطقة العربية عموماً، وفي لبنان وفلسطين بشكل خاص منذ أمٍ بعيد. وتجدر الإشارة إلى أن بعض أبرز الأدوات التي جرى استخدامها، تشمل العمل الدبلوماسي، والترويج للمفاوضات كطريق سريع وأمن لتحقيق السلام بين القوى المتحاربة. في لبنان، على سبيل المثال، قامت الإدارة الأمريكية بالترويج لاتفاق الإطار بين الحكومة اللبنانية والكيان الصهيوني باعتباره خطوة مهمة نحو الاستقرار واستعادة الدولة، بينما يستمر الكيان الصهيوني في احتلال الأراضي وتدمير المنشآت المدنية والمنازل وسياسة الاغتيالات، دون تقديم التزامات مؤكدة. وعلى الجانب الفلسطيني، تتجلى القوة الناعمة من خلال الحديث عن اليوم التالي في غزة، والترويج لمجلس السلام العالمي والترتيبات لتقديم

حلول إنسانية وتنموية تضمن الازدهار الاقتصادي بدلاً عن الحلول السياسية التي تضمن الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني. بينما ما زالت قوات الاحتلال تمارس حرب الإبادة على مرأى ومسمع الدول الضامنة.

أيضاً، تشمل أدوات القوة الناعمة في المنطقة، التركيز على مد جسور التعاون في مجالات التعليم، والإعلام والبرامج الثقافية، والمساعدات التنموية، والمنظمات غير الحكومية. لقد استندت الإدارة الأمريكية إلى شبكة واسعة من المؤسسات التعليمية والجامعات المرتبطة بها، والتي انتشرت في المنطقة العربية مثل الجامعات الأمريكية في بيروت وفي القاهرة، وفي دول الخليج ومعظم الدول العربية، وذلك من أجل بناء نخب عربية متأثرة بالثقافة والسياسة الأمريكية، ومساعدتها للوصول إلى مواقع السلطة وصنع القرار في بلدانها. وقد تم تعزيز تلك الشبكة ببرامج المنح الدراسية والتبادل الأكاديمي. وفي مجال الإعلام، أنشأت الولايات المتحدة إذاعة سوا وقناة الحرة بعد عام 2001 لمخاطبة الجمهور العربي مباشرة. وشجعت البرامج الإذاعية والتلفزيونية، لتوجيه الرأي العام العربي نحو قضايا ومواقف مدروسة، ومدعومة من المؤسسات الأمريكية المختصة، وتهدف إلى صياغة سرديات مخالفة للقضايا العربية الوطنية المُجمَع عليها. وقد كتب الصحفي الأمريكي المعروف توماس فريدمان بصحيفة نيويورك تايمز عام 2003 عن أهمية برامج تلفزيون الواقع الغنائية مثل سوبر ستار ودورها في تغيير الثقافة العربية نحو الانفتاح والممارسة الديمقراطية.

من ناحية أخرى، دعمت الإدارة الأمريكية بواسطة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)، قبل دمجها ضمن وزارة الخارجية الأمريكية عام 2025، إنشاء المنظمات غير الحكومية (NGOs) وقامت بتمويل البرامج المختلفة البعيدة عن ثقافة المجتمع وحاجاته الضرورية، مما زاد في نفوذ هذه المنظمات في المجتمعات العربية، وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة. وفي كثير من الأحيان أصبحت هذه الجمعيات أدوات لتنفيذ طلبات الجهات المانحة، والترويج لمشاريع تنموية محدودة، وتعليمية وإعلامية، تدعو إلى نبذ العنف والإرهاب،

وتتماشى مع متطلبات السياسة الأمريكية في المنطقة. وفي السنوات الأخيرة تعاظم نفوذ هذه المنظمات وأصبح لها دور مربيب على حساب الأحزاب الوطنية والفصائل والمنظمات الفلسطينية التي تعرضت بالمقابل لحصار مالي منها من دعم عناصرها أو تمويل برامجها التوعوية. وينبغي القول إن هذه البرامج الموجهة يتم صياغتها بذكاء حتى تصبح جذابة للناس وقادرة على تحقيق النتائج المرجوة في تفكك المجتمع والتخلي عن نهج المقاومة ضد الاحتلال. ولعل ما يحدث في مصر والأردن ولبنان والضفة الغربية دليل واضح على نفوذ هذه المنظمات ودورها المرتبط ببرامج التمويل الخارجية.

ويمكن القول إن أبرز عناوين القوة الناعمة والأمثلة العملية على ذلك هو المساعي القوية لتعديل المناهج الدراسية في الدول العربية والسلطة الفلسطينية، والتي شملت تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني أيضاً مقابل وعود وهمية لم تتحقق. ويعتبر تغيير محتوى البرامج الدراسية، من الأدوات الرئيسة للقوة الناعمة، ومن الخطوات التمهيدية لعقد اتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني. وهذا العمل يهدف إلى حذف الإشارات السلبية تجاه اليهود أو الكيان الصهيوني من المناهج التعليمية عموماً، والتربية الدينية خصوصاً، استناداً إلى فكرة أن الجميع يشتركون في تعاليم الديانة الإبراهيمية. كما يعتقد المُرَوِّجون لهذه السياسات أن هذا التوجه يؤدي إلى تخفيف حدة التوتر بين الأجيال المقبلة، ومنع ظاهرة العنف التي تستند إلى الخطاب الديني. بينما في الحقيقة هو محاولة لإعادة تشكيل الوعي الجماعي، ودفع الناس للتخلي، على المدى الطويل، عن حقوقهم الوطنية وثقافتهم، ومن ثم طمس رواية الصراع من منظور فلسطيني وعربي عبر التعليم. وتجدر الإشارة، إلى وجود العديد من البرامج الرائجة في المنطقة، المدعومة من الإدارة الأمريكية وحلفائها، تهدف إلى تطبيع العلاقات بين الدول العربية والكيان الصهيوني. خصوصاً في مجالات التعاون الدبلوماسي، وفض النزاعات والترويج للمفاوضات بدلاً عن الحرب والتدمير، وبرامج التعاون الاقتصادي. وفي هذا السياق يجري الترويج للكيان الصهيوني باعتباره بوابة الرخاء والازدهار واحة

للمدخلة الديمقراطية المفقودة في محيطه، كما أنه المدخل لتلقي الدعم والمساعدة من الإدارة الأمريكية.

يقول جوزف ناي في كتابه القوة الناعمة، إن العلاقات الدولية المشحونة قبل الحرب على العراق عام 2003 وأثنائها وبعدها كلفت الولايات المتحدة ضريبة باهظة على مستوى القوة الناعمة وخسارتها للجاذبية على الرغم من أنها حققت انتصارات في مجال القوة العسكرية. ويؤكد ناي أن لا غنى عن القوة العسكرية ودورها إلا أن عدم إعطاء الأهمية اللائقة بمكانة القوة الناعمة يعد خطأً استراتيجياً، لأن التحديات والمشاكل التي تواجهها الولايات المتحدة لا يمكن مواجهتها بالقوة العسكرية وحدها. وأن القوة الذكية هي عبارة عن دمج القوة العسكرية مع القوة الناعمة. وتجدر الإشارة إلى أن حرب الإبادة في غزة قلبت، أيضاً، كثيراً من المفاهيم والدعايات السائدة التي كانت تروج لها الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني. وكانت ردود الفعل ضد هذا السلوك الإجرامي قوية خصوصاً بين جيل الشباب في الجامعات، وما زال هذا التحالف يفقد الكثير من مؤيديه في الداخل والخارج مع استمرار الحرب الفاشية في غزة ولبنان وإيران..

عموماً، فإن مفهوم القوة الناعمة في الشرق الأوسط التي تقودها الإدارة الأمريكية وحليفها الكيان الصهيوني، اليوم لا ينفصل عملياً عن مسارات القوة العسكرية. وفي الحقيقة فهي مسارات متشابكة تهدف إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية لذلك التحالف في المنطقة. ويتبين بوضوح مما يجري في المنطقة العربية مؤخراً، أن هذه المسارات المتشابكة تشمل اتفاقيات أمنية، وحروباً، ومفاوضات دبلوماسية، وعقوبات اقتصادية. هذه المسارات يمكن تسميتها أحياناً بسياسة العصا والجزرة، ويمكن وصفها بأنها أدوات الهيمنة الناعمة، التي تمهّد الطريق لتغييرات سياسية وأمنية عميقة، وتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني. هذه السياسات أو المسارات تستهدف بالنهاية تصفية القضية الفلسطينية بهدوء والقضاء على المقاومة الوطنية في لبنان من خلال المفاوضات الدبلوماسية، وتغيير المناهج الدراسية، والإعلام، وبرامج التمويل.

متغيرات في مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي

إبراهيم أبو نيل - كاتب سياسي فلسطيني - سورية



على «الثالوث الأمني». فقد تغيرت البيئة الاستراتيجية للكيان الصهيوني إلى حد كبير، وتغيرت كذلك طبيعة المواجهات العسكرية، كما ازدادت تعقيدات المواجهة عندما وجد قادة الجيش الإسرائيلي أنفسهم متورطين في معارك من نمط حرب العصابات، داخل مناطق مأهولة أو حراجية لا يستطيعون التحرك فيها بشكل مريح ولا يستطيعون استخدام الآليات العسكرية المدججة، بسبب كثافة المباني في الأحياء السكنية وكثرة الأشجار في المناطق الحراجية التي تحجب الرؤية وتساعد رجال المقاومة على التخفي والاختباء. ولا تستفيد قوات الاحتلال من استخدام الرمايات النارية التي تساند الجنود قبل الدخول إلى منطقة معينة. فهي تواجه خصماً مختلفاً لا يمكن تمييزه بسبب قدرته على الظهور والاختفاء السريع، سواء بين المباني والأشجار أم تحت سطح الأرض.

يعود التغيير في مفهوم الأمن الإسرائيلي، إلى التطورات التي جرت خلال السنوات الأخيرة، في واقع جديد أجبر إسرائيل على أن تخوض حرب استنزاف متواصلة ومتعددة الساحات، تتطلب زيادة في حجم القوات، وإقامة أطر جديدة، وتجديد مخزونات الذخيرة، والاستعداد للتآكل المستمر في القوى البشرية، والتراجع الملموس في الاقتصاد والصناعة الأمنية. والميزة الرئيسية لهذه التطورات، إلى درجة كبيرة، هي انتقال مركز الثقل من الحروب الشاملة التقليدية المتناظرة بين الدول، إلى مواجهات محدودة، غير متناظرة، تكون فيها الأطراف المشاركة في الحرب ليست دولاً فقط بل تنظيمات وحركات مسلحة. ويتمثل هذا التغيير في تآكل مفهوم الردع الذي يشكل أحد المراكز الأساسية للنظرية الأمنية الإسرائيلية التي تستند

أن مفهوم الامن الجديد يستوجب الدمج بين الاستخبارات والهجوم والدفاع متعدد الطبقات، والمعركة البرية والسيطرة الجوية والبحرية والتواصل اللوجستي والقدرة على الإنتاج الذاتي للذخيرة. بالتوازي، فإن التعاون بين أذرع الجو والبحر والبر والاستخبارات والساير أصبح الشرط الضروري لإدارة حرب متعددة الساحات. وعلى المستوى الإقليمي يظهر بشكل جلي تهديدان يحتلان رأس جدول الأولويات لبناء الرد الأمني وهما: الأول هو تحول إيران إلى قوة نووية، الأمر الذي يضم بين طياته تهديداً وجودياً وتغييراً للميزان الاستراتيجي في المنطقة. والثاني هو استمرار الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وتأثيره السلبي سواء على الساحة الداخلية أم على صورة إسرائيل على الساحتين الدولية والإقليمية.

أما التحدي الأكثر خطورة فقد أُميط اللثام عنه في مؤتمر هرتسليا تموز 2026، حيث ظهر الداخل الإسرائيلي في المؤتمر كجبهة قائمة بذاتها، إذ برز تهديد استراتيجي جديد لم يشهده الكيان الصهيوني من قبل، وهو الانقسام الداخلي الذي يهدد بالانهيار، في ظل مساعي التيار الديني المتطرف لإقامة دولة دينية. فالقيادة الإسرائيلية تخشى أن تواجه خصومها بجبهة داخلية ضعيفة وجمهور غير متماسك، ما يجعلها أمام تحدٍ وجودي جديد يتمثل في خطر تفكك «العقد الإسرائيلي». ومن موقع قريب، دعا الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ في كلمته في المؤتمر إلى إعادة كتابة «العقد الإسرائيلي» عبر ثلاثة عقود: عقد القانون وعقد الانتماء وعقد المستقبل. في عقد القانون، شدد على أن الدولة لا تستطيع العيش إذا اختارت كل

هندسة الأزمات: هل يفتعل نتنياهو فوضى الانتخابات ليضمن ولاء القائمة؟

نبال عمر - كاتبة صحفية فلسطينية - سورية

عاشت المنظومة السياسية لدى الاحتلال عقوداً وهي تغلف صراعاتها الداخلية بدهاء مؤسسي مظل، وتدير تصفيات الحسابات خلف الستار تحت لافتات المصلحة القومية العليا والاستقرار الأمني. غير أن الستار المنسوج بعناية انهار كلياً أمام استحقاق انتخابات الكنيست، وحل مكانه سعار سياسي علني لم يعد صاحبه يتحرج من ممارسة أحقر أشكال الخبث والدسائس أمام الكاميرات. ينكشف المشهد السياسي اليوم عن حرب استنزاف داخلية يخوضها أقطاب الكيان ضد بعضهم البعض، حيث غدا صندوق الاقتراع التمهيدي

جماعة القانون الذي يناسبها. وفي عقد الانتماء، قال إن المواطن يستطيع أن يخسر الانتخابات من دون أن يخسر الدولة، وأن يفوز من دون أن يملك حق محو نصفها. أما عقد المستقبل فربطه بالتعليم والجيش وسوق العمل والحكم المحلي وسيادة قانون واحد للجميع.

لقد اختفى التمييز بين الجبهة العسكرية والجبهة الداخلية الإسرائيلية، إذ جعلت هجمات السايبر والصواريخ بعيدة المدى الجبهة الداخلية جزءاً لا يتجزأ من المعركة، وكشفت الحرب المعنى الجديد للمناعة الداخلية. فالجبهة الداخلية الإسرائيلية لم تكف بتلقي الصواريخ، بل باتت عنصراً في المعركة. ولم تعد الجبهة الداخلية خط حدود بل مجال إقليمي. إضافة إلى ذلك فقد تغير معنى الحدود، إذ فقدت الحدود معناها الجغرافي. وبدلاً منها أصبح «مجال التهديدات» منظومة واحدة. ولأول مرة منذ إقامة الكيان الصهيوني اضطر جهاز الأمن لأن يفكر بتعابير «مجال تهديدات» واسع وليس تعابير حدود «جبهات منفصلة». كما أن منظومة الدفاع الجوي كانت مطالبة بأن تعمل في وقت لاحق حيال أنواع مختلفة من التهديد تأتي من مديات واتجاهات مختلفة. فلم يعد الأمن القومي الإسرائيلي يقاس فقط بقوة النار التي يتلقاها، بل أيضاً بالقدرة على الربط بين الجيش والاقتصاد والصناعة والتكنولوجيا والدبلوماسية والمناعة الاجتماعية في منظومة واحدة، مرنة ومتواصلة. ذلك أن عقيدة الأمن الجديدة لإسرائيل تفحص ليس في قاعات المداولات فقط، بل وأيضاً في ميادين المعركة، وفي قواعد الاحتياط وفي المصانع وفي مختبرات التطوير وفي الجبهة الداخلية الإسرائيلية.

ووفق المفهوم الأمني الجديد، لا يقتصر «الأمن القومي الإسرائيلي» على العمل العسكري فحسب، بل يشمل، من بين أمور أخرى، علاقات إسرائيل الخارجية، وقدرتها على الصمود الاجتماعي والاقتصادي، علماً أن الجيش الإسرائيلي لا يزال يحتل مكانة مركزية في الحياة الإسرائيلية بوصفه الأداة التنفيذية للوظيفة العدوانية، ما يجعله مرتبطاً بشكل كامل ب«الأمن القومي»، الأمر الذي يحمله أعباء كبيرة.

إن النظر لإسرائيل «كإسبرطة الخارقة»، كما وصفها رئيس الوزراء نتنياهو، يُشكل خطراً كبيراً على إسرائيل نفسها، وبالدرجة الأولى على الأمن القومي بمعناه الأوسع. وبحسب رئيس الأركان إيال زامير، تُهدد «بانهيار الجيش الإسرائيلي على نفسه». فهي التي يُستنزف جيشها إلى أقصى حد في حرب مفتوحة لا تنتهي، وتتوسع حدودها باستمرار، والجمهور الإسرائيلي ممزق بسبب صراعات الهوية والصراعات السياسية. إن العبء الناجم عن هذا المفهوم يهدد اقتصاد إسرائيل الذي يعتبر أساس القوة العسكرية، كما أنه يؤثر سلباً على قدرات الجيش الإسرائيلي القتالية، ويُشكل في تفوقه على أعدائه، ويُقربه من عزلة عالمية خطيرة.



غادي آيزنكوت (رئيس الأركان الأسبق) حزب "يشار"
نافتالي بينيت (رئيس الوزراء السابق) حزب "بينيت 2026" ضمن
يائير لپيد (زعيم المعارضة) حزب "هناك مستقبل" ضمن
أفيغدور ليبرمان (وزير سابق) حزب "إسرائيل بيتنا"



الضفة الغربية والقطاع في منظور الانتخابات الإسرائيلية القادمة

إبراهيم شقير- كاتب وباحث سياسي فلسطيني - سورية

بانقفاضة شعبية وشاملة تعيد رسم خريطة المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية وخصوصاً مع استمرار الحصار والاحتلال والعدوان لقطاع غزة إضافة لهيمنة ما يسمى مجلس السلام ومشاريعه واشترائاته ونزع سلاح المقاومة بما يتوافق مع مصالح الاحتلال الأمنية وغض الطرف عن وضع الحياة شبه معدومة المعالم نتيجة مواصلة القصف الإسرائيلي واستهداف المدنيين وعرقلة دخول المساعدات ناهيك عن معاناة سكان غزة من لهيب الصيف وحرقة الشمس على الخيم وحالة التشرد ومنعهم حتى من شربة الماء وتعطيل قرار مجلس الأمن رقم ٢٨٠٣/ لوقف الحرب مما جعل منه حبراً على ورق غير ملزم لسلطات الاحتلال .

والسؤال الذي يطرح نفسه. هنا لماذا وماذا وراء هذا التصعيد الذي، يسعى له الائتلاف الحكومي اليميني المتطرف برئاسة بنيامين نتنياهو في هذه المرحلة لا شك هو الهروب إلى الأمام كون الكيان الإسرائيلي يعيش ظرفاً من القلق والاضطراب السياسي والاقتصادي إذ تشير المتابعات والتحليلات السياسية أن الائتلاف الحكومي يمر بحالة خوف من السقوط المدوي والمحمّل لمعسكره في انتخابات الكنيست المقررة في ٢٧/ من شهر تشرين الأول من هذا العام/وسط تراجع شعبيته وربما فقدان الحصول على الأغلبية البرلمانية لتشكيل الحكومة ويعود سبب ذلك إلى مأزق الحروب المستمر على جبهات الاستنزاف الممتدة من غزة ولبنان وصولاً لإيران وسط غياب الأفق الاستراتيجي وتحقيق النصر المطلق أمام هذا المأزق يلجأ الائتلاف إلى التعاون مع المستوطنين لخلق انفجار شامل في الضفة قبل مرحلة الانتخابات بهدف خلط الأوراق وتصعيد الأجندات الاستيطانية التهويدية باستثمارات

يتعرض المشهد الفلسطيني لواقع ومرحلة بالغة التعقيد والخطورة ويتسم بتأرجح ما بين المواجهة الحتمية التي لا بد منها مع الاحتلال الإسرائيلي للتصدي لما يخطط له من سياسة سيف التهويد للضفة الغربية واستمرار العدوان والاحتلال لقطاع غزة أو القبول بالأمر الواقع أمام إطلاق عنان المستوطنين والبؤر الاستيطانية التي بدأت تأكل جغرافية الضفة وتغير معالمها وخرائطها وجعل من المستحيل قيام الدولة الفلسطينية القابلة للحياة والعمل على تمرير تشريعات ومشاريع ما يسمى مجلس السلام وفرضها على قطاع غزة بما يتوافق مع المصالح الأمنية للاحتلال.

وعليه تؤكد المعطيات والأحداث أن الضفة الغربية باتت تشهد حملة تصعيدية وحشية ممنهجة من الأعمال العدوانية لقوات الاحتلال وعصابات المستوطنين التي تقوم على التهويد وعربدة المستوطنين وتفكيك وهدم البنية التحتية وتدمير كل ما هو قائم في الضفة وقطع أوصال المدن والقرى بالحواجز المكهربة والبؤر الاستيطانية ومصادرة الأراضي وحصر الفلسطينيين وجعل تحركهم مقيداً بصورة متزايدة وصارمة حتى أصبح مقصوراً على من يحصلون على تصريح ولا سيما كبار السن والعمال ومنع أحياناً التحرك بذريعة الأمن مما جعل حياة الفلسطينيين مرتعنة لسلطات الاحتلال في جميع المجالات وغدت من القيود الدائمة مثل معسكرات الاعتقال الجماعي في الهواء الطلق وهذا ما يؤجج مشاعر الغضب والإحباط الشامل لدى الفلسطينيين والذي يؤدي بدوره إلى جعل الضفة الغربية على صفيح ساخن ينذر

بخسارته الفعلية لنحو 10 مقاعد لصالح الخصوم، هذا الذعر يستفيد منه خصوم متيقظون يمارسون الخبث السياسي ذاته، وفي مقدمتهم حزب يشار الجديد برئاسة غادي آيزنكوت بالتوازي مع تحالف (معاً) (بينيت-ليبد) الذي يستغل هذه الصراعات الجنائية لإقناع المترددين بانهيار أهلية الائتلاف الحاكم، الصورة تزداد تعقيداً مع امتداد الصراع إلى الكتل اليمينية المتطرفة الأخرى حول عقدة الخدمة العسكرية وإعفاء الحريديم.

إن اشتراط الأحزاب الدينية تمرير قانون الإعفاء لقاء بقاء الائتلاف فجر مواجهة كسر عظام بين قواعد المستوطنين وقياداتهم؛ حيث واجه وزير المالية بتسليل سموتريتش اتهامات مباشرة من جمهوره ببيع عقيدتهم العسكرية للحريديم لحماية كرسيه، ممّا دفع إيتمار بن غفير إلى استغلال الموقف والانفصال عنه خائضاً حرباً شرسة لسحب أصوات الأكثر راديكالية.

ويرى مراقبون عرب في هذا التلاطم دليلاً على انكسار التماسك الأيديولوجي لليقين الإسرائيلي؛ إذ لم يعد يجمع هذه الأحزاب مشروع عقائدي متماسك، بل أضحت تجمعها المحاصصة الانتخابية الضاغطة والهروب من الأزمات، هذا التكالب السافر يوضح كيف تحول الدهاء السياسي لدى الاحتلال من أداة لإدارة الدولة إلى سلاح نهب وتصفية داخلية.

تحولت الأحزاب التي تتغنى بالسيادة والأمن إلى حلبة تصارع تتوسل بالتزوير والتهم الجنائية وتفكيك التحالفات في سبيل مقعد نيابي وكلما اقترب الموعد النهائي لتسليم القوائم، يزداد المشهد وضوحاً: نخبٌ حاكمة لم تعد تجد ما تأكله سوى بعضها البعض، يمارسون الخبث في أبشع صوره بعدما سقطت عنهم مساحيق المؤسسة وادعاء النزاهة.

ختاماً، على ما يبدو أن (الدولة) الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط -على حد زعمهم- باتت تتحول إلى (دولة) ديكتاتورية أسوأ بالكثير من دول المنطقة.

المؤسسية الصارمة والحوكمة الحزبية الشفافة التي طالما حاول الاحتلال تسويقها للغرب، ليحل محلها منطق المحاصصة العائلية وتصفيات الحسابات المباشرة على المقاعد، لكن القراءة الحسنة لهذه الفوضى تشير إلى الرأس المدبر الذي يحرك الخيوط من الأعلى، ليظهر أن الدافع الأساسي وراء هذا الاقتتال الشرس ليس رغبة نواب عاديين في تحسين ترتيبهم فحسب، بل هو النتيجة المباشرة لخبث بنيامين نتنياهو ودعمه المطلق لاستراتيجية الخنق العددي.

خاض نتنياهو معركة مستميتة لفرض حجز 10 مقاعد استثنائية وشخصية له في صدارة القائمة ليوزعها على أتباعه دون خوض انتخابات الحزب. ومع تراجع الحزب في استطلاعات الرأي إلى حدود 22 حتى 25 مقعداً، تسبب قرار نتنياهو في تحويل الفارق بين المقعد 25 والمقعد 35 إلى خط فاصل بين البقاء في نفوذ السلطة أو الخروج النهائي من المشهد، وهنا يبرز الدهاء الفعلي لنتنياهو الذي يحترف إدارة الحكم عبر ما يصفه الباحثون العرب بهندسة الأزمات لتخليد السلطة.

يدرك نتنياهو تماماً أن إبقاء الحزب في حالة ارتباك يجعله الملاذ الوحيد للحل؛ وتؤكد القراءات التحليلية أن افتعال أو تعميق أزمة نتائج البراميريز يخدم غايتين حاسمتين لدى نتنياهو الأولى هي تصفية الحرس القديم والشخصيات الناقدة أو المستقلة نسبياً داخل حزبه كغيفلا غمليئيل، لإحكام السيطرة التامة على القائمة ومنحها لوجوه تدين له بالولاء المطلق.

والثانية هي استغلال اتهامات التزوير واللجوء للشرطة كورقة جوكر لإعلان النتائج فاسدة وغير نزيهة، مما يمنحه الذريعة السياسية والقانونية لتنصيب نفسه حكماً ومخلصاً للحزب، فيتدخل لفرض صلاحيات استثنائية بإلغاء النتائج أو إعادة ترتيب المقاعد وتوزيع المقاعد المحجوزة وفق حسابه الخاص وتعيين الموالين له دون اعتراض.

إلا أن هذه المناورات المكشوفة تتصادم مع ذعر حقيقي في مطبخ القرار؛ إذ تسربت جلسات مغلقة أقر فيها نتنياهو

مجرد أداة لإبادة الخصوم السياسيين وتثبيت عروش النفوذ المهددة. يتجلى هذا التحول في تفكيك قاع حزب الليكود الحاكم والمحرك الأساسي لمعسكر اليمين حيث تحولت العملية الانتخابية التمهيدية (البراميريز) إلى مسرح مكشوف للتزوير المنظم وتوزيع التهم الجنائية.

إن القضية المتعلقة بالوزارة غيفلا غمليئيل وإزاحتها المريبة من الدائرة الآمنة في القائمة الانتخابية لم تكن مجرد حادث عرضي أو خطأ في إحصاء أصوات صندوق بلدة بئر يعقوب (المقامة على أراضي قرية وادي حنين الفلسطينية المهجرة)، بل جرت بهندسة متقنة؛ إذ احتجرت الصناديق أياماً في الغرف المغلقة بعيداً عن أي رقابة، حتى خرجت النتائج مقلوبة لصالح النائبة إتي حافا عطية، المدعومة مباشرة من رئيس مركز الحزب ووزير العمل حاييم كاتس.

تجاوز هذا الصراع الخطوط الحمراء المعروفة داخل الحزب حين اندفعت الوزارة، برفقة زوجها، إلى تقديم شكوى رسمية أمام وحدة التحقيقات الجنائية والاحتيا (Lahav 433) بالشرطة الإسرائيلية، تتهم فيها قيادات نافذة في حزبها بالحيل والاحتيا وتزوير إرادة الناخبين، ولم يتردد الطرف المقابل في رشق الشكوى بأساليب التخوين المضاد؛ إذ صرح قياديون في الحزب بسخرية فاقعة متسائلين كيف حصلت الوزارة نفسها على كامل أصوات الصندوق ذاته في الفرز الأول قبل تعديله، مما يظهر أن البنية الحزبية أضحت مجرد شبكات منفصلة من النفوذ تستخدم أدوات العصابات لحسم البقاء.

وفي هذا السياق، تتقاطع هذه الممارسات مع قراءات باحثين ومحللين عرب متخصصين في الشأن الإسرائيلي، ممن يرون أن أروقة الليكود شهدت تحولاً بنوياً من حزب مؤسسي يخضع للوائح إلى ائتلاف هش لشبكات نفوذ ومحسوبة.

إن وصول فضائح الفرز إلى الشرطة والتحقيقات الجنائية يُمثل -بحسب هذه التحليلات- انكساراً شاملاً لأسطورة

تقرير

قراءة التقرير السنوي الصادر عن معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي (INSS)

كيف ترى إسرائيل مستقبلها؟

قراءة في أخطر مؤتمر أمني بعد حرب 2023



للقلق، سواء لدى الجمهور أو لدى الخبراء. وأظهرت النتائج أن 97% من المشاركين أعربوا عن قلقهم من التهديدات الداخلية، مقابل ما بين 80% و83% فقط أعربوا عن قلقهم من التهديدات الخارجية.

ويعكس هذا الفارق إدراكاً متزايداً بأن إسرائيل تستطيع، في العادة، توحيد مجتمعتها في مواجهة عدو خارجي، لكنها قد تعجز عن تحقيق هذه الوحدة إذا كان الانقسام نابغاً من داخلها.

ويرتبط هذا الخطر بالصراع حول هوية الدولة، والعلاقة بين الدين والدولة، والخلاف بشأن صلاحيات المؤسسات، وتقاسم أعباء الخدمة العسكرية، والتوتر بين المعسكرات السياسية والاجتماعية. وترى الدراسة أن هذه الانقسامات قد تشجع الخصوم على استغلال مظاهر الضعف، بعدما يصبح تراجع التماسك الداخلي مؤشراً على قابلية إسرائيل للتعرض لمزيد من الضغوط العسكرية والسياسية.

3. القضية الفلسطينية والتحول إلى دولة ثنائية القومية

تناولت الدراسة القضية الفلسطينية بوصفها مصدراً لـ "تهديد طويل الأمد"،

العسكرية، موضحاً أن التهديد الواحد قد يضرب أكثر من ركيزة في الوقت نفسه، بما يؤدي إلى تفاعل المخاطر بدل بقائها منفصلة (...)

أولاً: التهديدات الداخلية

صنفت الدراسة التهديدات الداخلية على النحو الآتي:

1. تراجع الطابع الديمقراطي للدولة أظهرت الدراسة أن التهديدات الداخلية تحتل موقفاً أكثر تقدماً مما تفترضه القراءة الأمنية الإسرائيلية التقليدية. وجاء تراجع الطابع الديمقراطي للدولة في مقدمة هذه التهديدات، انطلاقاً من أن الجمهور لا يفصل بين طبيعة النظام السياسي وقدرة الدولة على الصمود في مواجهة الأزمات. يؤدي إضعاف المؤسسات، وتراجع استقلالها، وانخفاض الثقة بها، إلى تقليص قدرة الدولة على اتخاذ القرارات، وحشد المجتمع، وإدارة الخلافات في أوقات الأزمات.

2. تحول الانقسام الداخلي إلى مواجهة

عنيفة مثل احتمال تحول الانقسام الداخلي إلى مواجهة عنيفة التهديد الأكثر إثارة

أعاد ياسر مناع من أسرة المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) قراءة التقرير السنوي الصادر عن معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي (INSS)، في ضوء المؤتمر السنوي للأمن القومي الذي يعقده المعهد بالشراكة مع «يديعوت أحرونوت» بعنوان «العصر الأمني الجديد لإسرائيل»، إلى جانب قراءة تقدير الموقف التي عرضها تамиر هابمان، رئيس المعهد والرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان). وهذا أبرز ما تضمنته هذه القراءة:

أعد "معهد دراسات الأمن القومي" ما وصفه بأنه "تصور شامل للتهديدات التي قد تواجه إسرائيل خلال السنوات الخمس إلى العشر المقبلة" شارك في صياغته أكثر من مئة خبير في مجالات الأمن والسياسة والاقتصاد والمجتمع.. وجاءت هذه الدراسة في أعقاب سلسلة من الأزمات بدأت بالانقسام الداخلي، ثم هجوم السابع من تشرين الأول/أكتوبر، والحرب متعددة الجبهات، وما رافقها من تحولات إقليمية ودولية. وخلال هذه المرحلة برزت تهديدات جديدة، فيما تبدلت طبيعة تهديدات أخرى، وأصبحت الروابط بينها أكثر تعقيداً وتشابكاً.

وخلصت الدراسة إلى أن إسرائيل تواجه شبكة مترابطة من التهديدات الداخلية والخارجية والدولية، بحيث يقود ضعف أي عنصر من عناصر قوتها إلى تفاقم بقية المخاطر، مطلقاً تأثيراً متسلسلاً وصفته الدراسة بـ "العاصفة الكاملة". فتراجع الوحدة الداخلية، بحسب الدراسة، "يضعف قدرة المجتمع على التعبئة"، بينما يؤدي انحسار الدعم الدولي إلى "تقليص قدرة إسرائيل على إدارة الحروب، والحصول على السلاح والغطاء السياسي"، في حين تحد الضغوط الاقتصادية والديمقراطية من قدرة الجيش والدولة على مواصلة القتال.

وفي هذا السياق، عرض يوفال إيلون، أحد المشاركين في إعداد "خريطة التهديدات"، الأعمدة الأربعة التي يقوم عليها الأمن القومي الإسرائيلي، وهي: العلاقات الخارجية، ومناعة الدولة وقدرتها على العمل، والتفوق التكنولوجي، والقوة

الانتخابات الإسرائيلية إلى أين؟

حسين موسى.. - كاتب فلسطيني - سورية



ذلك تبقى فرصه في تشكيل حكومة ضعيفة حتى الآن، ما قد يجعله أقرب إلى دعم نتنياهو بدل منافسته.

من جهة أخرى، يظهر المشهد السياسي الإسرائيلي أن عدد المقاعد لا يحدد بالضرورة هوية رئيس الحكومة، «فحكومة التغيير» في الماضي قادها بينيت بسبعة مقاعد فقط، بالشراكة مع يائير لابيد وبدعم من منصور عباس.

أما بالنسبة للمعارضة فهي تبدو أقوى نظرياً، إلا أن غياب التوافق على شخصية قيادية موحدة، في ظل طموحات كل من بينيت وأيزنكوت وأفغدور لبيرمان، يُضعف قدرتها على تشكيل حكومة، في المقابل يُعد غانتس الوحيد الذي تراجعت حظوظه في هذا السياق. ويعتبر أن الحرب الجارية لا تزال تخدم نتنياهو ومعسكره سياسياً، رغم التحديات التي قد تواجهه، خاصة الانتقادات المتعلقة بالدعم المالي للأحزاب الدينية، إضافة إلى تراجع فرص بعض حلفائه في تجاوز نسبة الحسم.

وفي المحصلة، تبقى موازين القوى شبه ثابتة منذ شهور، ولم تُحدث الحرب تغييراً جوهرياً فيها، إذ يقتصر التبدل على مقعد أو مقعدين بين المعسكرين، ومع بقاء نحو ثلاثة أشهر على الانتخابات، يظل المشهد مفتوحاً على احتمالات عدة، وقد يدخل الصوت العربي كعامل حاسم في الانتخابات إذا ما تم الاتفاق على قائمة واحدة موحدة حيث تشير الاستطلاعات إلى أن القائمة العربية الموحدة ستحصل على ما بين 16 و17 مقعداً، وهو ما قد يمنع كلا المعسكرين من تشكيل حكومة، ويدفع نحو جولة انتخابات جديدة، في ظل رفض غالبية الأحزاب الإسرائيلية الاعتماد على دعم الصوت العربي في تشكيل الحكومة.

بدأت الأنظار تتجه إلى ما يمكن أن تأتي به الانتخابات الإسرائيلية القادمة والتي تفصلنا عنها بضعة شهور قصيرة. بدون الغوص في نظرة التفضيل التي حكمت الذهنية الرسمية الفلسطينية والعربية في التعامل مع الانتخابات الإسرائيلية، والمستندة أساساً على تفضيل حزب اسرائيلي على آخر، فالتجربة الطويلة تؤكد أن جميع الأحزاب في إسرائيل متفقون على رفض الحد الأدنى من الحقوق الفلسطينية (الدولة الفلسطينية) لكنهم يختلفون في إدارة الصراع مع الشعب الفلسطيني.

الانتخابات فرصة للتغيير أو الدخول في الشلل .

إن قراءة استطلاعات الرأي الإسرائيلية تشير إلى أن التغييرات الحاصلة في المشهد الانتخابي ما تزال محدودة وشكلية، ولم تُحدث فروقات نوعية بين معسكر نتنياهو ومعسكر المعارضة، بل إن الحراك يتركز داخل كل معسكر على حدة، دون انتقال فعلي للأصوات بين الطرفين.

وتشير الاستطلاعات إلى أن وصول المعارضة إلى عتبة 61 مقعداً أو أقل يبقى ضمن هامش الخطأ، أما معسكر نتنياهو فقد حافظ خلال الفترة الماضية على قوة تتراوح بين 50 و52 مقعداً، ما يعني عجزه عن تشكيل حكومة بمفرده.

وفي هذا السياق، تبرز تصريحات غادي أيزنكوت، الذي أكد عدم ممانعته الانضمام إلى حكومة برئاسة نتنياهو، حيث تشير الاستطلاعات، إلى إمكانية حصوله على ما بين 12 و14 مقعداً، ما قد يجعله عنصراً حاسماً في ترجيح كفة نتنياهو، خاصة في ظل الخلافات داخل معسكر المعارضة، ولا سيما بينه وبين نفتالي بينيت حول زعامة التكتل.

ويرى أيزنكوت نفسه مرشحاً لرئاسة الحكومة، مؤكداً أنه غادر حزب «كحول لفان» برئاسة بيني غانتس لأنه لا يرغب في أن يكون في موقع الرجل الثاني، ومع

ودرسث ثلاثة مسارات رئيسة: ضم الأراضي من دون منح الفلسطينيين حقوقاً سياسية متساوية، وإقامة دولة فلسطينية، والتحول إلى دولة ثنائية القومية.

وأظهرت النتائج وجود قدر كبير من التوافق على أن الدولة ثنائية القومية تمثل "السيناريو الأسوأ والأكثر تهديداً لمستقبل إسرائيل".

ومع ذلك، ترى الدراسة أن استمرار المسار القائم قد يقود تدريجياً إلى هذا السيناريو، في ظل غياب أفق سياسي واضح، واستمرار السيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين. ويهدد هذا الواقع، وفق القراءة الإسرائيلية، الطابع اليهودي للدولة أو طابعها الديمقراطي، ويضعها أمام صراع متواصل حول الحقوق، والمواطنة، والسيطرة السياسية. ورغم إدراك الجمهور لهذا الخطر، فإن الساحة السياسية لا تزال عاجزة عن تقديم مسار يحظى بتوافق واسع للحيلولة دون الوصول إليه.

4. التحولات الديموغرافية وتراجع الإنتاجية

برزت التحولات الديموغرافية بين التهديدات التي ازداد وعي الجمهور الإسرائيلي بها بصورة متسارعة. ويتمثل الخطر، بحسب الدراسة، في تقلص نسبة السكان الذين يعملون، ويدفعون الضرائب، ويؤدون الخدمة العسكرية أو الاحتياط، مقابل تزايد الفئات التي تعتمد على موازنة الدولة، من دون أن تتحمل القدر نفسه من الأعباء الاقتصادية أو الأمنية.

5. هجرة أصحاب المهارات والكفاءات أظهرت الدراسة أيضاً تنامي القلق من هجرة أصحاب المهارات والكفاءات العلمية والتكنولوجية. وتعتمد إسرائيل، في جانب مهم من مكانتها الاقتصادية والعسكرية، على شريحة محدودة من الباحثين، والمهندسين، والعاملين في الصناعات المتقدمة. وأشار يوفال إيلون إلى بيانات تتحدث عن ميزان هجرة سلبي يقدر بنحو عشرين ألف شخص خلال السنوات الأخيرة. وترى الدراسة أن استمرار هذه الظاهرة قد يؤدي إلى إضعاف قطاع التكنولوجيا، والصناعات الأمنية، والجامعات، والاقتصاد، فضلاً عن الحد من قدرة الدولة على إعداد الجيل المقبل من الكفاءات العلمية والتقنية.

ثانياً: التهديدات الخارجية والدولية صنفت الدراسة التهديدات الخارجية والدولية على النحو الآتي:

1. تحوّل إيران إلى دولة نووية احتل احتمال تحوّل إيران إلى دولة نووية موقعاً متقدماً بين التهديدات الخارجية. ورأى الجمهور الإسرائيلي أن هذا السيناريو يجمع بين احتمال وقوع غير منخفض، وحجم ضرر بالغ، الأمر الذي يجعله من أخطر السيناريوهات التي قد تواجهها إسرائيل خلال السنوات المقبلة.

2. التعرض لهجوم صاروخي واسع وضع المشاركون احتمال تعرض إسرائيل لهجوم صاروخي واسع ضمن التهديدات المركزية. ويرتبط هذا السيناريو بالقدرات الصاروخية الإيرانية، وترسانة حزب الله، إضافة إلى الصواريخ والطائرات المسيّرة التي تمتلكها جماعات أخرى في المنطقة.

وترى الدراسة أن الحرب متعددة الجبهات كشفت عن محدودية قدرة إسرائيل على توفير حماية كاملة للجبهة الداخلية، ولا سيما عندما تتزامن الهجمات من أكثر من ساحة في الوقت نفسه.

3. استمرار الحرب لفترة طويلة برز استمرار الحرب لفترة طويلة بوصفه تهديداً قائماً بذاته، لا مجرد نتيجة مترتبة على تهديدات أخرى.

فالحرب الممتدة تستنزف الجيش، وقوات الاحتياط، والاقتصاد، والمجتمع، وتؤدي إلى تراجع الإنتاج، وارتفاع النفقات العسكرية، وتعطيل الدراسة والعمل، وإضعاف ثقة الجمهور بالقيادة.

ولأن إسرائيل تعيش بالفعل تجربة حرب طويلة على جبهة واحدة على الأقل، فقد أصبح الجمهور ينظر إلى الاستنزاف المستمر باعتباره خطراً مباشراً على قدرة الدولة على العمل، حتى في غياب هزيمة عسكرية واضحة.

4. تراجع الدعم الأميركي صنفت الدراسة تراجع الدعم الأميركي ضمن "التهديدات الاستراتيجية الخطيرة". وأصبح الجمهور الإسرائيلي أكثر إدراكاً لحجم الدور الذي يؤديه الغطاء الأميركي في توفير السلاح والذخائر، والدفاع عن إسرائيل في المؤسسات الدولية، ودعمها اقتصادياً وسياسياً. وترى الدراسة أن تآكل هذا الدعم قد

يؤدي إلى تقليص حرية الحركة الإسرائيلية، وإضعاف قدرتها على مواجهة إيران، والتعامل مع الهجمات الصاروخية، أو إدارة حروب متزامنة على أكثر من جبهة. 5. العزلة الدولية وفقدان الشرعية أظهرت النتائج أيضاً ارتفاع مستوى القلق من العزلة الدولية وفقدان الشرعية الخارجية.

فيحسب الدراسة، قد يؤدي تراجع المكانة الدولية لإسرائيل إلى حرمانها من المساندة العسكرية والسياسية، وفتح الباب أمام العقوبات، والمقاطعة، والقيود الاقتصادية والقانونية.

اقرأ على موقع 180 أميركا ما بعد الهيمنة: سقوط «إجماع واشنطن» كما أن هذا التهديد يضاعف آثار التهديدات الأخرى، لأن الدولة التي تواجه عزلة دولية تجد صعوبة أكبر في الحصول على الموارد، والدعم السياسي، والتحالفات اللازمة لإدارة الأزمات.

6. الترابط بين التهديدات تخلص الدراسة إلى أن مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي لم يعد يقتصر على إيران، أو الصواريخ، أو الحروب.

فإسرائيل، بحسب معدي الدراسة، مطالبة بمعالجة الانقسامات الداخلية، وتعزيز مؤسسات الدولة، وصون النظام الديمقراطي، وتقوية المناعة الاجتماعية، والحفاظ على الدعم الأميركي، والشرعية الدولية، ووقف تراجع الإنتاجية، والحد من هجرة الكفاءات.

وترى الدراسة أن الخطر الأكبر لا يكمن في أي تهديد منفرد، بل في تزامن هذه التهديدات. فحين يترافق ضعف الداخل مع تراجع المساندة الخارجية، والاستنزاف العسكري، والضغط الاقتصادي، تصبح الأزمات قادرة على التفاعل فيما بينها، لتتحول من تحديات منفصلة يمكن احتواؤها، إلى أزمة شاملة قد تهدد قدرة الدولة على الصمود والاستمرار.

رؤية تامير هايمان قدّم تامير هايمان، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) ورئيس معهد دراسات الأمن القومي، قراءة مركبة لنتائج المؤتمر، مؤكداً أن الصورة الإسرائيلية تجمع بين إنجازات ميدانية ومخاطر متزايدة.

ورأى أن "إسرائيل تقف أمام واقع

متحوّل، وأن قيمة الإنجازات العسكرية تتوقف على قدرة القيادة على تحويلها إلى رؤية متكاملة للأمن القومي تشمل السياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والعلاقات الإقليمية والدولية."

وأوضح هايمان أن الساحات المختلفة لا تزال تقدم صورة غير محسومة. ففي قطاع غزة، تستعيد حركة حماس، بحسب تقديره، جزءاً من قدراتها، في وقت تسيطر فيه إسرائيل على نحو 70% من مساحة القطاع، بينما يستمر الحديث عن تشكيل حكومة تكنوقراط أو نشر قوة دولية، من دون تحقيق تقدم تنفيذي حاسم.

أما في لبنان، فرأى أن حزب الله لا يزال قائماً ولم يُنزع سلاحه، لكنه يواجه ضغطاً ورفضاً متزايدين داخل النظام السياسي اللبناني، بالتوازي مع الاتصالات الجارية بين الحكومة اللبنانية وإسرائيل.

وفي ما يتعلق بإيران، اعتبر أن برنامجها النووي تلقى ضربة آخرته، لكنه لم يدمر، إذ ما زالت طهران تحتفظ بالقدرة على إعادة بنائه، كما خرجت قيادتها من المواجهة وهي تحمل شعوراً بالصمود والانتصار.

ويرى هايمان أن هذه الوقائع يمكن أن تشكل أساساً لصياغة مستقبل مختلف، لكنها لا تنتج الأمن والاستقرار بصورة تلقائية، ما لم تُترجم إلى رؤية استراتيجية شاملة. ومن هذا المنطلق، حدّد ثلاثة متطلبات رئيسة لرؤية الأمن القومي الإسرائيلي:

أولاً: تحديد اتجاه واضح للدولة يتمثل الشرط الأول، وفق هايمان، في امتلاك اتجاه استراتيجي واضح يقوم على المبادرة والرؤية والأمل، ويجب عن سؤال أساسي: ماذا تريد إسرائيل، عسكرياً وسياسياً وإقليمياً؟

ثانياً: الجمع بين أدوات القوة أما الشرط الثاني، فيتمثل في امتلاك قدرة على توظيف الأدوات العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية ضمن استراتيجية واحدة، لأن القوة العسكرية، مهما بلغت، لا تستطيع وحدها تحويل الإنجازات الميدانية إلى ترتيبات مستقرة ودائمة.

ثالثاً: اتخاذ قرارات بعيدة المدى ويرى هايمان أن الشرط الثالث يتمثل في قدرة القيادة على اتخاذ قرارات قد تتعارض مع المزاج الشعبي أو الخطاب الشعبي، إذا كانت هذه القرارات تخدم

الأمن القومي على المدى البعيد.

التطبيع جزء من العقيدة الأمنية وفي معرض تناوله لاتفاقيات التطبيع، أكد هايمان أن اندماج إسرائيل في الشرق الأوسط يشكل جزءاً من عقيدتها الأمنية، معتبراً أن التحالفات الإقليمية تتيح لإسرائيل ولدول المنطقة مواجهة مجموعة من التحديات المشتركة.

لكنه حذر، في الوقت نفسه، من اتساع تصور سائد في عدد من دول الخليج ودول عربية أخرى، ينظر إلى إسرائيل باعتبارها دولة تسعى إلى تعطيل المنطقة، وتوسيع حدودها، والإبقاء على الشرق الأوسط في حالة عدم استقرار لضمان استمرار تفوقها. ورفض هايمان هذا التصور، مؤكداً أن المصلحة الإسرائيلية، من وجهة نظره، تكمن في بناء شرق أوسط أكثر استقراراً، تستطيع إسرائيل أن توظف فيه قوتها العسكرية والتكنولوجية ضمن شبكة من التعاون والتحالفات.

وأضاف أن الدول العربية لن تدخل في شراكات أمنية واقتصادية عميقة مع إسرائيل ما دامت تشك في نياتها. وأشار إلى أن دول الخليج لا تشترط التوصل إلى حل نهائي للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، لكنها تطالب بوجود اتجاه سياسي واضح، واستعداد إسرائيلي للسير نحو تسوية، مع التأكيد أن إسرائيل لا تسعى إلى ضم جميع الأراضي الفلسطينية أو إلى تحقيق رؤى مرتبطة بفكرة "إسرائيل الكبرى".

وانطلاقاً من ذلك، دعا إلى البدء بخطوات انتقالية محدودة، مثل التوصل إلى اتفاق أمني مع سوريا، وترتيب أمني أو سياسي مع لبنان، واتخاذ خطوات تدريجية في الساحة الفلسطينية.

ويرى أن مثل هذه الخطوات يمكن أن تسهم في بناء الثقة، وتبعث برسالة إلى الدول العربية مفادها أن إسرائيل لا تسعى إلى تقويض الحدود الإقليمية أو فرض هيمنة قائمة على استمرار النزاعات، بما يفتح المجال أمام اندماج أمني وسياسي واقتصادي أوسع.

العلاقة مع أميركا.. التحدي الأكثر إلحاحاً حدّد هايمان العلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة بوصفها التحدي الأكثر إلحاحاً أمام إسرائيل في المرحلة المقبلة.

وحذر من اقتراب إسرائيل من أزمة ترتبط بتراجع الدعم الحزبي، والشعبي، واليهودي لها داخل الولايات المتحدة، ولا

سيما بين الأجيال الشابة.

وأوضح أن معظم التحديات التي تواجه إسرائيل تصبح أكثر تعقيداً في غياب المظلة الأميركية.

وربط هايمان هذه العلاقة أيضاً بالاقتصاد وقطاع التكنولوجيا الفائقة، اللذين يعتمدان بدرجة كبيرة على السوق الأميركية والمنظومة التكنولوجية الغربية.

وحذر من أن أي شرخ في هذه العلاقة قد يطلق سلسلة من التداعيات التي تضعف قدرة إسرائيل على مواجهة بقية التحديات، مؤكداً أن أي تهديد منفرد قد لا يكون وجودياً بحد ذاته، لكن تزامن التهديدات، مع تراجع الدعم الأميركي والدولي، قد يفضي إلى وضع بالغ الخطورة.

كما أشار إلى أن العلاقة الشخصية القوية بين رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو والرئيس الأميركي دونالد ترامب قد تحجب حجم المشكلة الحقيقي، لأنها تمنح القيادة الإسرائيلية شعوراً بالاطمئنان، وتصرف الانتباه عن التحولات العميقة التي يشهدها المجتمع الأميركي.

ولهذا، رفض هايمان بناء الأمن القومي الإسرائيلي على العلاقة مع رئيس أميركي بعينه، أو على تركيبة سياسية مؤقتة في البيت الأبيض، داعياً إلى التحرك سريعاً لاستعادة الدعم العابر للحزبين، وتعميق العلاقة مع المجتمع الأميركي والجالية اليهودية، وإطلاق مبادرات سياسية وإقليمية تعيد تقديم إسرائيل بوصفها دولة تسعى إلى الاستقرار والاندماج، لا إلى إدارة الحروب بصورة دائمة.

خاتمة

يخلص هايمان إلى أن الرؤية المطلوبة للأمن القومي الإسرائيلي ينبغي أن تجمع بين القوة العسكرية، والمبادرة السياسية، والقدرة العملياتية، والأمل، والمناعة الاقتصادية والاجتماعية، والأمن الخارجي. ويرى أن إسرائيل تمتلك، في الوقت الراهن، قدرات عسكرية وإنجازات ميدانية مهمة، غير أن مستقبلها لن يتحدد بحجم هذه الإنجازات وحدها، بل بقدرتها على دمجها ضمن استراتيجية سياسية واضحة، قبل أن تضيق الفرص التي وفرتها القوة العسكرية.

(*) المصدر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار).

أخطر أشكال الاستعمار عبر التاريخ: الحرب الرابعة من الاستعمار الاستيطاني تحتاح الضفة الغربية

نواف الزرو - كاتب وباحث سياسي فلسطيني - الأردن

بعد نحو ثلاثة أعوام من الإبادة الصهيونية الإجرامية ضد أهلنا في غزة، وامتداداتها في الضفة الغربية، وبعد خطة ترامب المزعومة للسلام ووقف أعمال القتل، نعود مجدداً لموضوع الاستعمار الاستيطاني في فلسطين وفي الضفة الغربية على نحو حصري، ففي ضوء ما نتابعه من تحليلات وسيناريوهات إسرائيلية وغيرها حول إرهاب الثنائي سموترتش وايتمار بن غفير اللذين تحولوا من زعرنة الشوارع إلى رتبة عضوي كنيسة، وإلى رتبة وزيرين يتسلمان وزارتين من أهم الوزارات الصهيونية، والدور الذي يلعبه أيضاً وزير المالية سموترتش على نحو خاص الذي يقود كل الاعتداءات والهجمات على مختلف الأماكن في الضفة الغربية، ويعتبر الدينامو في تصعيد الهجمة الاستعمارية-الاستيطانية، وفي ضوء ما نتابعه أيضاً من موجات من الهجمات الإرهابية التي يشنها المستعمرون المستوطنون ضد الفلسطينيين على امتداد مساحة الضفة على مدار الساعة، بل أن هذه الهجمات أصبحت منفلة وتجاوزت كافة الخطوط الحمراء، نعود من جديد لنفتح ملف الاستعمار الصهيوني في فلسطين ودلالاته الإجرامية الخطيرة، إذ يعتبر الاستعمار الاستيطاني الصهيوني



الأونروا في عين الاستهداف الإسرائيلي

لنا». إن ما يُعبر عنه هذا الحاخام السفاردي ليس مجرد موقف ديني أو شخصي، بقدر ما يعكس رأي المجتمع الإسرائيلي بكافة أطيافه وقادته، وهذا ما دأب على قوله نتنياهو وبن غفير وسموترتش وأبواق اليمين الديني المتطرف الآخرين الذين يحرضون على الإبادة و التطهير العرقي لدفع أهلنا نحو التهجير.

إن هدم مقرات الأونروا وإنهاء خدماتها في القدس هو حلقة أخرى وسط ما يجري في هذه الآونة من اعتداءات ممنهجة عنصرية وتوسعية لقطعان المستوطنين تحت حراب وحماية وشراكة جيش الاحتلال بحق المدن والبلدات والمخيمات الفلسطينية، التي شهدت مؤخراً قتل مواطنين ونسف وحرق المنازل على رؤوس أصحابها، ومصادرة الأراضي واقتلاع الأشجار وسرقة قطعان الأغنام، وحملات الاعتقالات الجماعية العشوائية، وخطف الشبان لتصفيتهم، وإقامة البؤر الاستيطانية، والمصادقة على بناء وحدات سكنية جديدة للمستوطنين، وفرض أشكال متعددة من الحصار الاقتصادي، وإقامة ما يسمى «بالخيط القرمزي» الذي سيعزل نحو ١٨٠ ألف دونم من أراضي الأغوار التي تشكل السلة الغذائية للأراضي الفلسطينية المحتلة، إضافة إلى إقامة جدار عزل جديد بطول 22 كم، ونشر مئات الحواجز ونقاط التفتيش العسكرية لتقطيع الأوصال بين المدن والبلدات الفلسطينية.

إن الهجمة على منظمة الأونروا ودورها ليس بجديد، فقد تعرضت إلى ضغوط لتعديل المناهج الوطنية والتدخل بمفرداتها في خمسينيات القرن الماضي، وتجددت هذه المحاولات مع بداية القرن الحالي، بحجة أنها تخرق مبادئ «الحيادية والاستقلالية وعدم التحيز والإنسانية». وفيما بعد توافقت مع وقف التمويل الدولي بعد اتهام الأونروا وموظفيها بعدم الحياد، بل بالمشاركة في أحداث السابع من أكتوبر؛ الأمر الذي فنده تقرير لجنة التحقيق الأممية المستقلة، برئاسة وزيرة خارجية فرنسا السابقة، كاترين كولونا في أبريل 2024. ولا زالت الولايات المتحدة، التي تعد أكبر الممولين الدوليين، (نحو 360 مليون دولار سنوياً، أي ما يشكل ثلث الميزانية السنوية للأونروا) توقف تمويلها استجابة

أخيراً حدث ما كان متوقعاً، ونفذت قوات الاحتلال أبعد ما كان قد قرره الكنيست الإسرائيلي بإنهاء خدمات الأونروا في الأراضي الفلسطينية. فقد تم الاستيلاء على مجمع الأونروا في القدس في مخيم قلنديا وكفر عقب دون إنذار مسبق، كما صرّح بذلك المتحدث باسم الأونروا نافذ أبو حسنة، ومن ثم هدمه بمحاولة من حكومة الاحتلال هدم وإسقاط الشاهد الأممي الوحيد على نكبة فلسطين، وحرمان اللاجئين الفلسطينيين من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية التي تقدمها وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) والتي أنشئت بقرار من الأمم المتحدة حمل رقم 302 عقب نكبة فلسطين في ١٩٤٩/١٢/٨.

إن هذا الاعتداء الصارخ على صرح أممي وإغاثي يعتبر خرقاً للقانون الدولي، ومحاولة للتخلص من القيود الأممية التي تعيق سياسات الاحتلال أحياناً، ويحمل أهدافاً خطيرة تتمثل في ضرب وإنهاء كل ما يرمز إلى قضية اللاجئين ومحورها حق العودة قانونياً وسياسياً، ومحو الذاكرة الفلسطينية محلياً وعالمياً؛ وإعادة تشكيل الوعي المجتمعي الدولي بسردية كاذبة للاحتلال تقوم على التزييف التوراتي التلمودي، ووسم الأونروا وموظفيها بصفة «الإرهاب»، كما تهدف هذه الجريمة بحق الإنسانية إلى محو رمزية الخيمة والمخيم وطوابير اللاجئين، وصور معاناة الأطفال والنساء في مخيمات اللجوء في الشتات، كأرشيف شاهد على جريمة العصر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، ذلك عبر تهويد مدينة القدس لإفراغ أكنافها من اللاجئين، وإزالة كل ما يرمز إلى وجودهم فيها تمهيداً للضم النهائي وإعلانها عاصمة الدولة اليهودية.

إنه السعي الإسرائيلي الدائم لإنهاء الوجود الفلسطيني في الأراضي المحتلة، والتخلص من كل ما يمت له بصلة، وهذا ما يؤكد تصريح الحاخام الأكبر لدولة الكيان دافيد يوسف عندما قال: «الفلسطينيون ليسوا شعباً، ولم يكونوا كذلك، غزة لنا، ونابلس لنا، وجنين

على الأرض الفلسطينية أحد أهم وأخطر المرتكزات الصهيونية للاستيلاء على فلسطين وتهويدها، بل يعتبر الاستيطان أخطر مظاهر الإجرام والإرهاب الصهيوني إلى جانب سياسات التطهير العرقي الإبادي الإجرامي، وهو الترجمة الأساس للمشروع الصهيوني على الأرض الفلسطينية، فبدون الاستيطان لم تكن لتقوم «إسرائيل».

في هذا المضمون الإجرامي للاستيطان، عدنا إلى أرشيف الأدبيات والمواقف الصهيونية المتعلقة بالضفة والقدس والقرارات الدولية، وفي هذا الصدد، كان دافيد بن غوريون قد وجه انتقاداً شديداً للحكومة، لأنها لا تفعل شيئاً لاستكمال الانتصار العسكري الإسرائيلي في حزيران/67، وقال: «إذا أردنا أن تبقى القدس كلها بيدنا إلى الأبد، فعلينا أن نستوطنها بسرعة من الشرق والشمال والجنوب»، وأضاف: «أن الانتصار في حرب الأيام الستة، ليس الكلمة الأخيرة، إذ علينا أن نستوطن المناطق الجديدة بسرعة»، وبعد عدة أيام أضاف: «بدون هجرة جماعية غفيرة ومضاعفة التكاثر اليهودي، وزخم عملية الاستيطان في كل الأراضي التي وقعت تحت سيطرة إسرائيل منذ مدة قريبة، فمن يعلم إذا ما كانت دولة إسرائيل ستعمر طويلاً- هأرتس 1967/11/17».

ساند: ممارسات المستوطنين تعود إلى أكثر من مئة عام

وفي ذات السياق وفي نفس الجوهر الذي تحدث عنه بن غوريون، قال المؤرخ الإسرائيلي شلومو ساند إن «المستوطنين اليهود منذ ما يزيد عن مئة عام، وتحديدًا عند العام 1891، وفي بدايات الوجود الاستيطاني اليهودي على هذه الأرض، وهم يتعاملون مع العرب بالعداء والقسوة، ويعتدون عليهم دون مبرر، ويضربونهم بشكل مهين، بدون سبب، بل إنهم يتباهون بفعل ذلك، ولم يكن هناك من يستطيع وقف تيار هذا الاتجاه الدنيء والخطير»، وأضاف ساند في مقال بصحيفة «هأرتس» أن «هذا السلوك العدواني وُلد لدى المهاجرين اليهود في حينه تغييراً مفاجئاً في ميلهم نحو الاستبداد، كما يحدث دائماً لـ «العبد الذي يصبح ملكاً». وأكد ساند أن

«الضفة الغربية اليوم لم تعد من أملاك الإمبراطورية العثمانية، كما كان الأمر في حينه منذ ما يزيد عن قرن من الزمان، لكنها لا تزال نفس الأرض، نفس التلال، ونفس القرى تقريباً، وبالطبع مع أحفاد نفس العرب»، وأشار إلى أن «صراع المستوطنين اليهود مع جيرانهم الفلسطينيين والعرب لم يبدأ في عام 1967 أو عام 1948، بل بدأ مع بداية الاستيطان الصهيوني في نهاية القرن التاسع عشر، حين اقتلع المستوطنون الأوائل أنفسهم، وتركوا بلدانهم الأصلية نتيجة لظاهرة كراهية اليهود- موقع القدس الاخباري الإثنين، 20 ديسمبر 2021».

وعزز روغل الفر- الكاتب في هأرتس -- 2021/12/27 ما ذهب إليه ساند قائلاً: «العنف القاتل ضد الفلسطينيين والتحريض على العنف القاتل ضد الفلسطينيين هي أمور تسري في دماء حركة الاستيطان»، وكذلك الكاتب ران أدليست- الذي كان أكد المضمون ذاته في معاريف 2021/12/1 غولديشتاين، عندنا يقدسون قتلة عنصريين مثل المخرب باروخ غولديشتاين، الذي حظي بنصب تذكاري ومعجبه يسرحون في الكنيسة، ويذكر هنا أنه في شباط 1994 قتل غولديشتاين 29 مصلياً وأصاب نحو 100 في مغارة المكفيل (الحرم الإبراهيمي) ودفن في حديقة مثير كهانا في الخليل، وتحول قبره إلى موقع حجيج.

وفي هذا السياق أيضاً، فإن قوات الاحتلال والجرافات الصهيونية كلها معاً في مشهد واحد متكامل تعيد في هذه الأيام إنتاج تفاصيل النكبة الفلسطينية، إنه الإجرام الصهيوني الحديث يتكامل في الآونة الأخيرة على امتداد مساحة القدس والضفة الغربية وعموم فلسطين، فحسب شهادة ايلينا هيمرمان في هأرتس 2021/2/12، «فإن المستوطنات اليهودية تطبق على القرى العربية من كل الجهات - اريئيل، هرفافاه، كريات نتيفم، برقان، بروخين، عالي زهاف، ليشم، يكيف، بدوئيل، وبيت آريه، تمتد هذه المستوطنات وتقترب وتخنق وتطبق بالجدران والشوارع على مدينة سلفيت وقرى كفل حارس وحارس وبروكين وكفر الديك ودير بلوط ودير استيا، ومساحات اختصاصها الكبيرة، التي بلا شعب» ليجعلها أرضاً خالصة له من دون

الاستعمار الاستيطاني أخطر أشكال الاستعمار عبر التاريخ....!

وعلى ذلك، واستناداً إلى الخلفيات الأيديولوجية والاستراتيجية الصهيونية، فإن الاستعمار الاستيطاني هو أخطر وأقسى ألوان الاستعمار، فالاستعمار العادي الذي مارسه كثير من الإمبراطوريات الاستعمارية قديماً وحديثاً يحتل الأرض لينهب خيراتها وليجعلها قاعدة لأمن «المركز» الذي جاءت منه جيوشه وليستغل شعوب البلاد المحتلة، أما الاستعمار الاستيطاني فهو الاستيلاء على الأرض واستغلال لسكانها واقتلاعهم من أراضيهم وديارهم بالإبادة أو التهجير، فهو يحول البلاد التي يستعمرها إلى «أرض بلا شعب» ليجعلها أرضاً خالصة له من دون

أهلها... فالاستيطان هو أن يقوم غرباء- غزاة باستيطان أرض لا تخصهم بتأييد من دول أوروبا الاستعمارية، فقد تم نقل سكان من أوروبا إلى المناطق المكتشفة في العالم والخالية من الحضارة الأوروبية، كأمریکا وأستراليا. وحصل المستوطنون على الأرض وأبادوا أو عزلوا سكانها الأصليين. وتنبثق الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطاني من إيمان المستوطنين بتفوقهم الحضاري واحتقارهم للسكان الأصليين، وشعورهم بالتفوق عليهم وتمدينهم بالقوة، وركز المستوطنون على احتلال الأرض من السكان الأصليين واستعمارها وجعلها خالية منهم، وترحيل السكان الأصليين خارج الحدود إلى الدول المجاورة.

فالمستوطنون غرباء جاؤوا من وراء البحار واستقروا في أراض ليست لهم وهدفهم زيادة الهجرة وزيادة الأراضي المغتصبة وكسر إرادة السكان الأصليين بالقوة والإرهاب والإبادة والعنصرية، ويعمل الكيان الاستيطاني على تشجيع الهجرة، ويتراعى تشجيع الهجرة مع عملية تهجير (ترحيل) السكان الأصليين وحصر ملكية الأرض بالمستعمرين الغزاة، فملكية الأرض تنتقل من السكان الأصليين إلى المستوطنين.

وتدعي النظم الاستيطانية بأنها نظم ديمقراطية، وهي في الحقيقة ديمقراطية للمستوطنين فقط ونظم إرهابية وعنصرية تجاه السكان الأصليين، وتتجلى عنصرية المستوطنين وإغراقهم في التمييز العنصري والإبادة باستخفافهم بحقوق وحياة وكرامة السكان الأصليين، فارتكاب المجازر حدث طبيعي في سلوكهم وممارساتهم وثبت بجلاء التحالف الاستراتيجي بين أنظمة الاستعمار الاستيطاني والدول الاستعمارية. وتحتل عملية الاستيلاء على الأرض مكان الصدارة في الصراع بين المستوطنين وسكان البلاد الأصليين، تماماً كما فعلت فرنسا في الجزائر والنظام العنصري السابق في جنوب أفريقيا وروديسيا. وشكل الاستعمار الاستيطاني جزءاً لا يتجزأ من الاستعمار التقليدي في كينيا والجزائر وأنجولا.

يتعارض الاستعمار الاستيطاني مع مبادئ القانون الدولي المعاصر التي تؤكد على

ضرورة إنهاء الاستعمار بكافة أشكاله، وفي مقدمتها الاستعمار الاستيطاني الذي يشكل أبشع وأخطر أنواع الاستعمار، فأنظمة الاستعمار الاستيطاني بحكم نشأتها الاستعمارية، وطبيعتها العنصرية، وممارساتها الوحشية تنتهك أحكام ومبادئ القانون الدولي وأهم العهود والمواثيق والاتفاقات الدولية، وتخالف قرارات الأمم المتحدة ولا تلتزم بتنفيذها، وبشكل خاص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في عام 1960 حول «منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة وتصفية الاستعمار»، ويعترف القانون الدولي والأمم المتحدة بشرعية كفاح الشعوب الرازحة تحت السيطرة الاستعمارية والأجنبية، وبشرعية الكفاح بكافة الوسائل بما فيها المقاومة والمصير وكس الاستعمار بشكليه التقليدي والاستيطاني.

وعلى هذه الخلفية نأتي للاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين الذي يمكن اعتباره الأخطر والأبشع في التاريخ المعاصر، ففي فلسطين تتجلى أقسى وأبشع أشكال الاستعمار الاستيطاني التي تنعكس وتترجم يومياً بل وفي كل ساعة ضد الشعب العربي الفلسطيني، وعلى نحو خاص في ظل صفقة القرن الترابمية الصهيونية بالكامل، وفي ظل وباء الكورونا الذي اجتاح العالم. وفي هذا السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني حدث ولا حرج

الحرب الاستعمارية الاستيطانية الرابعة....!

فنحن في المشهد الفلسطيني الراهن أمام ما يمكن أن نطلق عليه «الحرب الاستعمارية الاستيطانية الرابعة -الأولى بدأت عام 1948 والثانية بعد العدوان عام 1967- والثالثة كما ترجمها الكاتب توفيق أبو شومر» التي بدأت طلائعها منذ منتصف شهر ديسمبر 2018، ثم في أعقاب السابع من أكتوبر/2023 أطلق الإرهابي سموترتش ما يمكن أن نسميها الحرب الاستعمارية التهويدية الرابعة والتي ما تزال مستمرة ومتصاعدة بمنتهى الشراسة، ولكنها في سياق سلسلة متصلة من المعارك الطاحنة الوجودية على أهم المواقع في الضفة الغربية، وهي: القدس والخليل والأغوار،

وفي هذا السياق وفي أحدث وأخطر تطورات المشهد الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية: الحكومة الصهيونية المصغرة تصادق خلال جلسة سرية عُقدت يوم الخميس 2026:4:9 خطة واسعة لإقامة 34 مستوطنة جديدة في الضفة الغربية، بما يشمل إنشاء جيوب استيطانية داخل مناطق مصنفة (أ) و(ب) طبقاً لاتفاق أوسلو..وتُعد هذه الخطوة الأكبر من نوعها من حيث عدد المستوطنات التي يتم إقرارها دفعة واحدة، إذ سيرتفع إجمالي عدد المستوطنات المصادق عليها من 69 إلى 103. وتشمل الخطة مواقع في شمال الضفة الغربية، بعضها يقع في مناطق معزولة أو نقاط لا يصل إليها الجيش الإسرائيلي بشكل دائم، وقيل كان الاحتلال طرح نحو 200 مخطط استيطاني منذ بداية العام/2025 وهذا اعتبر اكبر عدد يسجل في تاريخ الاستيطان-معهد اريخ 2025/11/13»، ويظهر التحليل الذي أعده المعهد، أن المخططات الاستيطانية المعلن عنها تركز بشكل خاص على توسيع المستوطنات الإسرائيلية حول مدينة القدس الشرقية المحتلة، وأوضح أنه حسب المخططات، فقد صدر 22 مخططاً استيطانياً للبناء في مستوطنة «جفعات زئيف»، بالإضافة الى 16 مخططاً للبناء في مستوطنة «معاليه أدوميم»، من بينها مخططان مخصصان لمنطقة «E1»، أما في محافظة بيت لحم، فقد كانت المستوطنات الأكثر استهدافاً هي: بيتار عيليت بعدد 17 مخططاً، وإفرا 2 ب 14 مخططاً، ومعاليه عاموس ب 5 مخططات، وفي محافظة نابلس، تم توجيه الغالبية العظمى من المخططات التوسعية إلى مستوطنتي عيلي وآلون موريه بعدد 7 و3 مخططات على التوالي، وفي محافظة رام الله، شملت المخططات التوسعية كلاً من مستوطنات موديعين عيليت وبيت آريه- عوفاريم وريمونيم، بينما في محافظة سلفيت، كان النصيب الأكبر من المخططات لمستوطنة أريئيل، إضافة إلى مستوطنات عيتص أفرايم وبيدوئيل وبرقان الصناعية. ولكن، وفي الوقت الذي يتسابق فيه بعض الزعماء والوزراء والمدراء وبعض المثقفين والإعلاميين والتجار العرب على التطبيع المجاني مع الاحتلال الصهيوني،

يسارع عدد كبير من أعضاء «الكنيست» والوزراء من حزب «الليكود» وأحزاب يمينية أخرى إلى التوقيع على وثيقة تعهدوا فيها بدعم الاستعمار الاستيطاني والعمل على بناء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية. ووفقاً لصحيفة «إسرائيل اليوم» فإن الحديث يدور عن وثيقة بادرت بطرحها حركة «نحلا» الاستيطانية، حيث جمعت تعهدات من وزراء وأعضاء كنيست بالعمل على توطين أكثر من مليوني مستعمر -مستوطن- غاز في الضفة الغربية، وكان من بين الوزراء والمسؤولين الذين وقعوا على الوثيقة من الوزارة السابقة: رئيس الكنيست -المستقيل- «يولي أدلشتاين»، ووزير الحرب «يسرائيل كاتس»، والوزير «يريف ليفين»، والوزير «زئيف ألكين»، والوزير «جلعاد أردان»، والوزيرة «أيلت شاكيد»، و«نفتالي بينيت» رئيس الوزراء الأسبق والمرشح لرئاسة الوزراء القادمة، والوزيرة السابقة «ميري ريفغ»، والوزير «أيوب قرا»، ووزير الحرب الأسبق «يؤاف غالنت».

يواجه الشعب الفلسطيني منذ سنوات تهديداً حقيقياً يطلقون عليه هناك في «إسرائيل»: «دولة المستوطنين اليهود في يهودا والسامرة»، إذ بدأ هؤلاء يهددون بالانفصال عن دولة «إسرائيل» وإقامة دولتهم الخاصة المستقلة، وذلك حسب زعمهم رداً على أي محاولة من الحكومة الإسرائيلية للانسحاب من الضفة في إطار التسوية الدائمة للصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

فقد كان المستعمرون المستوطنون أعلنوا في منشور حمل عنوان «إسرائيل أرضنا» عن «مسابقة لوضع نشيد قومي واختيار علم آخر لدولتهم، وسيمنح الفائز بأحسن تصميم للعلم والنشيد بجائزة نقدية»، وجاء الإعلان عن هذا المخطط في مقال في صحيفة يديعوت أحرنوت كتبه الراباي شالوم دوف وولفا رئيس «الطاقم العالمي لإنقاذ الشعب اليهودي» وهي المنظمة التي شكلت خصيصاً لذلك، تحت عنوان «الزلازل المقبل»، وقال الحاخام شالوم دوف في بيان له «بعد موافقة إسرائيل على إقامة دولة فلسطينية واقترح قانون لتعويض المستوطنين تمهيداً لإخلائهم: ف «إن الحل

هو إعلان دولة -أو مستعمرة يهودية أخرى- ذات حكم ذاتي في إطار المستعمرة الكبرى -إسرائيل-»، ولكن على الأرجح أن يكون هذا الإعلان في سياق تنسيق متكامل مع حكومة نتنياهو. وعن هذه الدولة كتب يهودا باور- في هآرتس «إن إسرائيل لا تسيطر على بضع مئات الآلاف من المستوطنين اليهود هناك، فهم يقبلون الحكم الإسرائيلي فقط، إذا كان يصب في مصلحتهم، أما عندما لا يحدث ذلك وفقاً لتصورهم، فهم يتجاهلونه في أحسن الأحوال وينجحون في مقاومتهم له في أسوأ الأحوال»، ويضيف: «الشرطة والسلطات الأمنية والجيش يخضعون لتهديد المقاومة الششطة المتواصل من قبل المستوطنين، ويخضعون لهذه التهديدات، وأصبح هناك دولتان، الأولى ملتزمة بالقانون الديمقراطي الغربي، والثانية بالحكم الديني المتطرف والخالصي».

أما الخبير بالشؤون العربية داني روبنشتاين فقد كتب بدوره في هآرتس -عن دولة المستعمرين- المستوطنين يقول: «على خلفية اتفاق السلام مع مصر والانسحاب الإسرائيلي من سيناء أقام نشيط حركة «كاخ»، ميخائيل بن حورين، في الثمانينيات ما سماه هو ورفاقه «دولة يهودا»، وكان قصدهم رمزياً وهو الإشارة إلى بديل ممكن عن السلطة الإسرائيلية في الضفة الغربية إذا ما انسحبت إسرائيل من المناطق وعندما تفعل ذلك، ولقب بن حورين نفسه بلقب «رئيس دولة يهودا»، بعد ذلك كان من محرري كتاب «باروخ الرجل»، الذي امتدح القاتل في الحرم الإبراهيمي باروخ غولدشتاين، وكان من أبطال البولسا دينورا ضد اسحق رابين. و«لكن- يضيف روبنشتاين- في العديد من الجوانب أقيم في الضفة، برعاية حكومات إسرائيل وتشجيعها، كيان سياسي ذو طابع يخصه، أي أنه نشأ فصل، حيث توجد دولة إسرائيل على حدة، والضفة أو دولة يهودا على حدة».

ونحن هنا إذ نتحدث عن دولة أو جمهورية المستوطنين اليهود الإرهابية القائمة في أنحاء الأراضي الفلسطينية المحتلة بشكل عام، فإننا لا نبالغ في ذلك أبداً، ذلك أن المستعمرات-المستوطنات

اليهودية المنتشرة في أنحاء الضفة والقطاع عبارة عن ترسانات مسلحة أولاً، وعبارة عن مستنبتات أو دفيئات لتفريخ الفكر السياسي والأيدولوجي الإرهابي اليهودي ثانياً، ودفيئات أيضاً لتشكيل وانطلاق التنظيمات والحركات الإرهابية السرية في نشاطاتها وممارساتها الإرهابية ثالثاً، فضلاً عن كونها قوة ضغط هائلة على قرارات الحكومة الإسرائيلية ونهجها الاستيطاني والتكيلي ضد الفلسطينيين رابعاً، وذلك رغم الحقيقة الساطعة المتمثلة بالتعاون والتكامل القائم بين الجانبين، فلا تعارض ولا تناقض قطعاً ما بين الدولة الإسرائيلية الرسمية بمؤسساتها وأجهزتها السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والإدارية والمالية، وسياساتها الاستيطانية، وما بين دولة المستوطنين اليهود المنفلتة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وعندما نتحدث عن دولة أو جمهورية -والأصح مستعمرة- المستوطنين اليهود، فإننا نتوقف عند حقيقة الصفات والخصائص الأساسية ومنها العنصرية والفوقية والإرهابية التي ميزت ودمغت الحركة الصهيونية والتنظيمات الصهيونية التاريخية، فمشروع الاستيطان اليهودي ترجمة صارخة للاستراتيجية الصهيونية على الأرض الفلسطينية، ودولة المستعمرين المستوطنين هي نتاج عملي لتلك الترجمة. وعندما نتحدث عن دولة المستوطنين اليهود، فإننا نتوقف أمام، مسلسل، لا حصر له، من الانتهاكات والممارسات الإرهابية الدموية التكتيلية والتدميرية الجامعة المنطلقة من صميم المستوطنات اليهودية... وكلها تجري بصورة سافرة تحت سمع وبصر وحماية الحكومة والجيش وأجهزة الأمن الإسرائيلية هكذا هي حقائق المشهد الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في الأراضي المحتلة حتى في ظل الجائحة الكورونية العالمية.

والمؤسف هنا: أنهم يعملون هناك في المستعمرة الصهيونية على مدار الساعة من أجل تحقيق حلمهم باختطاف الأرض والوطن والتاريخ والحقوق وتهويدها، هكذا بفعل القوة والإرهاب، بينما يهرول العرب الأعراب لمنحهم الاعتراف والغطاء والشرعية بالتطبيع معهم!...

ترجمات

لمحات من الصحف العالمية لموضوعات متنوعة

إعداد وترجمة: نور نواره



إدانات متصاعدة لعنف المستوطنين في الضفة الغربية

تشير بيانات الأمن «الإسرائيلي» إلى ارتفاع حاد في هجمات المستوطنين، من نحو 405 هجوماً في النصف الأول من 2025 إلى 660 هجوماً في الفترة نفسها من 2026، بحسب تقديرات نشرتها «تايمز أوف إسرائيل». ترافق هذا التصاعد مع سلسلة إدانات لافته: السفير الأمريكي مايك هاكابي، المعروف بموقفه الداعم للمستوطنات، اعترف علناً بوجود ما وصفه بـ «الإرهاب اليهودي» في الضفة، وهو اعتراف اعتبرته هآرتس في افتتاحيتها تطوراً يُسقط أي ذريعة أمريكية للتغاضي عن الملف، ودعت واشنطن إلى تحويله إلى ضغط فعلي بدل الاكتفاء بالتصريحات. من الداخل الإسرائيلي أيضاً، نقلت «هآرتس» عن مصدر أمني رفيع وصفه للضفة بأنها باتت أقرب إلى «برميل بارود» قابل للانفجار، مشيراً إلى تردد بعض الضباط في مواجهة المستوطنين خشية الإضرار بمستقبلهم الوظيفي. أممياً، وثقت الأمم المتحدة وتيرة هجمات قياسية بلغت نحو 190 شهرياً، فيما غطت «واشنطن بوست» و«أسوشيتد برس» من الميدان حصار مستوطنين لعائلات فلسطينية بأكملها في قرية قصرة قرب نابلس لعدة أيام.

قوة روسيا الميدانية والتفاوضية تُبقي الحرب في أوكرانيا بلا أفق قريب
بعد أكثر من أربع سنوات ونصف على الغزو الروسي الشامل، تسيطر موسكو على نحو خمس الأراضي الأوكرانية، يشمل ذلك كامل إقليم لوهانسك تقريباً وأجزاء واسعة من دونيتسك، بحسب «متعقب النزاعات» التابع لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، ورغم أن أوكرانيا سجّلت في فبراير 2026 أول تقدم شهري صافٍ لها منذ 2023 في إقليم زابوريجيا، ردّت روسيا بتكثيف هجماتها قرب بوكروفسك وميرنوهراد وكوستيانينيفكا. ويرى محللون من بينهم «أولغا أوليكر» من مجموعة الأزمات الدولية، أن روسيا ليست مرشحة للانحياز اقتصادياً أو عسكرياً رغم الضغوط المتراكمة، وأن أوكرانيا في المقابل لن تتراجع قبل

نفاد عتادها. هذا الميزان غير المتكافئ لصالح موسكو يعكس مباشرة في الموقف التفاوضي: فتائب وزير الخارجية الروسي سيرغي ريابكوف أوضح أن بلاده منفتحة على «أفكار جديدة» فقط إذا توافقت مع أهداف بوتين نفسه لا كبديل عنها، في وقت تراجعت فيه الوساطة الأمريكية بسبب انشغال واشنطن بحرب إيران.

كيف كلّفت حرب أمريكا وإسرائيل على إيران الاقتصاد العالمي؟

في 28 فبراير 2026 نفّذت الولايات المتحدة وإسرائيل ضربات منسقة أودت بحياة المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي واستهدفت مواقع عسكرية ونووية. ردّت طهران بإغلاق مضيق هرمز فعلياً، الممر الذي يعبر منه نحو خمس إمدادات النفط والغاز العالمية بحسب وكالة الطاقة الدولية ووكالة أسوشيتد برس، فيما أشارت Axios إلى أن نحو ثلث تجارة الأسمدة العالمية يمر بالمضيق أيضاً، ما ينذر بارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية والملابس والمعدات الطبية حول العالم. ووفق إدارة معلومات الطاقة الأمريكية، انهار تدفق النفط عبر المضيق من 21.6 مليون برميل يومياً إلى نحو 4.9 مليون فقط، ونقلت بلومبرغ عن رئيس وكالة الطاقة الدولية فاتح بيرول تحذيره من أن الاقتصادات النامية ودول آسيا هي الأكثر عرضة للضرر إذا لم تُحل الأزمة خلال أسابيع. من جهته حدّر صندوق النقد الدولي من أن استمرار الإغلاق قد يخفض النمو العالمي إلى 2.5% ويرفع التضخم إلى 5.4%، فيما تتواصل حتى أواخر أغسطس تهديدات إيران بوقف تدفق النفط بالكامل رداً على عقوبات أمريكية جديدة وصفها وزير الخزانة الأمريكي بأنها «يوم حسم اقتصادي».

- المصادر:

- تايمز أوف إسرائيل، هآرتس، واشنطن بوست،
- أسوشيتد برس، أخبار الأمم المتحدة، مجلس العلاقات الخارجية (CFR)، Modern Diplomacy، Axios،
- بلومبرغ، إدارة معلومات الطاقة الأمريكية (EIA)، صندوق النقد الدولي، CNN.

رصد

اقتربت نهاية الأسطورة

التاريخ يعيد نفسه مرتين: المرة الأولى كمأساة، والثانية كمهزلة.

كارل ماركس



هتلر يعود من جديد، والنازية تطل من أوسع أبواب الكيان الصهيوني. هتلر يتخفى في ثياب ننتياهو وعصابته الحاكمة في الكيان والنازية والتطهير العرقي والإبادة الجماعية مجسدة في التوراة، وقد استعارها هتلر الجديد في خطابه، وأن لليهود الحق الطبيعي وإلهي في إبادة عدوهم والتكثيف به.

حماقة هتلر جسدها ننتياهو، فهو يعتدي على لبنان واليمن والعراق وإيران وقطر وسوريا، ويهدد تركيا، ويعلن صباح مساء أنه سيقوم بتغيير الشرق الأوسط.

نهاية هتلر والنازية، وفشل مقولة عداء السامية، تبشر بنهاية الكيان والعصابة الحاكمة. فالحرّاك طال الرأي العام العالمي في أمريكا والاتحاد الأوروبي. لهذا، فإن هتلر الجديد ونازيته في حالة احتضار.

- عائشة وهاب فازت في الانتخابات التكميلية الخاصة بمقعد الدائرة 14 في كاليفورنيا بمجلس النواب الأمريكي.
- أنيس نيكسون حقق فوزاً مفاجئاً بترشح الحزب الديمقراطي لمجلس الشيوخ عن فلوريدا.
- السيناتور الديمقراطي كريس فان هولاند، أحد المرشحين المحتملين لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2028، دعا إلى إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة تمتلك جيشاً وطنياً، معتبراً أن إنهاء الاحتلال الصهيوني يجب أن يكون هدفاً أساسياً للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.
- اكتشاف خريطة لفلسطين في العهد القديم: خريطة فلسطين موجودة في إنجيل سويدي في القرن 19، ويوجد إصحاح يُذكر فيه غزة ولا تذكر إسرائيل بتاتاً.

- تم إحراق دمية لهتلر العصر الجديد، ففي إسبانيا وضعوا دمية ضخمة بطول سبعة أمتار وحشوها بأربعة عشر كيلوغراماً من المتفجرات، مدونة عليها جرائم ننتياهو في غزة ولبنان، ثم فجروها.

- رئيس وزراء كندا أعلن استعدادة لإنشاء جيش أوروبي مشترك بعيداً عن الهيمنة الأمريكية.

- كندا: أعلن رئيس وزراء كندا نهاية استنزاف ميزانية كندا الدفاعية لصالح جارتها الجنوبية، «ولقد ولى عصر إرسال 70% من إنفاقنا العسكري نحو واشنطن». تركيا: الادعاء العام في إسطنبول قدم لوائح اتهام رسمية بالإبادة الجماعية ضد 35 مسؤولاً صهيونياً من الكيان.

- كوريا الجنوبية: رئيس كوريا لي جاي ميونغ وضع الكيان في نفس خانة أسوأ كوابيس كوريا التاريخية.

- بولندا: النائب جريوز براون قال: «نحن نتعرض للابتزاز، دعونا نقولها بوضوح: إسرائيل دولة إرهابية».

- إيرلندا: تحطيم طائرة عسكرية أمريكية على يد مواطن إيرلندي عادي من عامة الناس، تجسيدا لانفجار شعبي ضد الآلة العسكرية الداعمة للكيان الصهيوني. الإعلام العبري: تصرفات رئيس الحكومة تنذر بأمر خطر، إنه مدمر حروب يضحي بالشعب على مذبح السلطة والبقاء، وجعلنا منبوزين ومعزولين ومهددين بجرائم الحرب. فالتاريخ لا يرحم.

هل يعتبر رعيان العرب وقطعانهم المهرولون للتطبيع ودعم الكيان والتوسل لقادته ليوفروا لهم الحماية، ويقحمون شعوبهم وينكلون بهم باسم فلسطين، متناسين أن فلسطين لن تكون شامعة لهم ليعلقوا عليها زلهم وخزيهم وتواطؤهم وخذلانهم؟ ولم يدركوا أن يوم العقاب قريب. «هذه الأسطورة سوف تسقط سقوطاً مدوياً».

التقرير الشهري

فلسطين في شهر آب 2026:

وقف هتس للنار في غزة، وتصعيد متدرج في الضفة

إعداد: موسى جرادات

لم يكن شهر آب/أغسطس 2026 شهراً عادياً في المشهد الفلسطيني، إذ بدا أن الصراع انتقل من مرحلة الحرب المفتوحة إلى مرحلة أكثر تعقيداً: حربٌ لم تتوقف تماماً، ووقف إطلاق نار لم يتحول إلى مسار سياسي مستقر، ومفاوضات تدور حول مستقبل قطاع غزة وسلاح المقاومة والانسحاب الإسرائيلي، بالتوازي مع تسارع المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية ومحاولات الاحتلال إعادة صياغة الواقع السياسي والجغرافي هناك.

وفي المقابل، واصلت الساحة الفلسطينية البحث عن صيغة جديدة لإدارة غزة، في ظل إعلان حركة حماس سابقاً حلّ جهازها الحكومي وتسليم الصلاحيات الإدارية إلى اللجنة الوطنية لإدارة غزة، فيما تحركت قوى فلسطينية باتجاه ترتيبات سياسية وانتخابية جديدة. لكن هذه التحولات بقيت محكومة بسؤال جوهري: من يملك القرار الفلسطيني، ومن يحدد شكل النظام السياسي والأمني في مرحلة ما بعد الحرب؟

• غزة: وقف إطلاق نار على حافة الانهيار

كان التطور السياسي الأبرز خلال آب هو تعثر الانتقال إلى المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار في قطاع غزة.

فقد حاولت الإدارة الأميركية، عبر مبعوثها نيكولاي ملادينوف ثم جاريد كوشنر، دفع الأطراف نحو تنفيذ خارطة طريق تقوم على نزع سلاح حركة حماس تدريجياً، وانسحاب إسرائيلي متدرج، ونشر قوة استقرار دولية، وإعادة تشكيل الأجهزة الأمنية والإدارية في القطاع.

لكن العقدة الأساسية بقيت في ترتيب الخطوات. فحركة حماس أبدت استعداداً مبدئياً للمضي في مسار يؤدي إلى تفكيك قدراتها العسكرية ضمن ترتيبات متدرجة ومضمونة، بينما تمسكت حكومة بنيامين ننتياهو بأن الانسحاب الإسرائيلي لا يمكن أن يبدأ قبل نزع سلاح حماس بصورة كاملة. وقد أكد ننتياهو في 9 آب رفضه للانسحاب قبل تحقيق هذا الشرط.

وفي منتصف الشهر، لم يتمكن لقاء ننتياهو مع كوشنر من إحداث اختراق حقيقي، رغم تشكيل مجموعتي عمل لبحث نزع السلاح وإعادة تشكيل الواقع الأمني في القطاع. وبدأ أن الطرفين متفقان على العنوان العام، لكنهما مختلفان جذرياً على التسلسل: هل يبدأ الانسحاب بالتوازي مع نزع السلاح، أم يكون الانسحاب نتيجة نهائية لنزع السلاح؟

وبذلك تحولت المرحلة الثانية إلى ساحة صراع سياسية لا تقل أهمية عن الميدان. فدولة الاحتلال تريد استخدام ملف السلاح لضمان بقاء نفوذها الأمني، بينما ترى حماس أن أي نزع للسلاح دون انسحاب للاحتلال، وضمانات سياسية وأمنية سيحوّل الاتفاق إلى آلية لإعادة إنتاج الاحتلال بشروط جديدة.

• الميدان لم يهدأ

على الرغم من الحديث المتواصل عن وقف إطلاق النار، لم تتوقف العمليات العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة. فقد سجلت الأمم المتحدة خلال آب استمرار الغارات والقصف وإطلاق النار، فيما بقي معظم سكان القطاع في ظروف نزوح قاسية، مع تركيز غالبية السكان في مساحة محدودة غرب ما يعرف بالخط «الأصفر».

وفي النصف الثاني من الشهر تصاعد التوتر حول الطائرات الورقية والبالونات التي ظهرت قرب الحدود. وعلى الرغم من إعلان جيش الاحتلال أن بعض الطائرات الورقية التي استعادها لم تحمل مواد خطيرة، هدد ننتياهو ووزير حربه كاتس بتوسيع العمليات وشن عمليات اغتيال وتهجير من المناطق التي تنطلق منها هذه الطائرات. وردت حماس بأن الاحتلال يستخدم هذه القضية ذريعة لاستئناف التصعيد.

وتحوّل الأمر سريعاً إلى وقائع ميدانية، إذ أسفرت غارات لجيش الاحتلال في 23 و24 آب عن سقوط عدد من الشهداء الفلسطينيين، بينهم أطفال، كما استمر القصف في مناطق مختلفة

تقرير الهدف

من القطاع. وفي 28 آب تحدثت مصادر عن استشهاد خمسة فلسطينيين في ثلاث غارات جديدة.

وهكذا بدا وقف إطلاق النار أقرب إلى «هدنة مسلحة» منه إلى نهاية للحرب؛ فالاحتلال يحتفظ بوجود عسكري وسيطرة على مساحات واسعة، والمقاومة تحتفظ بقدرتها على إحداث تهديدات محدودة.

• حماس: انتقال من الحكم إلى إعادة تعريف الدور

سياشياً، كان قرار حركة حماس حلّ جهازها الحكومي في غزة وتسليم الوظائف الإدارية إلى لجنة وطنية فلسطينية من أهم التحولات التي سبقت شهر آب، لكنه أصبح خلال هذا الشهر جزءاً أساسياً من النقاش حول مستقبل القطاع.

الحركة بذلك تحاول الفصل بين مسألة الحكم الإداري ومسألة وجودها السياسي والعسكري. فهي أبدت استعداداً للتخلي عن إدارة المؤسسات المدنية، لكنها لم توافق على أن يؤدي ذلك تلقائياً إلى إلغاء دورها السياسي أو فرض نزع أحادي لسلاحها.

ومن هنا برزت معادلة جديدة: هل يمكن أن تكون غزة تحت إدارة فلسطينية تكتنقراطية، فيما تبقى القضية السياسية والأمنية موضع تفاوض؟ أم أن المطلوب إسرائيلياً وأميركياً هو إعادة تشكيل القطاع بالكامل، بما في ذلك بنيته السياسية والأمنية؟

هذا السؤال سيبقى، على الأرجح، أحد أهم عناوين المرحلة المقبلة.

• الحراك الفلسطيني: فتح، حماس، والبحث عن صيغة سياسية جديدة

في الضفة الغربية، لم يكن الحراك الفلسطيني منفصلاً عن التحولات في غزة. فقد شهد آب اتصالات سياسية مرتبطة بإعادة ترتيب البيت الفلسطيني، وبخاصة في ظل التحضير للانتخابات الفلسطينية المقبلة.

وبرز خلال الشهر حديث عن اتصالات بين حركة فتح والتيار المرتبط بمحمد دحلان، بما يعكس أن مرحلة ما بعد الحرب بدأت تفرض إعادة تشكيل التحالفات الفلسطينية. وفي 25 آب ظهرت تقارير إعلامية وجود محادثات بين فتح والتيار المحسوب على دحلان، في سياق الاستعداد للاستحقاقات الانتخابية.

وكان مؤتمر فتح الثامن الذي عقد في أيار قد أعاد تثبيت محمود عباس رئيساً للحركة، مع انتخاب لجنة مركزية جديدة، في خطوة هدفت إلى إعادة تنظيم الحركة في مرحلة

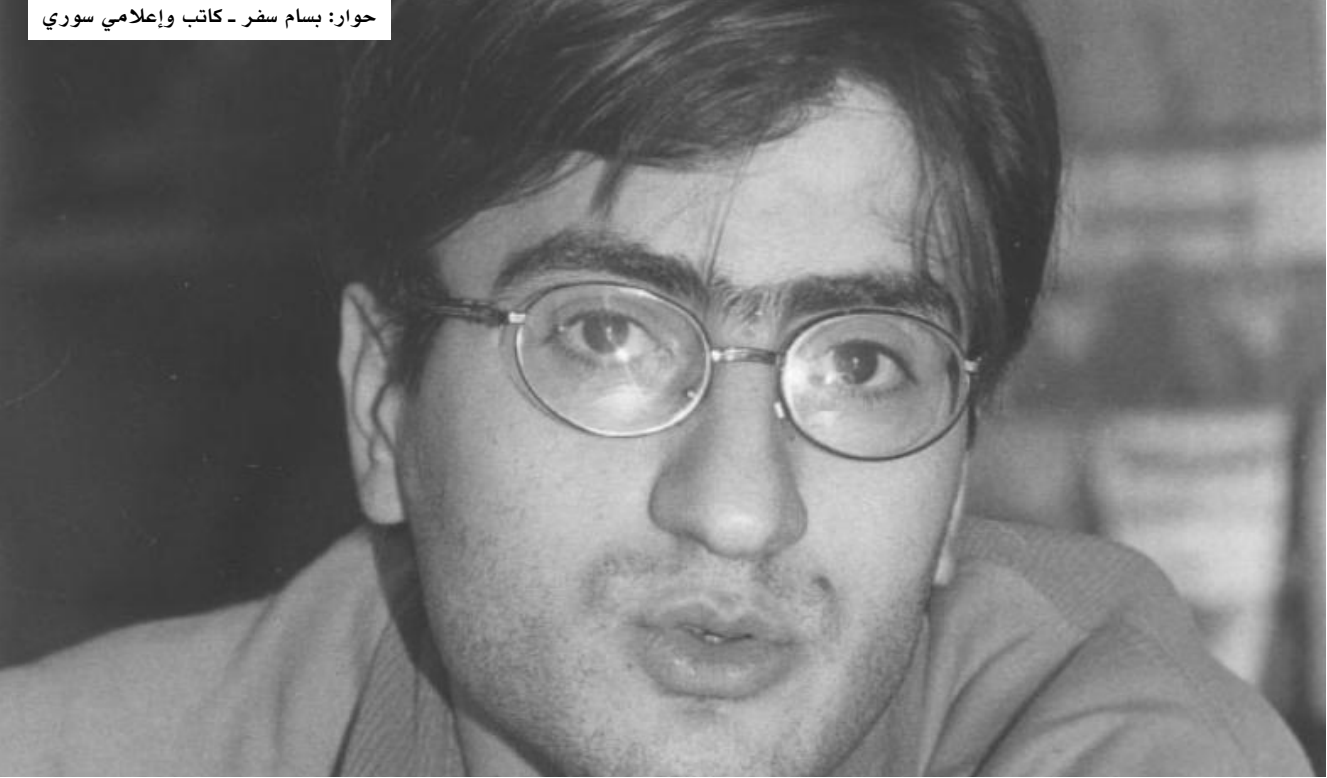
حوار الهدف الثقافي

مع الشاعر

سامر أبو هوش

الشاعر والروائي والمترجم سامر أبو هوش، له أكثر من عشر إصدارات شعرية، آخرها (من النهر إلى البحر)، وقبله (أطلال)، وروايتان، وترجم العديد من المجموعات الشعرية الأمريكية، والرواية الإنجليزية إلى العربية، من مواليد صيدا جنوب لبنان في العام 1972، درس الصحافة في الجامعة اللبنانية وتخرج فيها في العام 1996، عمل في الصحافة اللبنانية والإمارتية، يقيم في إسبانيا، ويعمل مديراً للقسم الثقافي والاجتماعي في مجلة المجلة، عن ديوانه الأخير والوضع الفلسطيني والإبادة الجماعية في غزة، كان لـ «الهدف» الحوار التالي:

حوار: بسام سفر - كاتب وإعلامي سوري



■ ديوان «من النهر إلى البحر» يتخذ من حرب الإبادة بغزة منذ خريف العام ٢٠٢٣، انطلاقاً له، كيف نظرت لها من المنظار الشعري والإنساني؟!

القصيدة الأولى التي كتبها في هذا الديوان، ربما بعد نحو شهر من حرب الإبادة على غزة، كانت قصيدة «لم يعد مهماً أن يحبنا أحد»، في ذلك الوقت كان الشعور الطاغى عليّ هو أننا كفلسطينيين تركنا وحدنا لنقتل ونباد، وأبعد من ذلك ليبدأ مشروعنا الوطني وحلمنا بقيام دولتنا الفلسطينية.

لقد كان كلّ ما جرى منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، نتيجة لتاريخ طويل من التخلي، والمساومة، ومشروع وأد الحلم الوطني الفلسطيني.. هكذا قرأت الأمر منذ البداية، إذ لا شيء في هذه الحرب معزول عن المشروع الأكبر الذي رأيناه يمضي قدماً، وعلى صعيد المنطقة برمتها، قبل أن تطلق رصاصة واحدة من غزة.

ما جرى ويجري حتى الآن يمكن تسميته بأقصى حد من استغلال تفكك المنطقة العربية وتشردمها وضعفها، وغياب أي مشروع سياسي عربي جامع، وحتى لو لم يحدث السابع من أكتوبر، فهذا المسار كان متواصلاً، بقرار دولي وعربي، واليوم عدنا لنرى تواصل هذا المسار. حرب الإبادة كانت السبيل لتسريع المسألة لا أكثر. ما كان سيحدث في عشر سنوات مثلاً، حصل في ثلاث سنوات، والمؤلم - بل الفاجع - في الأمر، أن كل ما حدث لم يدفع إلى لحظة يقظة وطنية فلسطينية شاملة، تعيد ترتيب الأوراق وبلورة المشروع الوطني الفلسطيني، انطلاقاً من جميع هذه التطورات.

إذن، هذه القصيدة، بالنسبة إليّ تختزل هذا المشهد، أننا كما قال الراحل الكبير محمود درويش «وحدنا»، هكذا كنا منذ ما قبل 1948، وهكذا نحن اليوم.

وتمويل إنشاء مستوطنات جديدة. وكانت حكومة نتنياهو قد أقرت في تموز ميزانية بقيمة ٣٥٠ مليون دولار لإنشاء 34 مستوطنة جديدة، مع تخصيص أكثر من ٣٠٠ مليون دولار إضافية للبنية التحتية المرتبطة بها.

وهذه الإجراءات لا يمكن فصلها عن الأزمة السياسية. فدولة الاحتلال تتجه إلى انتخابات في 27 تشرين الأول، ويخوض اليمين المتطرف معركة وجود سياسية، فيما يحاول نتنياهو الحفاظ على ائتلافه ومنع انهياره.

• نتنياهو بين واشنطن واليمين

أظهر آب أن نتنياهو يقف بين ضغطين متناقضين: ضغط أميركي يريد تثبيت اتفاق غزة ومنع العودة إلى الحرب، وضغط داخلي من اليمين الديني والقومي يرفض أي تنازل للفلسطينيين.

ويظهر ذلك بوضوح في أزمة بتسليث سموتريش، وزير المالية وزعيم الصهيونية الدينية، الذي يواجه أزمة انتخابية حقيقية قبل انتخابات تشرين الأول. وتشير استطلاعات إلى أن حزبه قد يواجه خطر عدم تجاوز نسبة الحسم، الأمر الذي يدفعه إلى التشدد في ملف الاستيطان والضم من جهة، والحفاظ على موقعه داخل ائتلاف نتنياهو من جهة أخرى.

وبذلك أصبحت الحرب على غزة، والاستيطان في الضفة، جزءاً من المعركة الانتخابية الإسرائيلية. ولم يعد السؤال بالنسبة لليمين فقط كيف تنتهي الحرب، وإنما كيف يمكن تحويل نتائجها إلى واقع سياسي دائم.

• التصعيد العسكري الأخطر: جنين

وفي 28 آب، شهدت الضفة تطوراً نوعياً عندما نفذ الاحتلال غارة جوية نادرة قرب جنين، أدت إلى استشهاد ثلاثة مقاومين فلسطينيين، بينهم قيس البطاوي. وأكدت حماس والجهاد الإسلامي صلة البطاوي بهما، بينما تحدث الهلال الأحمر عن عرقلة وصول الطواقم الطبية إلى موقع الغارة.

هذه العملية تحمل دلالة تتجاوز عدد ضحاياها؛ لإعادة استخدام الغارات الجوية في الضفة يعني أن الاحتلال يرفع مستوى الأدوات العسكرية المستخدمة فيها، ويقترّب من تحويل الضفة إلى ساحة عمليات مفتوحة شبيهة، في بعض جوانبها، بما شهدته خلال الانتفاضات السابقة.

وفي الوقت ذاته، أعلن جيش الاحتلال

شديدة الحساسية.

لكن المشكلة الفلسطينية لا تتعلق فقط بمن سيتولى إدارة غزة أو من سيفوز في الانتخابات، بل بطبيعة النظام السياسي الفلسطيني نفسه. فاستمرار الانقسام بين الضفة وغزة، وغياب إطار وطني جامع لإدارة الصراع مع الاحتلال، يترك الساحة مفتوحة أمام مشاريع إسرائيلية وأميركية لإعادة تعريف القضية الفلسطينية وفق شروط خارجية.

• الضفة الغربية: الاحتلال يغيّر قواعد اللعبة إذا كانت غزة قد شهدت خلال آب صراعاً على شكل نهاية الحرب، فإن الضفة الغربية شهدت صراعاً على شكل المستقبل الفلسطيني نفسه.

فقد واصل الاحتلال عملياته العسكرية والاعتقالات والاقتحامات، بالتزامن مع تصاعد اعتداءات المستوطنين وعمليات الهدم ومصادرة الأراضي وتقييد حركة الفلسطينيين. وفي مخيم قلنديا وحده نفذت قوات الاحتلال في 5 و6 آب عملية واسعة استمرت نحو 48 ساعة، وأصيب خلالها 51 فلسطينياً، فيما تحدثت الأمم المتحدة عن اعتقال واستجواب نحو 150 فلسطينياً خلال العملية.

كما وثقت الأمم المتحدة عشرات اعتداءات المستوطنين خلال الأسابيع الأولى من الشهر، بينما استمرت القيود المفروضة على الحركة في مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس. لكن الأخطر من الأرقام اليومية هو التحول في طبيعة العلاقة بين الاحتلال والضفة. فدولة الاحتلال لم تعد تتعامل مع الاستيطان بوصفه مشروعاً هامشياً، وإنما باعتباره جزءاً من إعادة بناء السيطرة على الأرض.

وفي 21 آب أصدرت ثمانى دول عربية وإسلامية بياناً رفضت فيه مخطط منطقة E1 الاستيطاني، معتبرة أنه يمثل تصعيداً في مشروع الاستيطان والضم، ويهدد إمكانية قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة.

• من الإدارة العسكرية إلى الضم الفعلي

خلال آب تزايدت المؤشرات على انتقال إسرائيل من إدارة الضفة كأرض محتلة إلى محاولة دمج أجزاء واسعة منها في منظومة السيطرة الإسرائيلية المدنية.

وتزامن ذلك مع خطوات متراكمة خلال الأشهر السابقة، بينها نقل صلاحيات في مناطق من الضفة إلى مؤسسات مدنية إسرائيلية، وتوسيع صلاحيات المستوطنين،

■ **نصوص الديوان محملة بالألم والخراب والاغتراب في سياق مأساة الإنسان الفلسطيني، ويتموضع فيها رغم ادعاء الحضارة الغربية الإنسانية عبر حقوق الإنسان، لماذا استمرار التراجيديا الفلسطينية؟!**

أوافق على توصيف الألم والخراب، أما مسألة الاغتراب فهي موضع نقاش، إلا إن كان المقصود الشعور بالاغتراب عن العالم. لكن من جهة أخرى، لا بد لي من القول إن قصائد «من النهر إلى البحر» مجتمعة، هي المرة الأولى التي أكتب فيها بوصفي فلسطينياً.

خلال سنوات نشأتي وشبابي، كانت قضية فلسطين (رغم كل الهزال السياسي الرسمي) على كل لسان. كنا نشعر أن لنا شركاء في محيطنا العربي في فلسطينيتنا ووجعنا، إلا أن حرب الإبادة أكدت أن هذا لم يكن إلا وهماً. كنا وحدنا منذ البداية. وقد كتبت قصائد الديوان انطلاقاً من هذا الشعور، وكان ماثلاً أمام عيني التجارب الماضية التي كنا نتعرض فيها للقتل والإبادة، كما كان ماثلاً الخوف من مستقبل يعود فيه الجميع إلى الصمت ونبقى نحن لنكمل المواجهة وحدنا.

وبالتالي فالحديث ليس فقط عن ادعاءات الحضارة الغربية وما إلى ذلك، بل في قلب هذا كله، لا بد من الحديث عن الادعاء العربي الزائف، وكل الشعارات التي كانت ترفع سابقاً.

أخشى أن الإجابة عن الأسباب تتجاوز قدرتي، إلا أن ما يمكن قوله إننا أضعنا عقوداً طويلة، منذ الانتفاضة الأولى، لصياغة مشروع وطني فلسطيني حقيقي، متحرراً أولاً من كل حمولات الماضي الثقيلة، وقادر على صوغ رؤية عصرية حديثة وأصيلة للصراع. لقد اعتمدنا أكثر مما يلزم على البيانات العربية، والاتفاقات الدولية، والرعاة الدوليين، حتى بتنا عاجزين عن الفعل. بات النضال الفلسطيني محكوماً بمجموعة محدّدت داخلية وإقليمية ودولية، تمنع أي أفق للاجتماع الفلسطيني الفاعل والمؤثر والقادر على المواجهة. يجب أن نعترف أننا، منذ اتفاقات أوسلو، وولادة ما يسمى بـ «السلطة الفلسطينية»، وما تلا ذلك من تشردم داخلي فلسطيني، صرنا الحلقة الأضعف في المنطقة.

اختصاراً لهذا كله، فلنتأمل فقط الواقع

العربي اليوم، حيث الجميع تقريباً بات يقول «فلسطين ليست قضيتي»، ويبنّي مشاريع سياسية وتحالفات بناء على ذلك، في حين ما زلنا نحن عاجزين عن صوغ جواب جدي على كل هذه التحولات.

■ **يظهر الأمل المجهض في قصيدة الانقراض، والمدينة الأخيرة في نهاية الحضارية البشرية، هل يستطيع الشعر إنقاذ العالم من بربرية الصهيونية ومصالح الاستعمار؟!**

الشعر لا يستطيع فعل شيء. الشاعر «يفني» أو «يشد» بالمعنى القديم للكلمة. حتى الملاحم الكبرى مثل الإلياذة والأوديسة والإنياذة، هي في الحقيقة حواش على الواقع، حيث يقف الشاعر ويروي ما يتخيله من الماضي، ويراه من الحاضر، ويتوقعه من المستقبل.

لكنه لا يستطيع التأثير في الواقع. هو بمعنى من المعاني شاهد لا أكثر. قبل «من النهر إلى البحر» كتبت قصيدة «أطلال» التي صدرت في 2022، ولعل العنوان وحده يعبر عما أقول، إذ يأتي انطلاقاً من مبتدأ القول الشعري الشهير «فقا نبكي»، ثم يسرد الشاعر صور الخراب، مستذكراً ومستحضراً صور الماضي «الجميل» إلخ.

الشاعر حين يكون شاهداً لا يستطيع إلا أن يقف ويبكي. لكن البكاء، أو الرثاء بالمعنى الأعرض، ليس على غزة وحدها، أو فلسطين وحدها. هو بالفعل رثاء للإنسانية. حين تحدث أي إبادة في أي بقعة من العالم، فإن البشرية كلها تصبح معنية، لأن هذا يصبح إرث الجيل الذي حضر الإبادة، وكان شاهداً عليها.

هذا ما حصل في الهولوكوست إبان الحرب العالمية الثانية، وما حصل للأرمن قبل ذلك، وفي البوسنة والهرسك، وغيرها العديد من الإبادات. البشرية برمتها تحمل هذه الوصمة، وصمة الإبادة. وهي وصمة لا تمحى بمرور الزمن، وليس من تعويضات أو اعترافات من أي نوع يمكن أن تخفّف من أثرها. ليس من قبيل المبالغة أو الكلام الإنشائي القول إن الإبادة التي حصلت وتحصل في فلسطين اليوم، هي امتداد للإبادة التاريخية بحق الشعب الفلسطيني.

لقد رأيت ممثل كيان الإبادة في الأمم المتحدة وهو يتحدث قبل أيام أمام العالم كله، عن أن القرآن، وليس التوراة وحدها، وعدهم بفلسطين كلها، إرثاً أبدياً لهم. كلام كهذا كان يمكن أن يفجّر موجات إدانة

وسخرية وردود على مستوى العالم كله، لو قيل قبل سنوات، لكن قوله اليوم لم يحدث أي أثر.

ما كان يضمّره الصهاينة منذ البداية، يقولونه اليوم جهاراً. هذا هو الفارق الوحيد، أما المشروع فقائم منذ ما قبل 1948.

رغم كلّ التشاؤم في كلامي هذا، فلا بد لي من القول إنني حقيقة لست قلقاً على فلسطين، فهي ستبقى قائمة وسيبقى اسمها فلسطين، كما قال أيضاً شاعرنا درويش. مصدر الألم الحقيقي لديّ يتعلق بالأجيال. بنا نحن، أهل هذا الزمن بأننا نعيش اليوم ما عاشه أجدادنا وأخشى أن أحفادنا سيعيشون ما نعيشه.

فلسطين ستتحلّر ذات يوم، هذه حقيقة راسخة في قلبي وضميري، ولا أشك فيها لحظة، لكنني أحزن على نفسي وعلى أبناء جيلي، من فلسطينيين وعرب وغيرهم، ممن يعيشون اليوم هذه المآسي الكبرى ويجدون أنفسهم عاجزين عن فعل شيء، سوى أن يكونوا شهوداً في أفضل الأحوال.

■ **قصيدة «الرقم» تبعد اسم الإنسان وتحوله لرقم بفرع فلسطين أيام النظام البائد، أو إلى مقابر الأرقام في الكيان الصهيوني، حيث لا قيمة إنسانية لإنسانية الإنسان، أين إنسانية الإنسان؟!** يظلّ جرحاً شخصياً بالنسبة إليّ، أن أخي إسماعيل الذي كتبت عنه القصيدة/ الكتاب «تخيّل ثوباً لتذكر» قبل أكثر من عشرين عاماً، هو من المعتقلين في مقبرة الأرقام. بالنسبة إليّ، هو مدفون في أرض وطنه، وبالتالي هو أفضل حالاً منا جميعاً، لكنّ دلالات ذلك المؤلمة أن الإنسان الفلسطيني، حتى وهو ميت، لا قيمة له.

لقد قرأت عن احتفاظ الكيان الصهيوني بمئات الفلسطينيين ممن استشهدوا منذ السابع من أكتوبر، وذلك لمقايرضتهم في أي صفقات مستقبلية. مجرد قراءة هذا الخبر تجعلني أرتجف اشمزازاً ورعباً من هذا العالم. أولئك الذين لا يمضي يوم لا يخرجون لنا به بـ «ناج» من الهولوكوست، يروي قصته ويحيي ذاكرة تلك الإبادة، هم من يرتكب هذه الفظائع بحق الإنسانية، بما في ذلك الفظائع بحق الموتى. هذا يجعلني أشك بعمق بكل الروايات التاريخية حول المظلومية اليهودية، لكنّ هذه مسألة أخرى. أعود إلى سوريا، لطالما كان موقعي منذ



بداية الثورة السورية، أن ما ارتكبه النظام البائد من جرائم، ومن إبادة بحق شعبه، إنما يصب في خدمة السردية الصهيونية، وقد استعملها مجرمو الحرب الصهاينة أنفسهم، حين استشهدوا بأفعال الأسد (الذين كانوا أكبر داعميه) للتدليل على أن ما يفعلونه هم في غزة وعموم فلسطين، بالقياس إلى سوريا، ليس شيئاً يذكر. لكن، بالنسبة إليّ، لا أفرق بين الاثنين بتاتاً، بل لا يفوتني دائماً التذكير بأنه لولا هذا الكيان المصطنع لما عاشت المنطقة العربية كلّ هذه الولايات منذ ثمانين عاماً وحتى اليوم.

يحنّني حين أرى بعض المثقفين والنشطاء السوريين، يشاركون من حيث يدرون أو لا يدرون في ترسيخ هذه السردية، من خلال جعل المجرم الأكبر والوحيد والحصري نظام الأسد، ويعتبرون أن مجرد الإشارة إلى جرائم إسرائيل، ربما تقلل من أثر ما فعله آل الأسد.

لا فرق بين قاتل وقاتل وبين إبادي وإبادي آخر، وعلينا ألا ننسى يوماً ما الذي قاد المنطقة إلى كل هذا الخراب منذ البداية.

■ **الشتات ظهر بالنكبة في العام ١٩٤٨، ليصبح شتات فلسطينية، إذ تشتت فلسطينيو لبنان في الحرب الأهلية اللبنانية، وهناك شتات فلسطينيو العراق مع الاحتلال الأمريكي للعراق، وشتات الفلسطيني السوري بعد ثورة ٢٠١١، قصيدة أهلي تقرؤها، كيف نرى الشتات الفلسطيني، والعربي؟!**

الشتات أولاً في العقل، أي في المشروع السياسي والثقافي الفلسطيني، قبل الشتات المكاني. لطالما كنا مشتتين في بقاع

الأرض، وحتى داخل فلسطين (حيث هناك مخيمات أيضاً بما في ذلك في مناطق «السلطة»)، لكن جاءت لحظات تاريخية اجتمعنا فيها على مشروع مشترك، كما في الانتفاضة الأولى.

مثل هذه اللحظات لم تكن يوماً صافية كاملة، لكنها كانت تقول إننا شعب يملك مشروعاً وطنياً جامعاً، بصرف النظر عن أماكن تواجدها. لست واثقاً من أننا اليوم قادرون على قول الشيء نفسه.

لا أخفيك أن أكثر ما يزعجني هو تسمية «فلسطيني لبناني» للاجئ الفلسطيني في لبنان، أو «فلسطيني سوري» للاجئ الفلسطيني في سوريا. ترعجني دلالات هذه التسمية، فهي تجعل الشتات نوعاً من الإقامة على حال ثابت، وكأننا نحمل بالفعل هويتين أو جنسيتين، علماً أن كلّ الوقائع تكذب ذلك، بما في ذلك الحرمان من أبسط الحقوق، في حالة لبنان مثلاً.

هل تعرف أن الفلسطيني، وإن حمل أي جنسية في العالم، لا يستطيع شراء عقار في لبنان، وفقاً لأحدث القوانين العنصرية في لبنان. بمعنى آخر، إنهم يطردونك دائماً من الحياة، مرة باسم التضامن معك باسم «حق العودة»، ومرة أخرى باسم القلق منك ومن أن تفكر يوماً بالنضال من أجل العودة. هذا ليس تناقضاً فحسب، هذا تعبير عن حجم التردي والنفاق القائمين في المؤسسات السياسية العربية.

يفترض بالشتات أن يكون عامل قوة لنا، لكن وكما قلت سابقاً، دون مشروع وطني جامع، يصعب استثمار أيّ عناصر قوة كامنة لدينا بصورة صحيحة. نحن اليوم في زمن المصائر الفردية، وأخشى أنه سيمر وقت طويل قبل أن نكتشف أننا مهما ابتعدنا زمانياً ومكانياً، ومهما كان نوع الأوراق الثبوتية أو الجنسيات أو الجوازات التي نحملها، فسنبقى فلسطينيين، ليس انطلاقاً

من تشبثنا بهويتنا الوطنية، وحذاً لو كان الأمر كذلك، لكن لأن العالم، وعدّونا قبل

29

الواقع العربي اليوم يقول «فلسطين ليست قضيتي».

الجميع، يرانا هكذا، بوصفنا العدو الأبدي الذي يجب مطاردته إلى كلّ مكان.

■ **رغم التراجيديا الخراب، يبقى الحب مفتاح الأمل نجده في قصيدة أحملك يا صغيرتي، هل يستطيع الحب الحفاظ على ذات الإنسان بظل الخراب؟!**

هذه القصيدة هي استعادة لمشهد الجد خالد النبهان وهو يحمل حفيدته الطفلة التي قتلت في غزة، ويقول «هذه روح الروح». أظنّ أن هذه اللحظة، مثل لحظة قتل هند رجب، مثل لحظة قتل المئات في لحظة واحدة في جبالها وغيرها، هي من أكثر اللحظات تعبيراً عن مأساتنا، وأيضاً عن روح الحبّ والحنان المزروعة فينا.

إن الإبادة، في جوهرها، هي تكريس لفكرة حيونة «العدو». وقد أراد الصهاينة بامعانهم في قتلنا والتكيل بنا، القول إننا حيوانات، أو «حيوانات بشرية» كما قال أحدهم. لكن أهل غزة، استطاعوا رغم كل الألم والرعب والفقدان، أن يجسدوا هويتنا الإنسانية، وتشبثنا بالحياة، وتعاقدنا في المحن، وحتى أُلْمنا على الفقدان هو تعبير عن مدى تمسكنا بالحياة. وهذا على الضدّ من الصورة التي أراد العدو تكريسها بأننا نحب الموت ونسعى إليه بل ونحتفي به.

وقت كتابة هذه القصيدة كان خالد النبهان ما زال على قيد الحياة، ومقاطع الفيديو التي تصور حنوه على الأطفال والقطط، وسط خراب غزة العام، ما زالت حاضرة بقوة، لكنه كما هو معلوم قتل بعد عام ونيف، لينضم إلى حفيدته وإلى آلاف الضحايا الآخرين. وأظنّ أنه كان هدفاً ببساطة لأنه جسد هذه الصورة الناصعة عن شعبنا.

■ **المكان للإنسان الفلسطيني يتحول إلى فضاء شعري يعاد تشكيله، ما هي الفضاءات الشعرية القريبة إليك؟!**

أولاً، محمود درويش. أنا بعيد عن درويش في الجماليات الشعرية، إن جاز القول. فهو في نهاية المطاف شاعر غنائي، كما هم كبار الشعراء حين يصبحون ناطقين باسم شعب ووطن، أو ما يسمى «الشاعر القومي» لشعب من الشعوب.

وأنا في المقابل، أكتب قصيدة النثر، ولست متأثراً بأسلوب درويش وغنائيته. لكنني لم أجد في لحظة الكتابة عن مأساة بحجم الإبادة، سوى صوته سنداً لي لكي أستطيع الكتابة أساساً.



لقاء الهدف

مع الروائي

قاسم توفيق

بسام عليان - كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني - سورية

ليس قاسم توفيق روائياً يمرّ على الواقع مرور العابرين؛ إنه يقترب منه حتى يلامس نبضه، ثم يعود منه محملاً بشخصياته وأسئلته وقلقه الإنساني.

روائيّ جدليّ؛ يكفي أن يطلّ بعمل جديد حتى تبدأ عاصفة النقاش، ويترك الآخرين يتحدثون طويلاً، ثم يظهر هو شاهراً سلاحه الحقيقي: الفكر.

لغته حصيفة، لكنها ليست متعالية؛ عميقة، لكنها لا تتزيّن بالاستعراض. يكتب من المنطقة التي تلتقي فيها الفكرة بالعاطفة، وحيث تتحول الشخصيات من مجرد كائنات روائية إلى أرواح تمشي بيننا، تشبهنا أحياناً، وتفضننا أحياناً أخرى.

يجوب قاسم توفيق أزقة الواقع، يلتقط شخصياته من الشارع والحياة والذاكرة، ثم يترك لها حرية الحركة داخل فضاء الرواية؛ غير أنه، بخياله الواسع، يعيد تشكيلها ويمنحها أبعاداً جديدة، قبل أن يكتشف أنه هو الآخر يتعلم منها.

ولعل عبارته: «الكتابة هي الشيء المريح الأكثر قيمة في حياتي»، تختصر شيئاً من علاقته الاستثنائية بالكتابة؛ فهي عنده ليست مهنة فحسب، ولا ترفاً ثقافياً، بل مساحة للعيش والتأمل واكتشاف الذات والعالم.

وفي حوار مع «الهدف»، يفتح قاسم توفيق نوافذ متعددة على تجربته، ويتحدث بصراحة عن أحلامه ومشاريه المقبلة، حتى يصل به الطموح الإبداعي إلى القول:

«إذا تُرجمت أعماله الأدبية إلى لغات عالمية فسأصل إلى جائزة نوبل للآداب».

ثم يضيء جانباً آخر من فلسفته في بناء الشخصيات، قائلاً:

«لا أكتب عن الأبطال.. كلهم شخوص أعيد تشكيلهم من الواقع.. يأخذون مني ويعلمونني أفكاراً وفلسفة».

بين الجملة والجملة، يبدو الروائي هنا كمن لا يكتب عن الحياة من الخارج، بل يدخل إليها حتى العظم؛ يصغي إلى أصواتها، يلتقط تناقضاتها، ثم يعيد تقديمها في مرآة الرواية.

ويدخل القارئ إلى الحوار لا بوصفه مجرد أسئلة وأجوبة مع روائي، بل بوصفه رحلة في عقل كاتب يرى العالم مادة أولى للرواية، ويرى الإنسان سؤالها الأبقى.

■ **وُلدتم في جنين الفلسطينية، وكتبتم معظم أعمالكم في الأردن. كيف تصالح الكاتب في داخلكم مع هذه الهوية المركبة بين الوطن والمنفى؟**



تركيب ذاكرة غير موجودة أساساً، بمعنى أنني لم أعشها. لكن بمجرد كتابتها صارت موجودة وحقيقية، أي أصبحت ذاكرة. أظن أن هذا أحد أسباب الكتابة، أنها لا تصف فقط ما هو في الذاكرة أو في المعيش، لكنها تخلق ذاكرة خاصة، ومعيشاً آخر.

والتجربة الإنسانية تخبرنا أننا، خصوصاً مع التقدم في السن، لا نتذكر إلا لمحات من حياتنا، صوراً متقطعة وسريعة... الأمر في الواقع ليس كما في الأفلام حين يستذكر البطل مشهداً كاملاً، بكل تفاصيله، في الحياة لا تعمل الذاكرة بهذه الصورة، بل إنها تتأثر بالتجربة اللاحقة. ما أتذكره اليوم بصورة معينة، أتذكره غداً بصورة أخرى، وما أحسبه لحظة عظيمة اليوم، قد لا تكون حاضرة في ذاكرتي غداً. فالذاكرة إذن لا تحمل بصورة خطية واضحة، إنها لغز من ألغاز الحياة، كما كلّ شيء آخر.

لا أعرف إن كان هذا يجيب عن السؤال، لكن ما أريد قوله إن التجربة الإنسانية لا تختزل بأي حال من الأحوال بشرط من الصور، أو بفكرة من الأفكار، فهي كتلة مشاعر وأفكار وتخيلات وآمال وأحلام وخيبات وإكراهات ولحظات فرح وأسى إلخ.

إنها كل ذلك معاً، واجتماعها في روح واحدة هو ما يجعل الشعر الجواب الحقيقي الوحيد على هاجس الفناء، لأنه المكان الذي يجتمع فيه كل شيء، والذي من خلاله نصنع ذاكرة مستمرة وحيّة وغامضة، تتجاوز حتى قدرتنا على الفهم، لكنها تمنحنا هبة أن نكون بشراً، لأن الذاكرة - لا اللغة ولا العقل - هي ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات.

■ **ماذا يعني أن تكون شاعراً فلسطينياً في زمن الهزائم الكبرى إنسانياً وسياسياً؟**

لا أرى الأمر كذلك. لأوضح أكثر، في قصيدتي الطويلة «تخيّل ثوباً لتتذكر» وهي مرثية لأخي الشهيد إسماعيل أبو هواس، أستحضر (أتخيّل) إسماعيل صغيراً في البيت، وأتخيّل أمي وأبي، وهؤلاء الثلاثة هم أبطال القصيدة، إن جاز القول.

ليس من مشهد في هذه القصيدة نابع من الذاكرة بالمعنى المباشر للكلمة. ما فعلته القصيدة بالنسبة إليّ، هو أنها ساعدتني على

أن تشعر أن هناك سلفاً لك، صوتاً شعرياً بحجم صوت محمود درويش، يمنحك قوة، ويتيح لك أساساً صلباً تنطلق منه لتقول ما تريد قوله. هذا حاضر في قصائد مثل «أهلي» و«لم يعد مهمماً أن يحبنا أحد» وغيرهما.

لكنه غير حاضر مثلاً في القصيدة المشار إليها في السؤال أو في قصيدة «من النهر إلى البحر». هذه القصيدة هي قصيدة تدفق هذيان، لشخص بعيد لا يفعل شيئاً سوى أن يشاهد المقتلة على شاشة التلفزيون، وهو على ما أظن حال الغالبية العظمى حول العالم. الشعور بالعجز، بما في ذلك عجز اللغة، كان الدافع وراء هذه القصيدة التي تروي مشاهد من الإبادة، وفي الوقت نفسه تدور حول معضلة أن تشاهد يوماً بعد يوم أهلك يقتلون مباشرة على الهواء. لهذا السبب أحب هذه القصيدة بصورة خاصة، وأرى أنها أفضل قصائد الديوان، وهو ما فات كثر التنبه له.

■ **في القصائد توظيف بصري يتجاوز الحسي والمجرد بين المشهد الواقعي والرمزي، كيف تشتغل على الصورة البصرية في قصائدك؟!**

في الشعر الغربي، الأوروبي والأنغلو فوني عموماً، تجد تقسيم الشعر إلى اتجاهات ومدارس أكثر وضوحاً أو رسوخاً مما في الشعر العربي، حيث ما زال لدينا تقسيمات تقليدية لم تعد فاعلة جمالياً مثل «الرباعيات» و«الهجاء» و«المدح» إلخ.

فتجد مثلاً شعر الصورة، وتجد شعر اللغة، والشعر الاعترافي، والشعر الاحتجاجي، والرمزي والسوريالي.. إلخ. صفات أو مسميات تطلق عادة على المشروع أو الاتجاه الذي يتبلور من خلاله مشروع أي شاعر، لكنك تجد في الوقت نفسه التداخل بين جميع هذه الأنواع. فالشعر السوريالي مثلاً هو في الوقت نفسه شعر صورة، وشعر لغة، والشعر الاحتجاجي، يقوم على التدفق والكشف اللغويين والنبرة المرتفعة، ولا تغيب عنه لا الصورة ولا اللغة، والشعر الرمزي يقوم على حضور المجاز والاستعارة والتمثيل إلخ.

الشعر العربي، بما في ذلك القديم، بل خصوصاً القديم، فيه ذلك كله. سوف تجد في المعلقات، كما عند امرئ القيس، أو في قصائد أبي تمام أو المتنبي أو البحري إلخ، حضوراً متوازياً للغة والصورة والمجاز

لست واثقاً من أننا اليوم شعباً يملك مشروعاً وطنياً جامعاً.

الروائي قاسم توفيق:

روائي وقاص أردني من أصل فلسطيني، ولد عام 1954، وترك خلال مسيرته الإبداعية حضوراً مميزاً في الرواية والقصة العربية، مستنداً إلى واقعية عميقة وحس إنساني واضح، مع جرأة في مقارنة المكان والتحول الاجتماعي والنفسي.

قدّم للمكتبة العربية نحو خمس عشرة رواية، إلى جانب مجموعات قصصية، من أبرزها: «ماري روز تعبر مدينة الشمس» (1985)، «أرض أكثر جمالاً» (1987)، «عمّان ورد أخير» (1992)، «ورقة التوت» (2000)، «الشندغة» (2006)، «حكاية اسمها الحب» (2009)، «البوكس» (2012)، «رائحة اللوز المر» (2014)، «صخب» (2015)، و«نزف الطائر الصغير» (2017)، التي حازت جائزة كتارا للرواية العربية عام 2018.

ومن مجموعاته القصصية المبكرة «أن لنا أن نفرح» (1977)، إلى جانب أعمال قصصية أخرى رافقت تجربته الإبداعية.

ووصلت روايته «ليلة واحدة تكفي» إلى القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام 2023.

أما جديده، فلديه روايتان جاهزتان للطباعة، هما «أقتيمار» و«أخرس كثير الكلام»، فيما يعكف حالياً على كتابة رواية جديدة بعنوان «العائد من السماء»، تتناول غزّة، بما تحمله من وجع وأسئلة وذاكرة وحيّة معلقة بين الموت والأمل.

دعني في البداية أبوح لك بسر؛ سبق ولمحت إليه في رواياتي، وفي حوارات أجريت معي، بصورة غير مباشرة، فالوطن عندي كإنسان وككاتب، شيء ملتبس، لا أراه على أساس المفهوم الذي يحمله البشر عنه منذ قرون طويلة، والذي لا يزيد عن كونه، بقعة جغرافية، يولد فيها الناس وتربهم أسس، ومفاهيم مشتركة، وذاكرة تاريخية واحدة، هذا التعريف من وجهة نظري قاصر ولا يتسع لضخامة مفهوم الوطن، الذي أشعلت تحت رايته حروب عالمية قضت على عشرات الملايين من البشر، الوطن إقطاعية توسعت بعد عصر الإقطاع أكثر مع انهيار هذا العصر، على عكس ما تفرضه سيرورة التاريخ، اختلط هذا التوسع بعصر النهضة في القرن الخامس عشر دون أن يتخلّى عن مفهوم عصر الإقطاع، لا أريد أن أطيل لكن لتوضيح الفكرة أقول، إن غزو واحتلال دول أوروبا لباقي دول العالم لا يختلف عن غزوات عصور الإقطاع والاستيلاء على أراضي الآخرين الأضعف وإن حدث في العصر الحديث، القرنين الثامن والتاسع عشر. إذاً الوطن لا يعدو سوى إقطاعية دوخها التاريخ والغزو والاحتلال وغربتها الحضارة، فلم تعد سوى كذبة، بل أكبر كذبة في التاريخ، صدقها الفقراء من الناس فقط.

لنعد لسؤالك، فأنا لا أميل لاستعمال كلمة «تصالح» هنا، لأن الفلسطيني لا يتصالح مع المنفى، بل يتعلم كيف يحمله معه. ولدت في مدينة جنين في فلسطين، لأن أبي الذي كان مقتدراً آنذاك، أراد أن تلد زوجته في مستشفى، على عكس السائد، وهو توليد القابلات في البيوت. الصحيح أنه كان يعيش ويعمل في عمان منذ سنوات، عندما جاء ميعد ولادة أُمي، نقلها بسيارته من حي المحطة حيث بيتنا في عمان، لمستشفى «الدكتور خالد مطيع للولادة» في جنين، التي لم تكن تبعد عن عمان، أكثر من ساعة آنذاك، في اليوم التالي رجع بنا إلى البيت. ما أحب أن أقوله هو أن الانتماء لفلسطين ولل قضية الفلسطينية، ليس مرده لهويتي، بل لإيماني وقناعاتي بقضية تحرر الشعوب المستعمرة والمستعبدة والمضطهدة في العالم والذي يفرض علي كإنسان أن أكون لجانبهم.

بالتأكيد لم تغادرني فلسطين، حين غادرتها، فقد منحتني الذاكرة الأولى والجرح الأول، أما الأردن فقد منحني

فضاء الحياة والكتابة. لذلك لم أشعر يوماً أن هناك تناقضاً بين الهويتين، الأردنية والفلسطينية، لأنهما امتداد لتجربة إنسانية واحدة.

■ **تبدو فلسطين في أعمالكم حاضرة بوصفها ذاكرة أكثر منها جغرافياً. هل تؤمنون أن الرواية تستطيع أن تحفظ الوطن حين تعجز السياسة عن ذلك؟**

هي كذلك، لكنها ذاكرة مكتظة بالحزن والألم، الجغرافيا ليست هي الخط الأخير لاستقلال الأرض والبشر، حرية الإنسان أكثر قيمة من التراب، قد تعينني بضع كلمات من قصيدة محمود درويش عن راشد حسين، ليست حرفياً، التي يقول فيها: (قابله بعد سنين في القاهرة، قال لي: ليتني كنت طليقاً في سجون الناصرة) ما الأوطان التي نتحدث عنها إذاً؟

الرواية تنقذ الإنسان من النسيان فهي ذاكرة أكثر صدقاً من التأريخ، هي لا تحرر الأوطان، لكنها تحمي ذاكرتها، وتمنح تحويلها إلى مجرد خبر في كتاب التاريخ، في حين أن السياسة قد تخسر أرضاً، أو توقع اتفاقاً، أو إعلان استسلام يودي بالوطن وبالرواية إلى الهاوية، وقد يسقطهما في بحر النسيان.

■ **في رواية «ليلة واحدة تكفي» جعلتم نكسة حزيران خلفية للسرد، لا موضوعاً مباشراً له. لماذا فضّلتم الإنسان على الحدث السياسي؟**

الهزائم السياسية تنتهي، أما آثارها في الإنسان فتبقى لعقود. كنت معنياً بما فعلته الهزيمة في الروح العربية، لا بما فعلته في الخرائط. الرواية تبحث عن الإنسان الذي عاش الحدث، لا عن الحدث وحده. «ليلة واحدة تكفي» التي وصلت للقائمة الطويلة لجائزة البوكر، سنة 2023، تحاول الإجابة عن السؤال الكبير وهو: «هل من المعقول أن تقف أمة بكاملها على عتبة يوم واحد من تاريخها لا تبارحه لأكثر من نصف قرن؟!

■ **إلى أي مدى غيرت هزيمة 1967 مفهومكم للرواية ولمعنى البطولة والهزيمة؟**

بعد حزيران لم تعد البطولة عندي مرتبطة بالشعارات، بل بقدرة الإنسان على الصمود، وعلى الحفاظ على إنسانيته رغم الانكسار.

في أحيان كثيرة يصبح البقاء نفسه بطولية وتكون الكتابة قتالاً وحرباً ضد الغازي. الرواية العربية بعد كارثة حزيران صارت أقوى من المدافع العربية الصدئة، لذلك صارت تشوه وتحارب بشراة أسمى من وحشية العدو الصهيوني المحتل.

■ **هل تعتقدون أن الرواية الفلسطينية والعربية ما زالت أسيرة خطاب الضحية؟**

بعضها ما زال كذلك، لكن هناك أعمالاً بدأت تراجع الذات، وتنتقد المجتمع، وتطرح أسئلة مؤلمة. الرواية الحقيقية لا تكتفي باتهام الآخر، بل تحاسب نفسها أيضاً.

■ **كيف تنظرون إلى التحولات بعد أوسلو؟**

أوسلو لم يغير السياسة فقط، بل غير اللغة والأحلام، وحتى شكل الشخصيات الروائية. أصبح الكاتب يواجه أسئلة أكثر تعقيداً عن الهوية، والانقسام، والسلطة، والخيبة. أعظم عثرات أوسلو لم تكن بالاستسلام للعدو ولا بالاعتراف بوجوده، بل بشيء بدا للمفاوضين العرب تافهاً ولا قيمة له، وهو إلغاء الإعلام العربي لعبارات مثل، الأراضي المحتلة والعدو الصهيوني واستبدالها باسم إسرائيل. لا أدري إن كان المفاوض العربي ساذجاً لهذه الدرجة، لا يفهم مدى تأثير الأجيال القادمة بإحلال كلمة إسرائيل مكان اسم فلسطين وكيف ستحول هذه الكلمة اسم فلسطين لشيء من الماضي.

■ **هل أصبحت الرواية بديلاً عن التاريخ؟**

الرواية ليست بديلاً عن التاريخ، لكنها تكشف ما يعجز التاريخ عن قوله. التاريخ يسجل الوقائع، أما الرواية فتكشف دواخل البشر وهم يعيشون تلك الوقائع.

■ **هل غيرت الجوائز علاقتكم بالنص؟**

الجوائز تمنح الكاتب انتشاراً، لكنها لا ينبغي أن تغير طريقته في الكتابة. إذا كتب الروائي من أجل الجائزة، فقد خسر الرواية قبل أن يخسر الجائزة. لكن صريحين، الجوائز حافظ مهم للمبدع وقد قدمت الجوائز العربية الكثير من المبدعين للعالم، لا يمكن أن نقف ضد هذا الحافز، بل على العكس يجب أن نطالب بالمزيد، فالكاتب العربي إنسان مأزوم مثل باقي الناس.

الضمير الأنا الأخلاقيّ عند الإنسان

سامي الشيخ محمد - أكاديمي فلسطيني من سورية

مبحث الضمير من مباحث الفلسفة الأخلاقية، فثمة تعريفات ومترادفات فلسفية لمعنى الضمير، فالضمير بوصفه الأنا الأخلاقيّ، أو الأنا الأعلى بلغة التحليل المدرسيّ للشخصية، مركز إصدار الأحكام الأخلاقية المعيارية على أفعال الإنسان، ما تحقّق منها أو ما هو في طريقه للتحقّق.

ولعلّ من النّافع التوقّف عند أبرز التعاريف الفلسفية للضمير، فتعريف المعجم الفلسفي له بأنه: «.. خاصيّة العقل في إصدار أحكام معيارية تلقائية ومباشرة على القيمة الأخلاقية لبعض الأفعال الفردية المعينة. وحين يتعلّق هذا الضمير بالأفعال المقبلة فإنّه يتّخذ شكل صوت يأمر أو ينهى، وإذا تعلّق بالأفعال الماضية فإنّه ضمير التكلّم» (د. وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، طبعة ثالثة، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979، ص247) (ومن التعاريف الفلسفية للضمير بأنه: «.. خاصّة يصدر بها الإنسان أحكاماً مباشرة على القيم الأخلاقية لأعمال معينة، فإن تعلّق بما وقع، صاحبه ارتياح أو تأنيب، وإن تعلّق بما سيقع كان أمراً أو ناهياً، وقد عني به الحدسيّون وعدّوه قوّة فطرية تدرك الخير والشرّ حدسياً من غير خبرة سابقة، وأنكر الطّبيعيّون ذلك ورجعوا به إلى التجربة، وربطوا الحكم على أخلاقيّة الأفعال بنتائجها» (تصدير الدكتور مذكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص، 110) وفي معجم علم الأخلاق الضمير: «مقولة من مقولات الإطيقا، تدلّ على قدرة الشخصية على القيام بمراقبة الذات الأخلاقية، وعلى الصياغة الذاتية المستقلة لواجباتها الأخلاقية، ومطالبة نفسها بتأديتها، وإعطاء تقييم ذاتي لما قامت به من تصرّفات، وأحد تجلّيات وعي الذات الأخلاقيّ عند الشّخصية، وقد لا يتجلّى الضمير في صورة إدراك عقلي لقيمة الأفعال الأخلاقية، فقط، بل وفي صورة معاناة عاطفية، كما في الشّعور بتأنيب الضمير، أو في أحاسيس «راحة الضمير» الإيجابية.

وعليه، فإنّ الضمير هو وعي الشّخصية الدّاتي لواجبها ومسؤوليتها تجاه المجتمع، ولكن لهذا الوعي شكلاً خاصاً، بحيث يتبديان واجباً ومسؤولية للإنسان تجاه ذاته. «(كون، ايفور (المشرف)، سلوم، توفيق (المترجم)، معجم علم الأخلاق، دار التقدم، موسكو، 1984، ص 248). أمّا في الموسوعة الفلسفية السوفيتية فالضمير: «مركّب من الخبرات العاطفية القائمة على أساس فهم الإنسان للمسؤولية الأخلاقية لسلوكه في المجتمع، وتقدير الفرد الخاص لأفعاله وسلوكه. وليس الضمير صفة



ولادية، إنّما يحدّده وضع الإنسان في المجتمع، وظروف حياته، وتربيته، وهكذا ويرتبط الضمير ارتباطاً وثيقاً بالواجب، ويشعر المرء - بوعيه بأنه أنجز واجبه تماماً - بأنه صافي الضمير، أمّا انتهاك الواجب فيكون مصحوباً بوخزات التأنيب. والضمير، في استجابته الإيجابية لمتطلبات المجتمع، قوّة دافعة قويّة للتّهذيب الأخلاقي للفرد» (لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، بإشراف، روزنتال م.، ويودين.ب، ترجمة، سمير كرم، الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981، ص، 282) وأمّا في الموسوعة الفلسفية العربية فثمة تعاريف ومترادفات للضمير كالوجدان، الوعي الأخلاقي، المعرفة الباطنية للعواطف والأحاسيس والمشاعر، الشّعور، السّريرة ..إلخ: «... ترسّخت كلمة ضمير للدلالة على الوعي الأخلاقي في الموسوعات، والاستعمال اليومي، إذ نقول: رجل صاحب ضمير، افع بحسب ضميرك، أنّهُ ضميرُهُ، إلّا أنّ كلمة وجدان شائعة هي أيضاً في الاستعمال للدلالة على تلك الحالات عيناها، فنحن نقول: رجلٌ صاحب وجدان .. الضمير هو، في اللغة المستور، فقد «أُطلق على العقل لكونه مستوراً

عن الحواس، (أبو البقاء، « الكليات ») 3 _ 135)، يدل أيضاً على المضمير في النفس، الموجود فعلاً لكن مستور، من هنا تنصبُ مقارنة للضمير بأنه المستور من العواطف والتوايما التي تظهر عند الحاجة أو الحاجز. وقال قدمائنا بأنَّ الضمير باطن الإنسان، وما يخفى في السر، أو السريرة، أو الصدور، وبأنَّه يعني السر، وداخل الخاطر « (ابن منظور، ج4، 491). هو الوعي الأخلاقي، والشعور المميز بين الخير والشر، ومحاكمة الذات ومحاسبتها، ومراقبتها وفق المعايير، في كتب التعاملات والواجبة. الضمير هو بنية الانفعالات والعواطف، مع الأحكام والمعايير، التي تمس قيمة عمل نفذته أو أقوم به ... » (د. زيادة، معن، (رئيس التحرير) الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص 543، ص 544).

مما تقدّم ذكره من تعاريف ومعان فلسفية وأخلاقية للضمير، بوسعنا القول: بأنَّ الضمير هو الكيان الداخلي للإنسان، متمثلاً في الوجدان المتعالي ببعديه الشعوري والعقلي، فهو الجانب الحساس من الإنسان، وهو القوة الأخلاقية الباطنية فيه، هذه القوة منطلق التغيير الأخلاقي والإنساني الداخلي والخارجي، الجواني والبراني بأن معاً. وباعتبار الضمير قوة جوانية أخلاقية، فإنَّ السلب وظيفته الأساسية في تقويم تصرفات وأفعال الإنسان وأفكاره الداخلية، نعم الضمير سلطة سالبة - بالمعنى الجدلي للسلب - لعل قدرته على تجاوز الآثار النفسية والأخلاقية والسلوكية، الناجمة عن القيام بتصرفات وأفعال شائنة، أو التفكير بالقيام بأفعال تتعارض مع المبادئ والقيم والمفاهيم الأخلاقية التي يتكوّن الضمير منها. هذه السلطة سالبة وإيجابية كونها قادرة على الهدم والبناء النفسي الأخلاقي في وقت واحد، إذ تتمثل في إحساس الإنسان، ووعيه بطبيعة الأفعال التي يقوم بها، أو ينوي القيام بها، هذا الشعور والوعي، أول خطوات عمل الضمير التي يتلوها الإحساس بالندم، فالصراع الداخلي الهادف إلى تخليص

الإنسان من ربكة الشعور بالإثم، وإعادة اللحمة النفسية الأخلاقية للذات، التي غالباً ما يكون الإنكار والرّفص السمة الأبرز لفعل السلب لسلطة الضمير، وتكون التوبة الخطوة الأولى في البناء، وتحقيق وحدة الذات، هذه الوحدة تحقق التوازن النفسي والأخلاقي لشخصية الإنسان، والشعور بالرّضى والسّرور. بهذا المعنى يتّضح المراد من القول بأنَّ سلطة الضمير سلطة هدم، هدماً للإثم والممارسات الأخلاقية الشاذة، وبناء للشخصية بأبعادها النفسية والأخلاقية والاجتماعية والدينية والجمالية، بناءً سليماً متوازناً يفضي للأمن والطمأنينة والسعادة، والسؤال: هل الضمير معصوم عن الخطأ؟.

انقسم الفلاسفة بصدد الإجابة إلى قائلين ب (نعم)، وقائلين ب (لا)، فمنهم من قال بأنَّ أحكام الضمير، أحكام مطلقة الصواب، وبالتالي فهي معصومة عن الوقوع في الخطأ. ومنهم من أنكر هذه العصمة، بذريعة تأثره بالقيم والمبادئ الأخلاقية والتربية الاجتماعية، والأهواء الشخصية.

أمّا نحن فنقول بضرورة توفر جملة من الشروط لتحقيق عصمة الضمير، أهمّها: أن تكون القيم والمبادئ والمفاهيم الأخلاقية، التي تربى عليها الإنسان، وتشكّل منها أناه الأخلاقي سليمة أخلاقياً، كذلك أن يكون الضمير راشداً، فللضمان أعماراً كأعمار البشر، منها الضمير الجنين، الوليد، الطفل، الشاب، الراشد، فالكهل، أهمّها الضمير الراشد، الذي يمتاز بالقدرة على ضبط وإخضاع فكر وسلوك الفرد لسلطته إخضاعاً مباشراً، يحول دون اقتراحه الإثم والمعصية والخطيئة، ليس هذا وحسب، بل له المقدرة على إنقاذ صاحبه، من ارتكاب الأثام والمعاصي ومنع حدوثها في المستقبل، فيرتقي بذلك لمرتبة المخلص، ويجعله موضع التقدير والاحترام الشخصي والاجتماعي.

نعم الضمير الراشد يُصدر أحكامه وفقاً للمبادئ والقيم والمفاهيم الأخلاقية التي تربى عليها، فبين الإجازة والرّفص، والشبهة والإدانة، وفرض العقوبات الشخصية، يمارس الضمير سلطته الحرة معصوماً عن الخطأ.

من كلّ قيد خارجي، خارج تلك المبادئ والقيم والمفاهيم الأخلاقية.

إنَّ امتلاك الإنسان ضمير راشد سليم النشأة والتكوين، أمانة على بلوغ الشخصية، مستوى أعلى من التطور الأخلاقي والوعي الذاتي الذي يُحرّر الإنسان من سلطة العالم الخارجي الزائف من حوله، فتغدو شخصيته مكتملة البناء والتّزوج، في التواحي العقلية والنفسية والأخلاقية والدينية والجمالية. من ناحية أخرى يستدعي الحديث عن الضمير الفردي، نوعاً آخر من أنواع الضمير هو الضمير الجمعي، متمثلاً بضمير المجتمع، والنظام السياسي عبر الدولة، فتمة دول لا تمتلك ضميراً راشداً، فتجيء التشريعات والنظم والقوانين التي تسنها، حيال مواطنيها ومواطني الدول الأخرى وحكوماتهم، فظة وغير متوازنة أخلاقياً، الأمر الذي يتسبب في حدوث ارتباكات سياسية أمة في العلاقات الدولية، بين دول سياساتها أخلاقية إنسانية، وأخرى سياساتها سيئة عدوانية، فما يسمى بالضمير الدولي المفترض أن يكون مؤسساً على أسس فلسفية أخلاقية سليمة، يعدّ لازمة لمنع حدوث انتهاك وطنيان بعض الدول المارقة ضدّ الدول المستضعفة.

فتمة دول لا تزال تمارس انتهاكات إنسانية وأخلاقية بحق دول ومجتمعات وأفراد في الماضي والحاضر، بفعل امتلاكها ضميراً طائشاً فاسداً، مؤسساً على مفاهيم وقيم ومبادئ تحاكي شريعة الغاب، فتجيز ممارسة العنف والعدوان، وصنوف القهر والاغتصاب، والقتل والتعذيب، والاستيلاء على أراضي الغير، ونهب الثروات في أرجاء واسعة من العالم، دون رحمة أو شفقة، عين ما فعله ويفعله الغربيون والصّهانية بحق العديد من دول العلم وشعوبه، كما هو عليه الحال حيال العراق وفلسطين وغيرهما، فما لم تمتلك بعض الدول الغربية والأوروبية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، ضميراً أخلاقياً سليماً من الأمراض والسّموم والفساد، فإنَّ هكذا ضمير غير مؤهل لكي يكون حاكماً أو حكماً نزيهاً معصوماً عن الخطأ.

مبدعون في المنافي: محمد أسعد نموذج المثقف المشتبك

د. محمد عبد القادر - كاتب وناقد فلسطيني - الأردن



لو كان لثقافة الاشتباك جبهة نازمة، لكان الكاتب الشاعر الفلسطيني محمد أسعد واحداً من أبرز ممثليها وأعمقهم فكراً، وأعلامهم إنتاجاً وتنوعاً وعطاءً. ولأنَّ الأسعد لم يكن يسعى إلى شهرة أو مكاسب شخصية، فقد ظل إطار العارفين به وبدوره وإنتاجه ضيقاً، إلا بقدر ما تتيح له كتاباته من انتشار ومتابعة وتعقيب ومراجعات.

ولد محمد الأسعد في قرية أم الزينات، إحدى قرى حيفا، في عام 1944. وعاش سنواته اللاحقة لضياح فلسطين ما بين البصرة تلميذاً، وبغداد طالباً جامعياً دارساً للاقتصاد. ثم انتقل بعد ذلك إلى الكويت ليعمل مدير تحرير مجلة «الطليلة» الكويتية، الناطقة باسم الحركة القومية الكويتية والتقدميين للعرب، مستفيداً من فضاء الحرية النسبية التي كانت تتمتع بها دولة الكويت في تلك الحقبة. في ظروف كهذه، عمق الأسعد ثقافته الوطنية والقومية والإنسانية، استناداً إلى فلسفة فكرية تقدمية عميقة، وإلى بوصلة قيمية عمادها الحرية والعدالة وحقوق الإنسان أينما كان، وبالحقوق الوطنية الكاملة لشعب فلسطين.

بدأ حياته صحفياً متابعاً ومسؤولاً، ثم كتب الشعر والرواية والدراسات الأدبية واللغوية والاستشراقية، وقضايا اللاجئين وحقوقهم السياسية والقانونية والإنسانية.

المبدع المتعدد والمتقن المشتبك تمتع محمد الأسعد بقدرات ذهنية تحليلية وتركيبية وإبداعية عالية، تحيل في مقاربتها إلى غسان كنفاني وناجي العلي ومروان عبد العال وغيرهم، ممن عبروا عن فلسفتهم وأفكارهم ومواقفهم بالشعر والرواية والمقالة والدراسة واللوحة الفنية أو أية أشكال تعبيرية أخرى. في كل ما كتب أو رسم، كان مثقفاً مشتبكاً، لأنه آمن أن الحياة موقف، وفلسطين تختصر الحياة بكل أبعادها، فكراً وممارسة وسلوكاً وموقفاً من الحرية والتقدم ومحاربة التخلف والقمع ضد فئات المجتمع المختلفة.

تمادى محمد الأسعد مع صديقه ناجي العلي ورفيقه في فلسفة الحرية والنضال والتعبير الابتكاري، الذي يصل إلى قطاعات واسعة في المجتمع الفلسطيني والعربي في كل مكان.

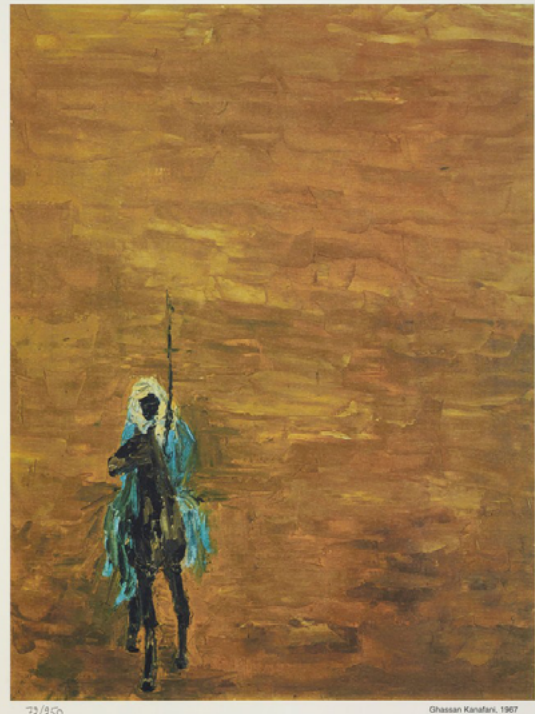
وقد كان الأسعد جريئاً حيث أشار إلى القتل بشكل واضح؛ فباغتياله تلتقي مصالح أطراف عديدة، تعمل كلها متضافرة على إسكات صوت الحق، وإخماد ضمائر الشعوب، وتغييب قوى التغيير الثوري. رأى الأسعد في ناجي العلي أنه فنان عظيم قال كلمته لعصره ولعصر قادم.. لم يأخذ بالاعتبار حساب الربح والخسارة الشخصية.. كان ضد الخداع والدجل، وكان ناقداً أخلاقياً لكل من يدمر الأمل في وجدان اللاجئين ووعيهم، وما كان حنظلة إلا تجسيدا زهرة الأمل.

حين انطلقت جنازة ناجي العلي، كان الأسعد واحداً من المشيعين. وحين توفي الأسعد في الكويت، لم يشيعه أكثر من ثلاثة أشخاص.

واشتبك الأسعد سياسياً مع من رضوا بفكرة تقطيع أوصال أرض فلسطين، وتقاسمها مع العدو المحتل، بحيث تصبح يافا وحيفا وعكا والناصرية والمئات من قراها جزءاً من جغرافيا صهيونية توراتية لا أساس لها ولا جذور. وقد جرّ عليه هذا الموقف مصاعب عدة، حتى ليقال إن ترحيل الأسعد من قبرص، بعد الكويت، إنما جاء نتيجة لوشاية رسمية وتنسيق أمني. وحين كتب الأسعد دراسته/ روايته الوصفية بعنوان «نص اللاجئ: ذكريات القبيلة الضائعة»، كان يلقي الضوء على المعاناة القاسية التي تعرض لها اللاجئين الفلسطينيون في العراق، ما بين أواخر

الفنان التشكيلي غسان كنفاني أنشودة المحارب.. أنشودة الأرض والحرية.. «قراءة في سيرته ومسيرته التشكيلية» (2-2)

غازي انعيم - ناقد وتشكيلي أردني



وبالانتقال إلى بدايات «غسان كنفاني» في خمسينيات القرن الماضي سلاحظ أنه تعامل مع قلم الرصاص والفحم وأقلام الفلوماستر والحبر الأسود والألوان الزيتية، وسلمس على الفور تمكنه في الرسم الذي يبرز وبشكل تعييري هيئة الملاحم الإنسانية وكذلك عناصر الموضوع.. فكان يكتفي أثناء الرسم بوضع الشكل أو العنصر بخطوط واضحة وألوان قليلة صريحة على سطح اللوحة بحيث تظهر جماليات الشكل والتكوين.. وهو لا يغالي في معالجته للمواضيع المراد التعبير عنها تشكيليًا سواء كان مشهدًا لامرأة أو رجل أو جموع بشرية، أو شجرة أو طير أو بيوت.. وأراد من خلال هذه العناصر والتي تضمنت موضوع لوحاته الـ (36) والتي رسمها خلال مسيرة حياته التشكيلية أن لا تستعصي على الفهم، وتخالق مقولة الفن الملتزم أو الفن للمجتمع، الذي يعبر عن البيئة والطبيعة والإنسان وهمومه في أبسط صورته المحببة دون المبالغة في المضمون والأسلوب، وبما أن الفنان ضمير عصره فقد رسم عام 1957 لوحة «النازح»، حيث جسّد من خلال عناصرها أبعاد الهجرة فنشاهد شيخاً تعكس نظرتة عمق مشاعر الحزن والألم والتشرد الذي لحق بالشعب الفلسطيني عام 1948، وخلف الشيخ نشاهد رأساً بوجهين، وجه ينظر إلى المرأة الممددة على الأرض رمز «الخصب»، أما الوجه الآخر فينظر إلى البيوت المهجورة. وفي مقدمة العمل الفني امرأة فلسطينية حافية القدمين تحمل على كتفها جرة ماء وفي يدها الأخرى بندقية تعزف من خلالها مواويل وحكايات لبطلات وأبطال تأبى أن تنسى وطنها.

بيوتها نحو فلسطين. ونلاحظ أن الفنان «غسان» رسم عناصره على خلفية سوداء، يظهر من خلالها كما في اللوحة السابقة ألواناً متقشفة، تتناسب مع الشكل والمضمون الذي يؤكد على العودة إلى الوطن مهما كلفت التضحيات.. وأعمال «غسان» في هذه المرحلة أغلبها تنضح إحساساً ثقيل الوطأة بمأساة بشرية اسمها «النكبة» وصورها مشحونة دوماً بنذر مأساوية وعلى الرغم من هذه الصور يظل الغالب على أعمال «غسان» عمومية القضية الإنسانية الفلسطينية وحق العودة والذي عبر عنه «غسان» في اللوحة الموسومة بـ «العودة 1957» وقد تضمنت اللوحة امرأة تجلس أمام خيمتها ويقف إلى جانبها زوجها الذي حمل على كتفه بندقية ترفرف أمام فوهتها لافتة كتب عليها «العودة».

نفذ «غسان» هذا العمل بالحبر الأسود وجاءت خطوطه

أراد «غسان» من خلال هذا العمل الفني الذي جاءت خلفيته باللون الأسود الحالي أن يظهر من خلال خطوطه، الشخص والجمال والأشجار والبيوت.. وكأن الأرض تستحضر عنفوانها الداخلي، وتشرع في بعث جديد من رحمها. وأراد «غسان» من خلال هذا المشهد أن يعبر عن تطلعاته وعن المكنون النفسي للشخصيات التي صورها على سطح اللوحة. حيث أضفى على تلك الشخصيات فيضاً من عاطفته الروحية السائلة. بما يدفع العين إلى مسار بصري تشترك فيه مع عناصر التكوين بحيث يبدو «غسان» بنفسه كوتر مشدود بطول المشهد بين حضن الأرض ونداهة السماء.

وفي لوحة «راجعون 1957» يتسيد المقاتل بسلاحه وسط اللوحة وإلى جانبه يرفرف العلم الفلسطيني نحو الطيور العائدة، وقد عكست تعبيرات المقاتل القيم الأساسية للروح والنفس وتظهر عيونه جاحظة لأبعد الحدود. وتظهر أمام المقاتل جموع من الفلسطينيين تغادر

يمضي في طريقه إلى الفعالية الشعرية، بما تعنيه من مجابهة للوعي المضاد الرامي إلى إفساد الفعالية الشعرية.

خلاصة

لم تلمح هذه المقالة إلى تناول جوانب الإبداع الفكري والثقافي والأدبي لقامة ذهنية وثقافية متقدمة، بل حسبنا أن تكون هذه المقالة مقدمة تعريفية، غايتها إلقاء الضوء على واحد من مبدعي المناهي من أبناء فلسطين، والذين - لأسباب مختلفة - لم يحظوا بالشهرة المستحقة رغم إنجازاتهم الإبداعية والفكرية والثقافية. كان الأسعد مثقفاً مشتبهاً، يواجه قوى الدجل والتضليل والمساومة غير المشروعة، همه في ذلك أن تكون الحياة لائقة بمواطن عربي وفلسطيني، بل بالإنسانية جمعاء.

غادرنا محمد الأسعد في 2021، لكنه ترك أبنته الباحثة النشطة أناهيد الحردان، تواصل مسيرته بإبداعها الخاص وبجهودها التي ترصد أهدافها بدقة.

مؤلفاته:

الأعمال الشعرية

- الفناء في أقبية عميقة (الطبعة الأولى)، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1974.
- حاولت رسمك في جسد البحر (الطبعة الأولى)، دار الطليعة، الكويت، 1976.
- لساحلك الآن تأتي الطيور (الطبعة الأولى)، دار بن رشد، بيروت، 1980.
- مملكة الأمثال (الطبعة الأولى)، دار العودة، بيروت، 1986.
- الأعمال الشعرية الجزء الأول (8 مجموعات، كتاب مرايا الشعري المحلة الكبرى، مصر، 2009.

الأعمال النقدية

- مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
- الفن التشكيلي الفلسطيني، دار الحوار، دمشق، 1985.
- بحثاً عن الحداثة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1986.

الأعمال الروائية

- أطفال الندى، دار رياض الريس، لندن، 1990.
- نص اللاجيء، مجلة العصور الجديدة،

الأربعينيات والخمسينيات والسبعينيات، على كل المستويات ومن كل المستويات. ويدين الأسعد مندهشاً كيف أن الرواة والقصاصين لم يقتحموا الكتابة عن هذه التجربة، التي تعاملت مع اللاجئ الفلسطيني هناك بعيداً عن التعاطف الإنساني بأبسط صورته وأشكاله.

ومن اشتباكات محمد الأسعد المهمة، تلك التي انطلقت ضد لصوص السردية التاريخية والحقوق الأدبية للشعب الفلسطيني في الآثار الفلسطينية. إذ خصص جزءاً من وقته وجهوده لدور علماء الآثار المستشرقين في تزييف التاريخ وسرقة الأرض عبر حقل الاستشراق من خلال الآثار، ليكشف بعد الدراسة المعمقة الميدانية والنظرية أن هؤلاء المستشرقين عجزوا عن العثور على شواهد تدعم نظرياتهم ومسلّماتهم الضالة المضلّة. ما يعني انهيار الصرح الزائف الذي بناه علم الآثار التوراتي، وما يترتب على ذلك الانهيار من دمار لإحدى مرتكزات الكيان الاستعماري في فلسطين في الذهنية الغربية. وما كان من أجهزة الاختبارات الصهيونية إلا أن شرعت في اغتيال علماء آثار موضوعيين، من بينهم اثنان كانا في جامعة بيرزيت، الدكتور ألبرت جلوك والدكتور لورنس جلوك، في مطالع التسعينيات من القرن الماضي.

وبلغت نزعة الاشتباك المعرفي والعلمي لدى الأسعد إلى حقول اللغة والحداثة وقضايا الشعر. فكان إذ يتحدث عن «حضارة الشعر»، إنما يقصد «حضارة الحرية». وكان يرى أن التجديد الشعري هو جوهر التحرر الشعري، وهذا التحرر مرتبط بسياقه الاجتماعي - التاريخي، وما يتضمنه هذا السياق من علاقات اجتماعية ومستوى معرفي وتطور علمي وحديث شعري، يعي هذه العلاقات ويعي العلاقة بالتراث؛

- فالشاعر المستغرق في التراث يعاني من استلاب تراثي
- والشاعر المستغرق في التجربة الغربية يعاني استلاباً غربياً.
- الشاعر المرتبط ببيئته وسياقها الاجتماعي، فيحتمي نفسه من الاستلابين السابقين.

وعليه، فإن الشاعر، كما يرى الأسعد، صاحب مسؤولية شخصية من حيث المعرفة والخيال والإدراك. فالشعر الذي يعي حريته،

- القاهرة، ديسمبر 1999.
- حدائق العاشق، دار العصور الجديدة، القاهرة، 2001.

- شجرة المسرات، سيرة بن فضلان السرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
- أصوات الصمت، مسعى والدار العربية للعلوم - الكويت وبيروت، 2009.

- الأعمال الروائية: أطفال الندى، نص اللاجيء، حدائق العاشق، شجرة المسرات، أصوات الصمت، أم الزينات، تحت أشجار الخروب - في ثلاثة مجلدات، جمعية البيت للثقافة والفنون، منشورات البيت، الجزائر، 2009.

- أطفال الندى (بالفرنسية)، دار البين ميشل، باريس، 2002.
- أطفال الندى (باليونانية)، دار الكساندرية، أثينا، 2003.
- أطفال الندى (بالبرتغالية)، كامبو داز ليتراس، لشبونة، 2005.
- أطفال الندى (بالعبرية)، دار بارديس، حيفا، 2005.

السيرة الذاتية

- أبعد من الجدران: محمد الأسعد ويوسف الغازي: لاجيء فلسطيني وإسرائيلي يعودان إلى زيارة تاريخهما (الفرنسية)، تحرير فرانسواز جيرمين، دار أكت سود & سندباد، باريس، 2005.

الأبحاث

- مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ، مسعى & الدار العربية للعلوم، الكويت & بيروت، 2010.

الترجمات

- بعد السقوط (مسرحية)، أرثر ميلر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المسرح العالمي، الكويت، فبراير 1998.
- واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق، دراسة في جماليات قصيدة الهايكو مع شواهد مختارة، كينيث ياسودا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إبداعات عالمية، الكويت، 1999.
- ست وصايا للألفية القادمة (محاضرات)، إيتالو كالفينو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إبداعات عالمية، الكويت، ديسمبر 1999.

سريعة، وكأن «غسان» كان في عجلة عندما التقط الحركة بشكل مباشر أمام الخيمة.

يتابع «غسان» رسم شخوصه الإنسانية التي سيداوم على إبداعها.. حيث نجد في لوحته التي تتضمن «امرأة تحيك شالها» والتي رسمها عام 1964 بألوان «الفواش» اختزال الكثير من التفاصيل.. ومال إلى الألوان الباردة والحارة بدرجاتها المتقاربة في الأرضية والخلفية حيث حرص على تجانس الألوان بالإضافة إلى رشقات من اللون الأبيض.. كما نراه يندفع إلى خلق تكوينات من الخطوط والألوان والملمس.. وغيرها.. مع الحفاظ على اكتمال عناصر اللوحة من كتلة ولون وخط وفراغ وملمس سطح اللوحة.

في هذه المرحلة كان طموح «غسان» يلح عليه بأن يقدم شيئاً مغايراً ومخالفاً لما قدمه من مواضيع، وهدهد حذسه الفني إلى الخروج للطبيعة ليرسم بالألوان الزيتية ما لم يكن قادراً التعبير عنه بحرية وهو الذي حرم من طبيعة بلاده الجذابة من بحر وسهل وهضاب وجبال وقرى ومدن.. فهام وطاف في منابع الجمال الطبيعي وحلق بأجنحة الحلم الجميل عندما رسم عام 1965 لوحة «جبال وذاكرة» والتي تتضمن بيوتاً تربض تحت وفوق الجبل حيث تظهر البيوت المطلة على بحر «عكا» مثل إيقاع موسيقي يعلو ثم ينخفض، أما البيوت الرابضة في خلفية اللوحة فيكسوها سكون مشع في ترديد أفقي ورأسي للخطوط يعطي إحساساً بالنمو والألفة. ونشاهد أيضاً في مقدمة العمل واجهات البيوت وسطوحها، التي تتضمن بعض العناصر مثل حبل الفسيل وبرميل الماء وحزمة حطب إلى جانب درج يصعد باتجاه البيوت التي تربض فوق الجبل.

ونلاحظ في هذا العمل الفني الذي ينطوي على بعد فلسفي استخدام الفنان للألوان الزيتية بشكل كثيف من خلال ضربات الفرشاة العميقة، معبراً عن هذا المشهد بألوان مركبة تدخل فيها لمسات من الأزرق والأخضر والأوكار والبني، وتسبغ هذه الألوان على المشهد طابع السكون والطمأنينة وتوقف حركة الزمن. كما نلاحظ تحكم الفنان في رؤيته الفنية للمنظور من عدة زوايا، ومن تحت مستوى النظر أحياناً، فيحول الأمكنة إلى ذاكرة وتراث.

واصل «غسان» التعبير عن الآمال الشعبية الكبيرة في الحرية والعدل ووضع النضال الاجتماعي والسياسي على قدم المساواة مع الإبداع الفني الذي كان ركيزته تحطيم الأغلال والتجذر في الأرض ومواصلة قتال العدو، حيث اكتوى غسان وأبناء شعبه الفلسطيني والعربي بنكبة عام 1948، وكذلك نكسة حزيران عام 1967. وإذا كانت كلا النكبة والنكسة قد أعبطت البعض، وهزت العديد من الفناعات وأقعدت البعض الثقة في الانتماء والتضحية، لكن ابن مدينة عكا وحامل دلالاتها تأبى روحه مثل هذا اليأس أو الاستسلام، بل تولدت داخله رغبة صادقة للتأثر ومواصلة القتال على الجبهة العسكرية والثقافية والفنية دون توقف، لذلك سوف نرى في لوحاته بعد نكسة عام 1967 استحضار الفارس «عنتر» وهو الاسم الأكثر شهرة ومكانة في الخيال الشعبي العربي مولياً بذلك أهمية للمغزى في تلك السيرة. التي امتازت بالشجاعة والكرم والوفاء والمروءة والجرأة، كما أن «عنتر» كان يرفض العبودية ويسعى إلى التحرر والعدالة الاجتماعية والمساواة والدفاع عن القبيلة، وهو في الوجدان الجمعي مثال الحرية والفروسية والبطولة والنبل الإنساني.

عكس هذا العمل الفني الذي يتضمن «عنتر» وهو يسير بحصانه وبيده رمحه في صحراء ممتدة.. الرغبة في خلق عالم يوحد بين خياله وبين تأملاته النابعة من مفردات الموروث والتراث الشعبي العربي ومزاجيتها مع روح الرسم المعاصر.

كما اهتم «غسان» في هذا العمل الفني بالعجائن اللونية المتطابقة فوق بعضها، لتعطي سمكاً على السطح مما أكسبه بعداً ثالثاً تحقق من خلال الضوء والظل لهذه الطبقات، إضافة إلى ألوانه الدافئة للتعبير عن حرارة العمل التي تؤكد عند المتلقي الإحساس بالبيئة الصحراوية الساكنة إلا من صفير الرياح وتطاير الرمال من خلال ضربات السكين الجريئة المتضادة أفقياً على عجائن ألوانه الواضحة لتساهم في الإحساس بالحركة وهي أهم مقومات العمل الفني الذي جاء تكوينه راسخ البناء.

وأحد نماذج هذه المرحلة لوحة «الشيخ» الذي يتكى على راحة يده.. وهذا الشيخ الذي يبدو في لحظة تأمل، واستغراق في التفكير، أو محاكاة الزمن



في لحظة حوار معه.. ويظهر على ملامحه تأثير الزمن.. لكنه في حالة حلم.. حلم يضيء اللوحة بالبياض.. وقد صور الفنان «غسان» ذلك بأسلوب معبر، يعتمد على الحس والتعبير، وجمال اللون وتأثير ذلك على المتلقي.. وكذلك إيقاع الكتلة، التي تمثل «الشيخ» الذي يتسيد اللوحة.. كما وفق الفنان في توزيع الضوء والظل وما يحدثه من حس درامي في اللوحة: ونجح «غسان» في تسجيل لحظة زمنية بعينها، وهي لحظة تأمل وتفكير في طريقة العودة إلى الوطن. اللوحة في عمومها تتناغم مع الواقع الممزوج بمشاعر الفنان الذي حوّل السطح إلى بقع لونية وضربات فرشاة سريعة بليغة بإيجازها ودسامة ألوانها ورشاقة خطوطها واندفاع حركتها، جعلت الضوء لا ينبع من مصدر واحد، لكنه ينبع من السطح نفسه.

وبنفس الأداء المنهجي يأتي عمل «رجل يرتدي قمباز» وكوفية بضاء، حيث يظهر الرجل واضعاً يده اليمنى على خده، ويده اليسرى على ركبته، وتعكس تعبيرات وجهه مرارة التشرد والحرمان والحزن على الوطن. ويمكن إدراج العمل السابق وهذا العمل ضمن المناخات الأكثر تعبيراً عن حزن الإنسان وقلقه على مصيره، لذلك لا يمكن تفهم أسرار الفنان التقنية، دون فهم الحالة التي يصورها الفنان: أي حالة القلق من المستقبل. لكن «غسان» جعل من الحالات الواقعية للإنسان الذي يرسمه في أساء صورة للحلم، وهو يحاول إخراج المأساة من دلالتها الإنسانية لصالح البعد الجمالي.

تدل هذه المرحلة على حماسة «غسان» الفنية ومحاولته إيجاد معادل موضوعي بين البعد الجمالي وبعد الموضوع المعالج الذي يظهر بجلاء في اللون، أي في الحذر من

استعمال الألوان المتعددة. والاكتفاء بألوان قليلة تعبر عن الموضوع، ولهذا نلاحظ «غسان» يصوّر المأساة ولكن ليس على حساب البعد الإنساني أو الجمالي. وإذا كان «غسان» قد صوّر المأساة إلا أنه شديد التفاؤل ليس لأنه يعالج موضوعاته بحب، فحسب، وإنما لأنه ينطلق من كونه (فناناً). كما تدل هذه المرحلة أيضاً على محاولة «غسان» لاتباع التقنيات المدروسة، فتأتي صياغاته أشبه بالأساليب الأكاديمية الجديدة، وتحمل تطوراً ملموساً من لوحة إلى أخرى.. وهي لوحات تعبيرية تمتلئ بالإحساس بالإنسان والوطن كعنصرين أساسيين في رغبته التعبيرية وهو ملمح امتد طوال مسيرته التشكيلية.. فالعنصر الإنساني أساس لا يغيب عن لوحاته حيث يتعادل فيها الموضوع بالشكل، وهذا التعادل يحيلنا إلى الغنائية الحزينة التي تكشف عن جوهر موضوعاته التي تنقلنا من الواقعي إلى الحلم، وفي الوقت نفسه ترتبط عناصره بالجو المأساوي، كما في لوحة «الصلب» وهذا ما دفعه لالتقاط المشاهد ذات الاتجاه الرمزي / التعبيري، من أجل معالجة انتصار الإنسان رغم المأساة التي يعيش فيها وداخلها، أو بمعنى أعمق: تصوير المحنة الإنسانية.. المحنة التي تنحاز إلى انتصار الإنسان في مأساته.. وواقع الإنسان الذي درسه «غسان» تحوّل إلى رمز فني. لكن هذا الرمز يكشف عن عذابه الذي جسّد بالمحتوى الفني الذي لم يبتعد عن الواقع.. بهذا الاتجاه يصنع لوحته التي تتسم بخصوصية تقنيته كما أن أصالة مفرداته تبقى شديدة الارتباط بواقعه. والحالات الإنسانية التي عالجه في هذه المرحلة استحالَت إلى كتلة تقصص عن المعاناة التي تجعل جسدها «غسان»: تلك المعاناة التي تجعل من الإنسان أن يستحيل إلى رمز كما في العمل الفني الذي يتضمن «أم سعد» التي رسمها وهي جالسة في حالة تأمل وانتظار بالألوان المحببة لديه -الأزرق ومشتقاته- حيث اعتمد على التقنية في التعبير، وفي هذه التقنية ركز «غسان» على الضوء النابع من شال أم سعد، وعلى التضاد في استعمال الألوان. ومن خلال ذلك نلمس عنايته بالأسلوب الذي يجسد هذا التوجه، ودون افتعال أو اهتمام بالصناعة الفنية على حساب الموضوع أو الأفكار.

وفي هذا الاتجاه يكرر «غسان»

موضوعاته، بل ويستخدم التقنيات نفسها، كما في العمل الفني الموسوم بـ «نساء النكبة» الذي يتضمن طفلاً في مقدمة اللوحة مع مجموعة من النساء وهن في حالة ألم وحزن.. وقد أظهر «غسان» من خلال تلك النساء التعبيرات المرتسمة على وجوههن، واعتمد في التعبير على حركة الأيدي، وقد أحال الأضواء والظلال إلى مساحات لونية فاتحة وداكنة، كما استخدم التباين اللوني بين الأزرق ومشتقاته الداكنة في معظم اللوحة، وجاء اللون الأبيض في شالات النساء لتأكيد درامية الموضوع.

استخدام «غسان» للألوان في هذه اللوحة جاء نتيجة حسّ تلقائي، عكس إحساسه بالموضوع ورغبته في التعبير عنه بصدق.

جاء تكوين اللوحة بنائياً وهو يقوم على توزيع المساحات الداكنة والفاتحة وتحقيق الاتزان بينها، وعلى حركة الكتل واتجاهاتها في الفراغ.. وجاء استخدام «غسان» لألوان الملابس بنفس ألوان الخلفية ليعطي التركيز على الوجوه والأيدي التي تعبر عن الموضوع وتبرزه.

وأخيراً في مجال التصوير رسم «غسان» لوحة «القارئ» التي تتضمن شخصاً جالساً على كرسي يظهر وهو منكب على قراءة الجريدة داخل غرفة مطلية جدرانها باللون الأخضر، وأرضيتها باللون البني الفاتح، وتظهر خلفه نافذة مفتوحة على امتداد الأفق. قد يبدو موضوع اللوحة لأول وهلة بسيطاً فهو شخص جالس.. لكن «غسان» الذي عشق الصحافة وتابع أخبارها بجلوها ومرها يقول لنا الكثير في تلك اللوحة، فهو يصور الإنسان المتلهف لسماع خبر يفرحه ويداوي جراحه، لكن من هو هذا الإنسان؟ من يداوي من؟ ومن أي جراح؟ هنا يطرح «غسان» هذا السؤال في تلك اللوحة ويجب عليه في نفس الوقت.. ليتركنا في تلك العملية الجدلية. صحيح أن إنسان «غسان» ليس له ملامح، لكنه كتلة من الحس والشعور والتعبير.. كما لم يهتم «غسان» بإبراز الوجه وتفاصيله وتعبيراته، ولم يظهر منه سوى الأيدي والأرجل، بالإضافة إلى قبعته السوداء وملابسه ذات اللون البني الفاتح.. وهو يدعونا من خلال هذا العمل الفني إلى التريث والتفكير في هدوء بعد قراءة الجريدة.. كما يدعونا إلى التفكير في الحياة والمستقبل، ويدعونا إلى



التأمل في فسحة الأمل.. فسحة الحرية.. من خلال زرقة السماء التي تطل من النافذة.. كما يتضح في الخلفية.

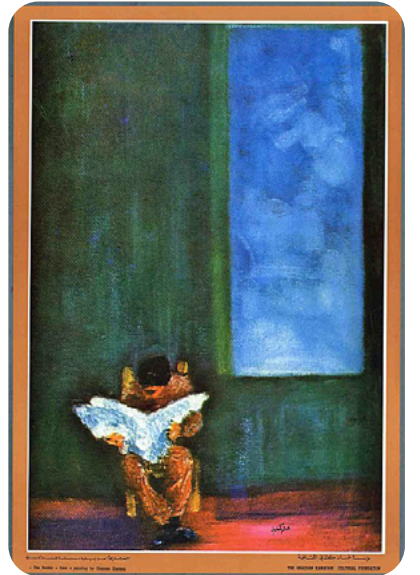
يصوّر «غسان» هذا المضمون بلغة شاعرية رقيقة.. وبأسلوب تعبيري يعتمد على جمال الألوان، التي يخاطب بها عقل ووجدان المتلقي.

جاء تكوين اللوحة محكماً من الناحية البنائية، لا سيما أن قارئ الجريدة هو العنصر الأساس في التكوين وهذا جعل عين المتلقي تتحرك في جميع فضاء اللوحة مما ساهم في التركيز على المعاني التي يريد الفنان إبرازها، فخرجت اللوحة بسيطة في الشكل عميقة في المضمون.

غسان وتجربة المصق السياسي يعتبر المصق السياسي الذي يتميز بقوة التعبير وبقلة عدد العناصر المستخدمة من حيث الخط واللون.. من أكثر الفنون أهمية وتأثيراً وتحريضاً في نضال الشعوب.. وما زال الأكثر أهمية وحضوراً وفاعلية في الحركات الفنية الثورية في العالم.. بحكم انتشاره على الجدران والأماكن العامة التي يتواجد فيها الناس..

وتكمن أهميته بمضامينه وجمالياته - تطوير الثقافة البصرية - في تعدد النسخ.. حيث يتيح انتشاره الواسع على الجدران ليكون على تماس مباشر بالجمهور..

وقد ارتبط المصق الذي لا يحتمل التأويل بالمعنى في نشأته وتطوره بالتحولات الاجتماعية والأحداث السياسية والعسكرية الكبرى.. وجاء كحاجة ملحة تُعبّر عن معاناة وآلام وأحلام وأمنيات



ملصقاته التي عالج بها الكثير من المواضيع السياسية.. ويمكن القول إن تجربة «غسان» بالملصق السياسي تشكل بداية فعلية لفن الملصق السياسي الفلسطيني، كفن له غايات تختلف عن غايات فن الرسم؛ لا سيما أن الملصق لا بد من أن يرتبط بموقف أو مناسبة أو حادثة.

وبخصوص ذلك أحاط «غسان» بمختلف جوانب القضايا العربية وقدم ملصقاته بمنتهى البساطة والوضوح وذلك بلغة الخط واللون والصورة الضوئية.. وبرموز متعارف عليها عالمياً.. بمعزل أحياناً عن العبارات المصاحبة للرسم.. وهذه الميزة إن دلت على شيء، فإنما تدل على وعي «غسان» بضرورة نشر مضامينه على أوسع نطاق ومخاطبة الجماهير في أي مكان من هذا العالم مركزاً من خلال تقنية الملصق على عدالة القضية العربية إلى جانب الكشف عن الطبيعة النازية الصهيونية التوسعية في وطننا العربي، وكذلك إدانة أمريكا والقوى الإمبريالية التي تساعد على تحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة العربية والعالم.

فماذا عن تجربته في الملصق كترجمة إبداعية وفعل تشكيلي ثوري؟

تمثل الأحداث التي مرت بها القضية الفلسطينية محور ملصقات «غسان كنفاني» التي كانت رفيقاً للنضال الفلسطيني بعد نكسة حزيران 1967، وأداة أيديولوجية فاعلة.. تمثلت في رفع الروح المعنوية عند الجماهير عبر الدعوة للمواجهة العسكرية مع العدو، وهذا ما عبّر عنه «غسان» في الملصق الذي رسمه عام 1968. الذي تضمن فتاة فلسطينية تمسك ببندقية جاءت على شكل خارطة فلسطين، وقد نفذ الملصق باللون (الأسود والبرتقالي والأخضر الفاتح). وترمز الفتاة في هذا الملصق إلى استمرار الثورة، والملصق يتميز من ناحية التكوين بالبساطة والاختزال في العناصر المستخدمة، وهي قادرة على التأثير البصري والعاطفي على المشاهد.

أراد «غسان» من فكرة هذا الملصق أن يبين بأن هزيمة العدو ممكنة، وهي ليست فقط بالبندقية، ولكن أيضاً بالكلمة الثورية، والفكرة المعبرة التي تعبى الجموع، وتوضح طريق النصر.

وهذا ما أكد عليه غسان في ملصقه الموسوم بـ «طريق الكفاح المسلح طريق

فلسطين الحرة» حيث سعى «غسان» إلى الاختزال في عناصر الملصق، عندما رسم بندقيتين ترفعهما يدان للأعلى على خلفية العلم الفلسطيني، حيث تبدو اليدين كرمز قادر على التعبير عن أشكال النضال التي تؤدي إلى فلسطين الحرة.

وفي نهاية ستينيات القرن الماضي حاول «غسان» تنويع الحلول التقنية والسعي إلى طرح أفكار جديدة قادرة على حمل مضامين متنوعة وسهلة الوصول إلى الجماهير، فقدم ملصقاً حمل شعار «تحية لثوار غزة في كفاحهم البطولي» زواج فيه ما بين الرسم والكولاج، وهو يتضمن من حيث الرسم يد تحمل قنبلة «مولوتوف» مشتعلة، كمرکز أساسي للفكرة الفنية وكرمز لاستمرار شعلة الكفاح المسلح ضد العدو، وظهر في خلفية القنبلة، صور من الصحف والمجلات التي تضمنت عناوين عريضة تشيد بالكفاح البطولي لعمليات ثوار غزة ضد العدو الصهيوني، وقد تميز هذا الملصق من ناحية التكوين بالبساطة والاختزال في العناصر المستخدمة، وبالاختيار المناسب للنصوص التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمضمون الصور.

إن صياغة الشعارات السياسية قادت «غسان» إلى إنجاز حلول فنية جديدة قادرة في بلاغتها على الإقناع الفكري وعلى تعميق مغزى ملصقاته التحريضية. هذا ما يتضح في ملصقه «إنه ليس إرهابياً، إنه مقاتل من أجل الحرية» والملصق في تكنيكه الفني رسم بألوان «الغواش» المائية وهي ألوان يمكن استخدامها بشفاافية وكذلك بكثافة. يتضمن الملصق عنصر أساس في الرسم يرمز لحركة المقاومة الفلسطينية وهو «بورتريه» لفدائي واقعي، ملثم بالكوفية ويقبض على بندقيته التي تنصدر مقدمة الملصق، ويحتل المقاتل الزاوية اليمنى من الملصق. وفيه تتركز قوة التعبير في نظرة العينين الصارمتين والمؤكدة على حقه في مواصلة الكفاح المسلح في سبيل حقه في تقرير المصير وهو نضال شرعي يتفق تماماً مع مبادئ القانون الدولي، لا سيما أن ميثاق الأمم المتحدة واتفاقيات جنيف 1949 تضي الشريعة والقبول وتلزم المجتمع الدولي، ممثلاً في الأمم المتحدة ومختلف دول العالم مساندة هذا الحق ودعمه.

إن نموذج البطل الذي يبدو كجبل صامد / على شكل صورة نصفية لفدائي / أمام الحدود يمثل في الواقع حركة المقاومة الفلسطينية في أوج مراحل قوتها. كما أن طريقة الرسم السريع قد عززت من تعبيرية وديناميكية التكوين. وكذلك فإن حرية التفاعل مع الدلالات اللونية كالأصفر في الشمس التي ترمز للحرية، والأزرق الذي يملأ المساحة الخلفية للملصق يرمز بالتفاؤل والأمل.. وهذه الألوان زادت من قوة لغة الملصق عند الفنان وقربت المضمون من فهم المشاهد.

كان النص المصاحب للملصق يلعب دوراً مهماً في نتاجات «غسان كنفاني» ويتحد بشكل عضوي مع الرسم، ويؤثر على بنية الملصق الفنية، ويقرب الفكرة من المشاهد، وقد أدرك الفنان «غسان» في هذه المرحلة أهمية دور النص والشعار السياسي في حمل مضمون الملصق وهذا قاده إلى تنوع البناء الفني فيه. وإن دراسة أهم الشعارات التي تضمنتها ملصقات «غسان» في السبعينيات يوضح هذا التنوع. ومن الصياغات الناجحة والفاعلة التي صممها «غسان» ملصق «ادعموا صمود غزة»، ويتميز هذا الملصق بطابع البساطة في التصميم، وفي الوضوح في الرسم وفي طرح الفكرة، ويعكس شعاره الذي يدعو إلى الدعم مرحلة صعود الثورة التي تطلبت جهود الجميع في النضال الوطني وتحمل مسؤولياته. والملصق يتضمن أربعة رموز واضحة «خارطة فلسطين، قطاع غزة، مقاتل، شمس» وإذا استثنينا الشجرة سنلاحظ أن الفنان استخدم ألوان العلم الفلسطيني.

عبّر «غسان» من خلال هذا الملصق عن النهوض الثوري الكبير الذي كان قائماً في قطاع غزة في تلك الأيام، بصورة مقاتل ينتصب إلى جانب الشجرة ويرفع بندقيته إلى الأعلى نحو قرص الشمس، رمز الحرية الآتية والتي تحتل أعلى الملصق. وقد جاء توزيع الألوان الناجح بين الفواتح والغوامق، عوامل تسهل من عملية قراءة الملصق بسرعة.

وعلى الرغم من استخدام عناصر رمزية مرسومة تبسط وتسهل استيعاب المضمون وتركزه، يبقى في مثل هذه الملصقات الدور الأساسي للنص وإلى شكل كتابته، سواء كان هذا عن طريق المفارقة

بين مضمون العناصر أو التكامل بينها. من الأمثلة المميزة لذلك ملصق «الدمار لأعداء الشعوب» حيث جاءت كتابة النص باللون الأحمر بشكل عامودي، إلى جانب هيكل عظمي وجمجمة تكشف عن نظرة وحش مفترس، ويبدو على ملامح الجمجمة تعبير آخر مخيف يظهر فكين يكشفان عن أسنان حيوانية حادة. هذا الهيكل العظمي يمثل الإمبريالية الأمريكية التي ترمز إلى الشر، ويظهر هذا الهيكل العظمي على خلفية قاتمة، وهو يعتمر خوذة حرب، ويحمل هراوة بيده. وعلى كتفيه نياشين من الدم، وعلى صدره نياشين أخرى تمثل أعلام بعض الدول الأوروبية وعلم الكيان الصهيوني. والفنان رمز في هذا الملصق إلى أمريكا بالدولة التي تمارس العدوان وتضطهد وتستعمر الشعوب - كما يظهر الفنان من خلال هذا الملصق البسيط في رموزه وألوانه وجه أمريكا القبيح وهي تمارس وحشيتها وهيمنتها على شعوب المنطقة من خلال هراوة تضمنت رمز النجمة السداسية، وهذه الهراوة تمثل الكيان الصهيوني شرطي أمريكا وهراوتها التي تستخدمها في قمع وتهديد أمن شعوب المنطقة ا.

والم تأمل لخطوط «غسان»، يدرك مدى بلاغة تعبيره عن أحوال عالمنا بما فيه من معاناة.. وتسلط.. وديكتاتورية وحروب وضياح وديمقراطية مزعومة.. وإنسانية معذبة.. لقد استوعب هذا الفنان البارع وأضاف إليها رأيته الحر الجريء.. لينساب من خلال خطوطه الساحرة لإيقاظ المشاعر وتنمية الفكر وتغذية الوجدان الإنساني وشحنه بشحنات قوية من الشجاعة وإبداء الرأي من أجل غد أفضل للإنسانية لمواجهة الظلم والقهر والعدوان..

وقبل أن أختتم أرى أنه لا بد من الإشارة إلى أن عطاء «غسان» الإبداعي الغزير وحالة عدم الاستقرار التي كان يعيشها لم تحل دون إبداعاته الغزيرة التي سوف تجعله - أبداً - حياةً متجددةً تلهم الأجيال وتضيء أمامهم معنى الحياة.. لا سيما أنه كان متمكناً من أدواته التعبيرية واشتغالاته الثقافية العديدة كانت وراء هذا التنوع الهام في أعماله الفنية من الرسم والتصوير والملصق وتصميم الأغلفة والإخراج الصحفي، وكانت قناعته الراسخة بأن فنه موجه للجماهير الفلسطينية

والعربية. وتشارك الناس في حياتهم اليومية لقناعته بأن اللغة الفنية هي الأرقى والأوسع انتشاراً في العالم والمعبر الأصدق عن خصوصية أي شعب أو حضارته وتقدمه. وها قد مرت السنين الطوال على استشهاد، وما زال التراب يغطي تراثه الفني، كما تتضاءل أحلام المحبين لإبداعاته والمخلصين لنهضة الحركة التشكيلية في إقامة متحف يضم هذا التراث، فهل من يد مخلصه غيور على هذا التراث تمتد إليه وتمسح عنه غبار النسيان وتساعد على إقامة متحف غسان كنفاني؟!

الهوامش:

- 1 — التشكيل الفلسطيني المعاصر، ج 1، محمد خير محطية، المركز العربي للكمبيوتر، ط 1، 1997، ص 169.
- 2 — المصدر السابق، ص 171.
- 3 — نفس المصدر السابق.
- 4 — مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في م. ت. ف، العدد 107، تشرين الأول / أكتوبر 1980، ص 120.
- 5 — مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في م. ت. ف، العدد 107، تشرين الأول / أكتوبر 1980، ص 120.
- 6 — شاكر النابلسي: أكله الذئب - السيرة الفنية للرسام ناجي العلي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط 1 - 1999 م - ص 14 - 15.

المراجع:

- موقع رمان الالكتروني، غسان كنفاني عن الرسم والتصميم، بقلم أوس يعقوب 15 / 11 / 2016.
- موقع منتديات مجلة أقلام الثقافية، كلمة الشهيد أبي علي مصطفى في ذكرى استشهاد غسان كنفاني التاسع والعشرين.
- د. محسن عطية، طليعة التجديد.. في الفن المصري الحديث، سلسلة ذاكرة الفنون، العدد (15) ط 1، 2016.
- د. شفيق رضوان، الملصق الفلسطيني، مشاكل النشأة والتطور، دائرة الثقافة، م. ت. ف. ط 1، 1992.
- مجلة المحيط الثقافي، العدد 44، يونيو 2005.
- عز الدين نجيب، فنانون وشهداء وأنشودة الحجر، الهيئة المصرية للكتاب، ط 2، 2019.

ليلة عربية خاصة مع حنظلة بن ناجي العلي عرض مسرحي في كوميديا سوداء تصور رحلة ناجي العلي من حوارى قرية الشجرة إلى شوارع لندن

موسى مراغة - كاتب سياسي فلسطيني - سورية

«اللي بدو يكتب لفلسطين،
واللي بدو يرسم لفلسطين،
بدو يعرف حالو ميت».

ناجي العلي

تمر الذكرى التاسعة والثلاثون لاستشهاد رسام الكاريكاتير الفلسطيني الأشهر ناجي العلي، والذي تعرض في 22 تموز من العام 1987 إلى حادثة إطلاق النار عليه في أحد شوارع العاصمة البريطانية لندن، حيث أصيب بعدة رصاصات ادخلته في غيبوبة في أحد المستشفيات البريطانية حتى وفاته في التاسع والعشرون من آب 1987.



ناجي سليم حسين العلي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس من خلال رسومات الكاريكاتير التي أبدعها خلال رحلة حياته المهنية والذي كان شاهداً على الكثير من المواقف السياسية والاجتماعية والثقافية الفلسطينية والعربية والإنسانية. وقد أثارت رسوماته الكثير من النقاش والحماسة ولامس الجروح وكان ناقداً حاداً لا يساوم على مواقف ولا يهادن.

مما جعله عرضة للانتقاد والتهديدات من الأطراف والجهات والشخصيات التي انتقدها وعراها في رسوماته. ولعل شخصية «حنظلة» التي ابتدعها كانت لسان حاله والشاهد على الأحداث والرمز للعذاب الفلسطيني والذي كان يدير ظهره في كل الرسومات، ويعقد يديه للخلف.

ولعل قصة حياة ومسيرة ومواقف ناجي العلي الذي ولد في قرية الشجرة الواقعة بين طبريا والناصرة في فلسطين عام 1937. ومن ثم هجرته مع العائلة إلى لبنان أثر حدوث النكبة الفلسطينية في العام 1948، وبعدها مسيرة حياته الصعبة إلى أن ظهرت عنده موهبة الرسم ودخوله معترك السياسة من خلال رسوم الكاريكاتير التي عبر فيها عن الهم الفلسطيني والمعاناة وانتقاده للتخاذل والفساد والقمع والتطبيع والمساومة على الأرض والحقوق الفلسطينية.

كل ما سبق عن الفنان والانسان ناجي العلي كان مادة ثرية لأن تنجز «فرقة القدس المسرحية»، والتي كانت تحت إدارة وارشاف الفنان الفلسطيني العريق زيناتى قدسية. حيث قدمت المسرحية التي حملت اسم «ليلة عربية خاصة مع حنظلة بن ناجي العلي».

النص المسرحي كان من تأليف الكاتب السوري نبيل ملحمة وزيناتى قدسية، والتمثيل لمجموعة «فرقة القدس المسرحية» الفنانين: يوسف المقبل - محمود خليلي - عبد السلام غبور - عبد الباري أبو الخير، والإخراج زيناتى قدسية.

تنتمي هذه المسرحية من حيث النص والأداء إلى الكوميديا السوداء. ولعل هذا النوع هو الأصعب حيث هناك خط دقيق بين الكوميديا المعروفة والكوميديا السوداء حيث الأداء ظاهره الضحك والابتسامه ولكن في دواخله المرارة والعذاب.

يبدأ العرض المسرحي باستعراض تاريخي لأشهر القبائل

العربية التي ذاع صيتها عبر التاريخ. ويذكر العرض بما كان عليه الحال في ذلك الوقت مروراً إلى عصرنا الحاضر وما أصاب الأمة من تشرذم وضياح وهوان إلى أن أصبحت الأمة في آخر الركب، جراء النزاعات والخلافات الداخلية وطغيان العشائرية والقطرية وغياب الحس القومي والغيرة على المصلحة العامة.

وكل ذلك كان بطريقة كوميدية ساخرة. ثم ينتقل بنا العرض إلى وقتنا الحاضر، حينما يصل حنظلة بن ناجي العلي إلى لندن. حيث كانت وجهته المقبرة التي دفن فيها ناجي العلي، وعلى باب المقبرة كان هناك الحارس الذي تعود أصوله إلى الباكستان. والذي يطلب من حنظلة إبراز «جواز السفر» الذي يثبت شخصيته وعلاقته بناجي العلي.

بعد هذه الأحداث ينقلنا العرض المسرحي إلى ما يعانيه ويقاسيه حنظلة (المواطن الفلسطيني) من صعوبات وطلبات قاهرة من أجل حصوله على «جواز السفر» والخطب الرنانة التي سمعها «حنظلة» من المسؤولين والموظفين في الدوائر الرسمية التي كان يراجعها في رحلته للحصول على الجواز، كانت على عكس ما يلاقه ويقاسيه من صعوبات. ولعل ذلك إشارة إلى الموقف الرسمي العربي من القضية الفلسطينية، حيث أن التصريحات والبيانات والمواقف كلها كانت حبراً على ورق بينما الحال الحقيقي هو التآمر والنفاق والمساومة والتنازلات.

وفي موقف آخر يبدو الحديث عن الوحدة العربية المنشودة مجرد أحلام وكوابيس يعيشها المواطن العربي الذي صدع رأسه بالخطابات الرنانة التي تدعو إلى الوحدة العربية بينما الأداء الرسمي العربي يؤدي إلى مزيد من الفرقة والتشرذم.

وفي أداء مونولوج داخلي لحنظلة يستشعر ومن ذلك الوقت علامات بداية التنازلات والمساومات على القضية الفلسطينية، ونهج التفريط والمساومة التي بدأت تطل برأسها منذ ذلك الزمن، (قدم العرض قبل اتفاقية أوسلو)

ولكن الأحداث التي كانت تموج بها

المنطقة كانت توحى بالخطوات التي أوصلت إلى الاتفاقية المشؤومة. كانت هذه الأحداث التي يمر بها «حنظلة» تقع تحت سمع ومرأى حارس المقبرة الذي تأثر وتعاطف مع حنظلة وتمنى لو أنه لم يسأله عن جواز السفر، فسمح له أخيراً بالدخول وزيارة قبر والده ناجي العلي.

وفي لفظة ذكية حتى نتعرف على الشخصيات التي كان ناجي العلي يستخدمها في رسوماته. ويقدم مواقفه السياسية على لسانها. حينما يطلب حارس المقبرة من حنظلة وقيل السماح له بالدخول أن يطلع على الكيس الذي يحمله وماذا في داخله. حينها يخرج من جعبته رسومات تظهر فيها شخصيات العم صابر وبطرس وفاطمة وزينب وأبو الهم وأبو التعتير. تلك الرسوم الصامتة التي تجسدت على خشبة المسرح وغدت شخصيات ناطقة تعبر عن الواقع السياسي العربي المعقد المليء بالتناقضات، وتبرز الهم الفلسطيني والمعاناة والواقع السياسي ويشير إلى التخاذل والفساد والقمع والتطبيع والمساومة.

وفي نقلة للأحداث المسرحية، ينتقل بنا العرض إلى الجليل وإلى قرية الشجرة في الحديث عن ولادة ناجي سليم العلي واستعراض لحياة العائلة، إلى حدوث النكبة والهجرة إلى منطقة بنت جبيل في جنوب لبنان حيث أقامت العائلة لبعض من الوقت قبل أن تتابع طريقها إلى مخيم عين الحلوة.

وفي تلك الأحداث تستعرض المسرحية العلاقات التي نشأت بين اللاجئين الفلسطينيين وأهل الجنوب الذين احتضنهم وقدموا لهم كل مساعدة، وكان سليم والد ناجي محل تقدير واحترام من أهل المنطقة.

وتأتي خاتمة المسرحية عندما يدخل أخيراً حنظلة لزيارة قبر ناجي العلي. ليصل إلى الحقيقة أن ناجي لم يعد موجوداً هنا. إنه عاد إلى الشجرة إلى فلسطين. لقد حقق حلم العودة رغم كل الأعداء والمحتلين ورغم كل اتفاقيات التنازل والمساومة التي تخلت وباعت وساوتمت على فلسطين التاريخية ليحقق ناجي العلي

شعاره الذي رفعه في حياته عن مساحة الأمل، بينما أعلن وصرح أن الطريق إلى فلسطين ليست بالبعيدة ولا بالقريبة، إنها بمسافة الثورة.

وفي نظرة إلى المكونات الفنية للعرض المسرحي، نرى أن المخرج قد زواج بين اللغة العربية الفصحى واللغة المحكية، مما كان لها الأثر في إيصال الأفكار التي كان يطرحها العرض المسرحي. وأخذ الممثلون إضافة إلى تجسيدهم شخصيات العرض المسرحي دور الرواة، حيث كانوا الشاهدين على مسار العرض وأحداثه من خلال تقمص كل ممثل دوره الخاص به. إضافة إلى شخصية الراوي..

ولقد برع المخرج الفنان زيناتى قدسية في إضفاء مسحة جميلة كان لها الأثر الأكبر في إعطاء العرض مزيداً من المصداقية والالتصاق بهوم الإنسان. عندما ادخل المواويل وبعض أنواع الغناء الشعبي في تقديمه للحدث التالي.. إضافة إلى استخدام الدفوف كإيقاعات مرافقة للغناء. وأحياناً كضربات تنبأ بالأحداث التي يشهدها ويقدمها العرض المسرحي... وبلا شك أجاد المخرج نفسه الذي يملك حساً غنائياً وأذناً موسيقية غاية في الجمال والروعة والإحساس العالي في تقديمه لتلك المواويل التي كانت تمزج بالألم والوجع الذي يعيشه وعاناه حنظلة وكل مواطن عربي مكوم.

ومن الجدير ذكره أن هذا العرض قدم على بعض مسارح دمشق وفي بعض المخيمات الفلسطينية في سوريا ولبنان وذلك في أواخر العام 1993.

بطاقة العرض المسرحي

ليلة عربية خاصة مع حنظلة بن ناجي العلي
التأليف: نبيل الملحمة - زيناتى قدسية
الممثلون: يوسف المقبل - محمود خليلي - عبد السلام غبور - عبد الباري أبو الخير - وزيناتى قدسية
تصميم الديكور والملابس: محمود خليلي
تصميم الإضاءة والمخرج المساعد: عبد الحميد خليفة
الإخراج: زيناتى قدسية

العتبات النصيّة ودلالاتها في مسرحية «الاعتصاب» لسعد الله ونوس

غرز الدين جازي - ناقد أدبي - سورية

تتمحور العتبات النصيّة لدى «النوس» في مسرحيته «الاعتصاب» حول ثلاثة محاور رئيسية:

1. دلالة العتبة النصيّة للعنوان:
2. العنوان الرئيسي.
3. دلالة العتبة النصيّة للإهداء.



العتبة النصيّة للعنوان الرئيسي:

لقد اختار «النوس» عنواناً رئيسياً لمسرحيته «الاعتصاب»، واستخدمه كدلالة رمزية في سياق أحداث مسرحيته يتمثل بما يلي:

- اغتصاب «دلال» الزوجة الفلسطينية من قبل مجرمي الاحتلال الصهيوني قسراً وعنوة أمام عيني زوجها «إسماعيل»، وفي ذلك دلالة واضحة على اغتصاب الوطن الفلسطيني من الصهاينة على مرأى ومسمع الشعب الفلسطيني كافة دونما أي اعتبار تاريخي أو اجتماعي لحقوق الشعب الفلسطيني.

- اغتصاب «راحيل» الزوجة اليهودية من قبل متشددى الفكر الصهيوني العنصري الاستيطاني، وقد تم هذا الاغتصاب برغبة وموافقة «راحيل» من قبل «جدعون» المتشدد، وهي كما أوضح «النوس» لا تعترض على العري ولا العلاقة الجنسية معه، لكنها تعترض على الطريقة التي تمت بها هذه العلاقة والتي تتمثل بالاغتصاب بالإكراه والعنف والقسوة، في دلالة رمزية من

«النوس» بأن هناك من اليهود من لا يمانعون في اغتصاب أرض فلسطين لكنهم يرفضون الطريقة العنيفة القاسية التي يسلكها المتشددون في السيطرة على فلسطين والتي تدفع إلى عدم وجود الأمان والاستقرار لديهم.

- بالمثل، يقودنا ذلك إلى العنوان الرئيسي للمسرحية «الاعتصاب» والذي يمثل في جوهر دلالاته اغتصاب الوطن الفلسطيني سلماً أو عنوة وبالإكراه.

العتبة النصيّة للعنوان الفرعي:

- أطلق «النوس» على الحالة الفلسطينية: «سفر الأحزان اليومية»... المعاناة، الهم، القهر، الأحزان، والموت اليومي.
- أطلق «النوس» على الحالة الإسرائيلية: «سفر النبوءات».. نبوءاتهم بأرض الميعاد.

وفي هذا يكون «النوس» قد أشار إلى المعنى اللغوي للمفردة «سفر» التي تعني «الكتاب»، أو «الكتاب الكبير» في دلالة لأوجاع وآلام الشعب الفلسطيني، وإلى النبوءات بأرض الميعاد للإسرائيلي.

العتبة النصيّة للإهداء:

سجّل «النوس» إهداء مسرحيته لكل من: ناجي العلي، مهدي عامل «حسن عبد الله حمدان»، فواز الساجر:

1. في الفضاء الجغرافي للوطن العربي: ناجي العلي: فلسطيني، مهدي عامل: لبناني، فواز الساجر: سوري.
2. في الفضاء الجغرافي للفكر والثقافة والفن: ناجي العلي: فنان كاريكاتير، مهدي عامل: مناضل ومفكر ثوري، فواز الساجر: مسرحي.
3. في فضاء الحياة: ناجي العلي، ومهدي عامل: اغتيل، فواز الساجر: موت مفاجئ.
4. دلالة هذه العتبة: الأوطان العربية، الأنماط الفكرية والثقافية والفنية، تلتحم معاً في نمط واحد لتجسّد وطناً واحداً: فلسطين.

العتبة النصيّة للأسماء:

في الدلالة اللغوية، والفكرية والثقافية والمضمون، لمعنى الاسم: لم يختار «النوس» أسماء شخوص مسرحيته عبثاً، بل كان لكل اسم ارتباط وثيق بالشخصية التي يجسدها في المسرحية ودلالاتها ومضمونها:

- سارة، الأم الصهيونية:
- الاسم يعني «الأميرة»، أو «السيدة النبيلة».
- المرأة الوحيدة في الكتاب المقدس التي غيّر الله اسمها، كان اسمها «ساري»، ثم تغيّر إلى «سارة» كدلالة لوعدها بأن يكون لها ذرية.
- زوجة إبراهيم، وأم إسحق أبو يعقوب الذي ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل.
- مبعّلة عن المسلمين والمسيحيين واليهود.

- تمثّل في المسرحية الإيديولوجيا التوراتية العنصرية، إذ تطالب بإقصاء العرب وإبادتهم.
- أحبّت «مائير» الذي يمثّل النموذج اليهودي الصهيوني المتمزّت حياً عصابياً عاقراً.

• الفارعة، الأم الفلسطينية:

- الاسم يعني الفتاة الطويلة ممشوقة القوام، ذات الشعر الطويل.
- أسماها ابنها إسماعيل «الفارعة» لكثرة ما ترددت على سجن «الفارعة» تزور عمر حببها المعتقل والمحكوم مؤبداً لاشتباكه مع دورية إسرائيلية.
- تمثل فلسطين وفق ما رسمها «النوس»:
- «ترفع قبضتها وكأنها تسير في مظاهرة»: زيت زعتر، زعتر زيت، يلعن أبو الشين بيت.
- «لم تقتصب إسرائيل بلادنا كي توفر لنا الأمان».

- تحتضن ابن أخيها «وعد محمد الصفدي» وتربيته تربية فلسطينية مشبعة برائحة الخبز وتراب الوطن.
- تؤمن أن الصهيونية غير اليهودية.

- راحيل، الزوجة، الأنثى، الصهيونية:
- الاسم يعني «النعجة»، أو «الشاة».
- يستخدم الاسم كدليل للمعزة والمحبة، مثل كلمة «حمل» في المسيحية.
- أم يوسف وبنيامين اللذان أصبحا رئيسي اثنتين من أسباط إسرائيل الاثني عشر.

- ليست ضد اغتصاب فلسطين، لكنها ضد العنف والقسوة والإكراه، وتجلّى ذلك في عدم اعتراضها على العري ومصاحبة المتشدد جدعون لكنها ضد العنف والقسوة والإكراه في معاملة جدعون لها.

- تمثّل النمط الإنساني الرافض للعنف الصهيوني الباحث عن الأمن والأمان والاستقرار.

- دلال، الزوجة، الأنثى، الفلسطينية:
- الاسم يعني المرأة حسنة الحديث ورفقته، التدلل، الرفاهية.
- تمثل الفتاة والزوجة الفلسطينية.. تتعرض للاغتصاب من جهاز الأمن الإسرائيلي لإجبار زوجها إسماعيل على الاعتراف.

- تنخرط في صفوف المقاومة وفق رؤيتها «هذه الأرض لا تتسع لنا جميعاً، إما نحن، وإما هم».

- اسحق، الرجل الصهيوني:
- الاسم يعني «الضاحك»، الذي يضحك».
- ابن إبراهيم من سارة، وأخو إسماعيل.
- يعتبره المسلمون والمسيحيون واليهود نبياً.

- ربّي في المسرحية تربية ذكورية توراتية، وشارك في تعذيب المناضلين العرب، فأصيب بالعجز الجنسي الناجم عن ردة الفعل الطبيعية بسبب ما ارتكبه بحق المعتقلين العرب كما أوضح له الطبيب «منوحين» ذلك.
- أصبح حاقداً على دولة إسرائيل، وينبذ العنف والقسوة، وبدأ يميل إلى السلم والهدوء ويبحث عن الأمن والاستقرار.
- استخدم النوس هذين الشقيقتين في دلالة «لأبناء العمومة» فهو في المسرحية أيقن شناعة الإرهاب الإسرائيلي، مثلما صرح إسماعيل عن إمكانية التعايش والمواطنة.

• إسماعيل، الرجل الفلسطيني:

- الاسم يعني «سمع الله»، لبّى الله دعاء إبراهيم بأن يكون له ولد، فمنحه إسماعيل.
- ابن إبراهيم من «هاجر»، جارية «سارة»، وأخو إسحق، وفي هذا دلالة رمزية استخدمها النوس في المسرحية لتوافق الرؤى لدى كليهما.
- أبّ النسب للعرب الإسماعيليين.
- عند المسلمين هو نبي من أنبياء الله، وفي اليهودية والمسيحية شخصية تاريخية تم ذكرها في العهد القديم.
- مناضل عتيد، اعتقل في سجون الصهاينة وخُصّي، ثم استشهد رغم تصريحه بإمكانية التعايش والمشاركة.

• إبراهيم، إبراهيم:

- الاسم بالعبري يعني «أبو الجمهور»، «أبو الأمم»، وبالأرامي يعني «أباراحيما»، الأب الرحيم، الأب الحنون، وبالكلداني يعني «الأب العالي»، «الأب الرفيع»، مشتق من «أبرام».
- استخدمه النوس في بث آرائه عن طريق المحاورّة ومحاولة الإقناع، فهو يؤمن بعدم إمكانية استمرار دولة إسرائيل في الحياة، وعقم واهتراء الجيل الصهيوني القادم بعد جيل المؤسسين.
- يرفض الاعتداء على الآخرين ويدافع عن حريتهم، مدركاً أن الصهيونية ورطة للعرب واليهود.

- جدعون:
- اسم عبري يعني «حاطب»، أو قاطع بشدة»..
- ويعني «قاطع الأشجار»، «الحفار».
- أي المحارب العظيم في اللغة العبرية.
- في دلالة «ونوسية» لاختيار اسمه الذي يتطابق مع شخصيته الصهيونية التي رسمها النوس له، يظهر في النص المسرحي صهيونياً متشدداً يسعى بكل الوسائل والطرق لاغتصاب فلسطين واحتلالها.

• محمد الصفدي:

- أخو الفارعة وإسماعيل، في دلالة «ونوسية» على الترابط والتآلف بين مختلف الأفكار والاتجاهات الفكرية والسياسية الفلسطينية.
- يمثل وفق اختيار «النوس» لاسمه، الأمة الإسلامية بتخاذلها وتراخيها في الوقوف لجانب الشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال الصهيوني:
- تقول له «الفارعة» التي تمثّل فلسطين في المسرحية عن الاحتلال: «انظر ماذا حل بأخيك وامراته»، تقصد إسماعيل وزوجته دلال، ليرد ببرود قاتل: «لا شأن لي بأخي».. له طريقه ولي طريقي».

• وعد محمد حسين الصفدي:

- يتضح من معنى اسمه اللغوي «وعد» بأنه الوعد القادم لفلسطين.
- تجعله «الفارعة» عمته التي تمثل فلسطين، يستتشق رائحة الخبز الفلسطيني الطازج من الطابون، ورائحة تراب الأرض في رمزية لتنشئته وطنياً يحتضن وطنه ويرضع حب ترابه.
- لقد اختار «النوس» من الأسماء بما يتطابق وينسجم مع الشخصيات التي رسمها في مسرحيته وفق رؤيته لطرق مقاومة الاحتلال وتعدد النظريات وتفاوتها واختلاف عملها في النضال والتحرير.
- فاختار تلك الأسماء بما ينسجم مع شخصية كل منهم في مجرى السياق والسرد المسرحي، وما يشير إليه معنى الاسم بدلالاته ضمن سياق أحداث المسرحية وتفصيل شخصيته.
- شكّلت العتبات النصيّة لمسرحية «الاعتصاب» مفتاحاً رئيسياً للغوص في مضمون المسرحية ومعرفة تفاصيلها الفكرية والسياسية والنضالية التي طرحها النوس بدقة الأديب المسرحي المتمكن العارف مما يريده فكراً وفناً.

فلسطين في الجملة الغيوانية: حين عبرت القضية من الوجدان المغربي إلى الأغنية والذاكرة والمقاومة

أحمد طنيش - المغرب



من الوجدان المغربي إلى الجملة الغيوانية

فلسطين في الوجدان المغربي، خصوصاً خلال ستينيات وسبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، لم تكن مجرد قضية سياسية أو عنواناً من عناوين التضامن العربي، بل كانت قضية ذات امتداد ثقافي وفني وفكري. حضرت في الأدب والشعر والصحافة والمسرح والسينما والموسيقى، وتحولت القدس والمخيم والمنفى والشهيد والمقاومة إلى صور ورموز في المخيال الإبداعي المغربي. وكان جيل الستينيات والسبعينيات يعيش تحولات سياسية وفكرية عميقة، جعلت من فلسطين مرآة لأسئلته حول الحرية والعدالة والتحرر والإنسان.

من هذا المناخ الثقافي والسياسي خرجت الجملة الغيوانية. فلم تكن ناس الغيوان وجيل جيلالة ولمشاهب والسهام ولرصاد وإزنزانر ظواهر معزولة عن زمنها، وإنما كانت جزءاً من حراك ثقافي واجتماعي واسع، أعاد اكتشاف المغرب في موروثه الشعبي والصوفي والأمازيغي والإفريقي والعربي، وفتح الأغنية المغربية على قضايا تتجاوز حدود الحي والمدينة والوطن.

ومن هنا لم تدخل فلسطين إلى التجربة الغيوانية باعتبارها موضوعاً خارجياً، بل باعتبارها امتداداً طبيعياً لوعي جيل كان يرى في الفن وسيلة للقول والمقاومة واستعادة الإنسان لحقه في الكرامة. وقد كان حضور القضية في التجربة الغيوانية متعدد الأوجه: في النص، وفي الأداء، وفي الحفل التضامني، وفي العلاقات الإنسانية، وفي الذاكرة، وفي صلات بعض رواد الظاهرة بفلسطينيين ومناضلين عرب. فكيف عبرت فلسطين من الوجدان الثقافي المغربي إلى الأغنية؟ وكيف تحولت داخل تعدد التجربة الغيوانية من قضية عربية وإنسانية إلى جزء من ذاكرتها وجغرافيتها ووعيتها؟

الحي المحمدي: مختصر المغرب ومختبر الجملة الغيوانية

حين نعود إلى البدايات، لا يمكن فصل ولادة الظاهرة الغيوانية عن مدينة الدار البيضاء، ولا عن الحي المحمدي تحديداً. فالدار البيضاء، بما استقبلته من هجرات داخلية وبما راكمته من تحولات اقتصادية واجتماعية وعمرانية، أصبحت فضاءً تلتقي فيه جهات المغرب ومرجعياته وثقافته. وفي قلب هذه الدينامية تشكل الحي المحمدي، الذي حمل في بداياته ذاكرة عمالية قوية، قبل أن يصبح أحد أهم الفضاءات التي ستحتضن لاحقاً ظاهرة فنية وثقافية غير مسبوقة.

مع ناس الغيوان أخذ الحضور الفلسطيني أشكالاً متعددة، ولم يبق مرتبطاً بلحظة واحدة.

ففي البدايات، ظهرت فلسطين داخل الخطاب الإنساني والعربي للمجموعة، ثم عادت القضية في محطات تاريخية أكثر تحديداً، خصوصاً مع أحداث تل الزعتر ومجزرة صبرا وشاتيلا والانتفاضة الفلسطينية.

وهنا تظهر خاصية مهمة في التجربة الغيوانية: فلسطين لم تكن عند الغيوان صورة ثابتة، بل كانت تتغير بتغير الحدث التاريخي.

فعندما وقعت مجزرة صبرا وشاتيلا سنة 1982، لم تتحول المأساة إلى خبر سياسي عابر، وإنما وجدت طريقها إلى الوجدان الغيواني من خلال أغنية «صبرا وشاتيلا»، التي نقلت الحدث من مستوى الخبر إلى مستوى الذاكرة الإنسانية، واستحضرت صورة الضحايا والمجزرة والألم.

ثم جاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى سنة 1987، فظهرت فلسطين مرة أخرى في صوت المجموعة من خلال «دومي يا انتفاضة»، حيث دخلت الحجارة وأطفال الانتفاضة إلى قاموس الأغنية.

وبذلك يمكن أن نرصد داخل التجربة الغيوانية ثلاثة أزمنة فلسطينية متداخلة:

- فلسطين القضية؛

- فلسطين المجزرة؛

- فلسطين المقاومة والانتفاضة.

هذا التوالي يكشف أن الغيوان لم تكن تكرر خطاباً جاهزاً، وإنما كانت تلاحق القضية الفلسطينية في تحولاتها التاريخية. بوجميع: حين انتقلت فلسطين من الأغنية إلى التجربة المعيشة

لكن هناك سؤالاً أعمق: من أين جاء هذا القرب؟

هنا يبدأ النباش في سيرة بوجميع، أحد مؤسسي الجيل الأول لناس الغيوان سنة 1970 والذي توفي في 26 أكتوبر 1974.

تقدم شهادة واصف منصور، الفلسطيني الذي عاش في المغرب وارتبط بالحركة الوطنية الفلسطينية وبمكتب حركة فتح ثم بسفارة فلسطين، مدخلاً بالغ الأهمية لفهم هذه العلاقة.

ففي شهادته التي يتضمنها المقال، يقول إنه تعرف إلى ناس الغيوان في بداية 1972، وإن علاقته الأقوى كانت مع بوجميع،

الذي تتلمذ على عمه أبي نزار في ثانوية الأرميطاج، قبل أن يذهب إلى بيروت ويعيش فترة مع الفدائيين الفلسطينيين.

إذا أخذنا هذه الشهادة بوصفها إحدى مواد النباش، فإنها تفتح أمامنا باباً مختلفاً تماماً.

فلسطين هنا لم تعد مجرد موضوع أغنية؛ أصبحت تجربة معيشة واحتكاكاً بشرياً.

هذه المسافة بين أن تغني عن فلسطين لأنك قرأت عنها أو سمعت أخبارها، وبين أن تغني عنها لأنك اقتربت من أهلها ومن تجربتهم، هي مسافة تستحق الوقوف عندها.

فإذا تأكدت هذه الرواية من خلال مزيد من الوثائق والشهادات، فإنها ستقدم تفسيراً أكثر عمقاً للحضور الفلسطيني في وعي بوجميع، وبالتالي في بعض ملامح الوعي الغيواني المبكر.

واصف منصور: الفلسطيني الذي دخل الجغرافيا الغيوانية

تكتسب شهادة واصف منصور أهمية إضافية لأنها تضعنا أمام صورة مختلفة للعلاقة بين الفلسطينيين والمغرب.

فلسطين لم تكن آنذاك جغرافيا بعيدة، بل كانت حاضرة عبر شخصيات فلسطينية ومناضلين ومثقفين وفعاليات تضامنية، وعبر لقاءات إنسانية وثقافية وسياسية.

ومن خلال هذا الحضور أصبح المغرب نفسه جزءاً من شبكة التضامن الفلسطيني، وأصبح الفن أحد مساحات هذا التفاعل.

وهنا لا يعود الفنان مجرد صاحب أغنية تضامنية، بل يصبح جزءاً من شبكة علاقات إنسانية وثقافية تتقاطع فيها الأغنية مع المسرح والجامعة والحركة الطلابية والفعاليات السياسية والحفلات التضامنية.

وتشير الشهادة الواردة في المقال إلى مشاركة ناس الغيوان ولمشاهب وجيل جيلالة وغيرها من المجموعات في حفلات يعود ريعها للقضية الفلسطينية.

وهذه المعطيات تجعل من الضروري أن نوسع البحث من أرشيف الأغاني إلى أرشيف اللقاءات والحفلات والتظاهرات والتسجيلات الصحفية.

من بوجميع إلى الجملة الغيوانية الجماعية لا ينبغي، مع ذلك، اختزال فلسطين في بوجميع.

فبوجميع يمكن أن يكون أحد المداخل إلى هذا البحث، لكنه ليس نهايته.

ما حدث هو أن القضية الفلسطينية دخلت تدريجياً إلى المخيال الجماعي للمجموعات، ووجدت لنفسها صيغاً متعددة داخل الأغنية المغربية.

في هذه المرحلة ظهرت أعمال مرتبطة بالقضية في ريبورتوار الغيوان وجيل جيلالة ولمشاهب، بما يؤكد أن فلسطين لم تكن ملكاً لمجموعة واحدة، وإنما كانت جزءاً من الوعي العام لجيل موسيقي وفني كامل.

وهنا تظهر إحدى أهم خلاصات هذا النباش:

لم تكن هناك أغنية فلسطينية واحدة اسمها الجملة الغيوانية؛ كانت هناك جمل فلسطينية متعددة داخل الجملة الغيوانية الكبرى.

جيل جيلالة: حين تدخل القدس من باب الروح

إذا كانت ناس الغيوان قد جعلت فلسطين جزءاً من خطابها الاجتماعي والإنساني والمقاوم، فإن جيل جيلالة استطاعت أن تقترب منها من باب آخر: القدس والروح والنصوف والرمز.

وهذا الاختلاف لا يعني الانفصال عن القضية، وإنما يؤكد تعدد التعبيرات داخل الجملة الغيوانية.

فالتجربة الصوفية المغربية التي كانت حاضرة في هوية جيل جيلالة وفنيتها، سمحت بأن ترى القدس ليس فقط باعتبارها أرضاً محتلة، وإنما باعتبارها رمزاً روحياً وحضارياً.

وهكذا، إذا كانت الغيوان تصرخ في وجه المجزرة، فإن جيل جيلالة تستطيع أن تنجي القدس.

إنهما طريقتان مختلفتان إلى قضية واحدة. لمشاهب: فلسطين بوصفها جرحاً عربياً مع لمشاهب يأخذ حضور فلسطين بعداً آخر.

فالمجموعة جعلت القضية جزءاً من مشروعها الغنائي، ومن بينها أغنية تحمل اسم «فلسطين»، كما ترد في المادة الأصلية إشارات إلى أعمال مرتبطة بالقضية وإلى حضورها في ريبورتوار المجموعة.

لكن أهمية لمشاهب لا تكمن في مجرد تسمية فلسطين، بل في الطريقة التي تتحول بها القضية إلى مرآة لحال العرب.

فلسطين هنا ليست فقط أرضاً محتلة، وإنما سؤال عن العجز، والانقسام، والذاكرة العربية، وعن العلاقة بين الإنسان العربي

وقضايا التحرر.

وهنا تنتقل الأغنية من التضامن مع الآخر إلى مساءلة الذات:

ماذا فعلنا نحن أمام جرح فلسطين؟
السهام: من القدس إلى أطفال الحجارة
مع السهام، تواصل فلسطين حضورها
بلغة أكثر مباشرة وقرباً من الشارع.

وتبرز في ريبورتوار المجموعة عناوين
مثل:

- نفيك يا شهيد؛

- أطفال الحجارة؛

- القدس العربية.

هنا يحدث تحول دلالي هام، ففلسطين لا تظهر فقط بوصفها القدس أو الأرض، وإنما بوصفها طفلاً يقاوم، وحجراً يتحول إلى رمز للمقاومة.

أي أن الصورة تنتقل: من القدس إلى الطفل، ومن الطفل إلى الحجر، ومن الحجر إلى المقاومة.

هكذا تلتقط الأغنية المغربية تحولاً محورياً دالاً في الخطاب الفلسطيني نفسه، حين أصبحت الانتفاضة وأطفال الحجارة أحد أبرز رموز القضية.

لرصاد وإزنزارن: حين تتعدد لغات فلسطين

لم تتوقف فلسطين عند المجموعات التي أصبحت أشهر تمثيلات الظاهرة الغيوانية.

فقد دخلت القضية إلى ريبورتوار لرصاد، التي ارتبط اسمها بالالتزام والخط الاحتجاجي، وتظهر في أرشيف الأغنية المرتبطة بها إحالات إلى فلسطين والمقاومة.

أما مع إزنزارن، فتحدث نقلة أكثر أهمية: فلسطين تدخل الأغنية الأمازيغية.

وهنا يصبح حضور القضية أكثر من مجرد تضامن؛ يصبح دليلاً على أن فلسطين استطاعت أن تجد مكانها داخل تعدد اللغات والهويات المغربية.

فلسطين إذن لم تكن عربية فقط داخل الجملة الغيوانية، بل أصبحت مغربية في تعدد تعبيراتها.

وهنا يمكن أن نقول:

حين دخلت فلسطين إلى الأغنية الأمازيغية، اتسعت الجملة الفلسطينية داخل الجملة المغربية.

من الأغنية إلى الفعل التضامني
لكن اختزال حضور فلسطين في أسماء الأغاني يضيق كثيراً من معنى التجربة.

فالظاهرة الغيوانية كانت مفتوحة على المسرح والجامعة والحركة الطلابية والمتقنين العرب والفعاليات التضامنية. وكانت المجموعات الفنية جزءاً من مناسبات وحفلات ارتبطت بالتضامن مع فلسطين، بحسب الشهادات التي يستند إليها هذا النيش.

وهذا يعني أن فلسطين كانت تنتقل في التجربة الغيوانية عبر ثلاث دوائر:

- من الفكرة إلى الأغنية؛

- من الأغنية إلى الخشبة؛

- من الخشبة إلى الفعل التضامني.

هنا تحديداً تتحول الأغنية من منتج فني إلى وثيقة اجتماعية.

من الحي المحمدي إلى القدس: الجغرافيا التي لا تقاس بالمسافة

هنا تعود بنا فلسطين إلى الجغرافيا الغيوانية.

فالحى المحمدي لم يكن معزولاً عن العالم.

كان حي العمال والهجرة والمسرح والمقاهي والحركة السياسية والأغنية والجامعة، وكان أبنائه يعيشون في تماس دائم مع التحولات التي يعرفها المغرب والعالم.

ومن هذا الحي خرجت الجملة الغيوانية إلى المغرب، ثم إلى العالم العربي، ثم إلى أوروبا وأفريقيا وأمريكا.

وفي هذا الامتداد كانت فلسطين حاضرة. لذلك لا يمكن رسم الخريطة الغيوانية بالدار البيضاء ومراكش والصويرة والشاوية والصحراء فقط، وإنما ينبغي أن نضيف إليها القدس وبيروت ومخيمات اللجوء وتل الزعتر وصبرا وشاتيلا والانتفاضة.

إنها جغرافيا لا تقاس بالمسافة.

الدار البيضاء بعيدة عن القدس على الخريطة، لكنها كانت قريبة منها في الوجدان.

فلسطين ليست أغنية في الجملة الغيوانية ربما يكون من الخطأ أن نخصر حضور فلسطين في الظاهرة الغيوانية في عناوين الأغاني.

الأصح أن ننظر إليها باعتبارها أحد مسارات تشكل الوعي الغيواني نفسه.

فقد دخلت فلسطين إلى النص والحن والأداء والذاكرة والاحتجاج والحفل التضامني والعلاقات الشخصية والسفر والمسرح والجامعة والحركة الشبابية.

ولهذا يمكن القول:

فلسطين لم تكن ضيفة على الجملة الغيوانية؛ كانت واحدة من اللغات التي جعلت هذه الجملة تتجاوز حدود المغرب. ناس الغيوان جعلتها قضية إنسانية وقومية. جيل جيلالة قرّبها من القدس والروح والرمز الصوفي.

لمشاهب جعلتها مرآة للوجع العربي. السهام حملتها إلى لغة الشارع وأطفال الحجارة.

لرصاد وسّعته إلى ذاكرة المقاومة. وإزنزارن أثبتت أن فلسطين قادرة على الدخول إلى الأغنية الأمازيغية.

وهكذا لم تعد هناك «أغنية فلسطينية غيوانية» واحدة، وإنما فلسطين غيوانية متعددة، مثلما أن الجملة الغيوانية نفسها متعددة.

من فلسطين إلى الأنطولوجيا الغيوانية يفتح هذا النيش باباً جديداً في مشروع الأنطولوجيا الغيوانية.

فبعد الجغرافيا والهجرة والتصوف والحضرة وكناوة والأمازيغية والصحراء والمرأة والمسرح والحى المحمدي، تبرز فلسطين باعتبارها فضلاً مستقلاً. ليس لجرد الأغاني التي تناولتها القضية فحسب، وإنما لإعادة بناء شبكة العلاقات والأفكار والوقائع التي جعلت فلسطين تنتقل من الجغرافيا إلى الوجدان، ومن الوجدان إلى الأغنية، ومن الأغنية إلى الفعل التضامني.

وهو ما يجعل السؤال يتجاوز:

ماذا غنت الجملة الغيوانية عن فلسطين؟

إلى سؤال أعمق:

ماذا فعلت فلسطين بالجملة الغيوانية؟

هل غنت الغيوان لفلسطين فقط، أم أن فلسطين ساهمت بدورها في توسيع الغيوان من أغنية مغربية إلى ظاهرة عربية وإنسانية؟

ربما تكون الإجابة في الاتجاهين معاً.

فالغيوان حملت فلسطين إلى المغاربة، وفلسطين حملت الغيوان إلى خارج حدود المغرب.

من هنا تصبح فلسطين واحدة من المفاتيح الأساسية لفهم انفتاح الجملة الغيوانية، وتعدد جغرافيتها، وتعالقها الإنساني والثقافي والسياسي.

إنها ليست مجرد قضية حضرت في الأغنية.

إنها قضية ساعدت الأغنية نفسها على اكتشاف مدى اتساعها.

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

يثير وصف محمود درويش بأنه «شاعر مناسبات» سؤالاً نقدياً مهماً يتعلق بطبيعة العلاقة بين الشعر والواقع التاريخي والسياسي. فقد ارتبط اسم درويش، منذ بداياته الشعرية، بالقضية الفلسطينية، وكتب عن الاحتلال والمنفى والأرض والهوية والمقاومة والحصار، كما استجاب في عدد من قصائده لأحداث مفصلية تركت آثاراً واضحة في التاريخ الفلسطيني والعربي؛ ومن هنا يمكن أن يبدو شعره، للوهلة الأولى، شعراً مناسباتياً يستمد موضوعاته من الوقائع والأحداث؛ وهذا يستدعي سؤالاً رئيساً: هل كان محمود درويش شاعر مناسبات بالمعنى التقليدي للمصطلح، أم أنه شاعر اتخذ من المناسبة التاريخية منطلقاً لبناء رؤية شعرية تتجاوزها؟

إن هذا الحكم يحتاج إلى قدر كبير من التحفظ؛ إذ إن مفهوم شعر المناسبات غالباً ما يُطلق على الشعر الذي يولد استجابة لحدث عابر، ويظل أسيراً لزمانه ومناسبته، بحيث تضعف قيمته أو تتراجع فاعليته الجمالية بانتهاء الظرف الذي أوجده، كما أن شعر المناسبات ارتبط في التراث العربي بالشعر الذي يُنظم استجابة لواقعة محددة، مثل المدح والثناء والتهنئة والعتاب والاحتفال والانتصار والهزيمة... وكانت قيمة هذا الشعر، في بعض نماذجه، مرتبطة بالمناسبة التي أنتجته، حتى ليجد القارئ صعوبة في تلقيه خارج سياقه التاريخي. إلا أن النقد الحديث أعاد النظر في هذه المسألة؛ كون ارتباط القصيدة بحدث معين لا يعني بالضرورة محدوديتها الفنية؛ فالحدث قد يكون مادة أولية، في حين تكمن القيمة الشعرية في قدرة الشاعر على إعادة تشكيكه. وهنا ينبغي التمييز بين قصيدة تابعة للمناسبة، تظل وظيفتها الأساسية تسجيل الحدث أو التعبير المباشر عنه. وقصيدة تتجاوز المناسبة، فتبداً من الحدث، لكنها تحولّه إلى رمز أو رؤية أو سؤال إنساني.

وعلى الرغم من انطلاق بعض قصائد محمود درويش من أحداث سياسية وتاريخية مباشرة، فإنه تجاوز في كثير من نماذجه حدود المناسبة ليحوّل الحدث الجزئي إلى تجربة إنسانية وتاريخية وجمالية أوسع. صحيح أن محمود درويش كتب قصائد مناسبات، لكنه لم يكن شاعر مناسبات؛ لأن المناسبة عنده لم تكن نهاية التجربة الشعرية، بل كانت في الأغلب بدايتها، يعيد إنتاجها فنياً ورمزياً، وينقلها من مستوى الحدث المباشر إلى مستوى السؤال الإنساني والوجودي والتاريخي.



محمود درويش: شاعر قضية أم شاعر مناسبات

في المرحلة الأولى من تجربة محمود درويش، كان الارتباط بالواقع الوطني واضحاً وقوياً، وهذا بدهي؛ لأن شعره نشأ في ظل الاحتلال، وفي سياق الصراع على الأرض والهوية والوجود؛ لذلك جاءت بعض قصائده الأولى قريبة من الخطاب الجماهيري، تحمل نبرة احتجاجية ومباشرة، وتستجيب للواقع السياسي والاجتماعي. ففي قصيدة «سجّل أنا عربي» على سبيل المثال، يحضر السياق السياسي حضوراً مباشراً من خلال مواجهة الهوية الفلسطينية بسياسات الاقتلاع والطمس. فالقصيدة تنطلق من وضع تاريخي محدد، لكن سرّ قوتها لا يكمن في تسجيل ذلك الوضع فحسب، بل في بناء ذات شعرية تواجه سلطة النفي بإعلان الوجود. وإن قول الشاعر: سجّل أنا عربي. يتحول إلى فعل وجودي وليس مجرد استجابة لموقف إداري أو سياسي، فالهوية هنا ليست بطاقة تعريف، وإنما مواجهة بين إنسان يحاول تثبيت وجوده وقوة تحاول نفيه. ولهذا تجاوزت القصيدة مناسبتها المباشرة، وأصبحت من النصوص المؤسسة لخطاب الهوية في الشعر الفلسطيني الحديث. وكذلك في قصائد مثل: «بطاقة هوية» و «عاشق من فلسطين» و «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»، نجد أن المناسبة أو الواقع السياسي حاضر، لكنه لا يبتلع القصيدة، لأن درويش يوسع التجربة من الخاص إلى العام، ومن الفلسطيني إلى الإنساني.

وتتجلى خصوصية محمود درويش في قدرته على نقل الحدث من مستواه المباشر إلى مستواه الرمزي. فالأرض عنده، مثلاً، تصبح رمزاً للذاكرة والهوية والأمومة والبداية والوجود، وليست مجرد مساحة جغرافية، وهذا التحول يجعل القصيدة قادرة على الحياة خارج زمن المناسبة. وعندما يكتب عن المنفى، لا يتحدث عن الفلسطيني الذي اقتلّع من وطنه فحسب، بل يطرح سؤال الإنسان الذي فقد مكانه. وحين يكتب عن الحصار، لا يصف وضعاً حربياً، بل يواجه أسئلة الزمن والخوف والموت والحرية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ملحمة الشعرية الطويلة: «مديح الظل العالي»، التي ارتبطت بسياق الاجتياح الصهيوني للبنان وحصار بيروت 1982. ومن الممكن النظر إليها بوصفها قصيدة كتبت في قلب حدث تاريخي شديد التحديد، لكنها لا تكتفي بتقديم وصف سياسي للحصار. بل تتحول القصيدة إلى فضاء تتداخل فيه الأصوات والأسئلة والصور والرموز، ويتحول «الحصار» من واقعة إلى حالة وجودية. وهنا لا يقف القارئ أمام قصيدة عن حدث انتهى، بل أمام تجربة تبحث في معنى البقاء والمقاومة والحرية والهوية. ومن ثم فإن المناسبة في شعر درويش تتحول إلى بنية شعرية، وليست مجرد موضوع خارجي

للقصيدة. وتقدم قصيدة «عابرون في كلام عابر» نموذجاً مهماً في هذا الموضوع. فقد ارتبطت بسياق سياسي ووطني واضح، وكانت استجابة لواقع الاحتلال والصراع على المكان (الانتفاضة الأولى 1987). لذلك تلقاها الجمهور والسياسيون بوصفها قصيدة ذات مضمون مباشر. إلا أن أهمية القصيدة لا تتوقف عند هذه الاستجابة الآنية. فهي تبني تقابلاً عميقاً بين مفهومين: العابر والمقيم. فالعابر هو الذي يمرّ في المكان دون أن ينتمي إليه، أما المقيم فهو الذي يرتبط بالمكان وبالذاكرة والتاريخ والهوية. وبذلك تتحول القصيدة من خطاب موجّه إلى قوة سياسية بعينها إلى سؤال شعري حول العلاقة بين الإنسان والمكان: من يملك المكان؟ هل الملكية بالقوة أم بالذاكرة؟ ومن هو العابر الحقيقي في التاريخ؟ إن هذا الانتقال من المباشر إلى الرمزي هو ما يمنع القصيدة من الوقوف عند حدود المناسبة وحدها. وتعد قصيدة «حالة حصار» من أوضح الأمثلة على علاقة شعر درويش بالحدث. فالقصيدة ولدت في سياق سياسي محدد هو حصار الفلسطينيين، لكن بناءها الشعري يتجاوز الوصف المباشر للحصار. والحصار -هنا- ليس مجرد تطويق للمكان، بل هو أيضاً تطويق للزمن واللغة والجسد والذاكرة؛ لذلك تتولد داخل القصيدة أسئلة كثيرة حول الشعر والحياة والموت والعدو والذات. وهنا ينجح الشاعر في جعل اللحظة السياسية مادة لتأمل أوسع في قدرة الإنسان على مقاومة القهر، وهذه القدرة على تحويل التجربة الجماعية إلى خبرة إنسانية هي إحدى أهم الخصائص التي تميز درويش من شاعر المناسبة التقليدي.

لم يكن درويش يكتب عن الأحداث بوصفها لحظات منفصلة، بل كان يضعها غالباً في سياق تاريخي طويل. فالنكبة والنكسة والحصار والمنفى ليست عنده حوادث مستقلة، وإنما حلقات في تجربة فلسطينية متصلة؛ لذلك فإن قصائده تستدعي التاريخ والأسطورة والتراث، وتدخل في حوار مع شخصيات وأمكنة وأزمنة متعددة. وهذا الاتساع الثقافي يمنح القصيدة أبعاداً تتجاوز الحدث الذي انطلقت منه. ففي «لماذا تركت الحصان وحيداً»، على سبيل المثال، لا نجد قصيدة مناسبات بالمعنى المباشر، بل نجد استعادة شعرية للطفولة والخروج من المكان والذاكرة الأولى. ومع ذلك فإن خلفية النكبة حاضرة بقوة. لكنها لا تقدم في شكل خطاب سياسي مباشر، بل تتجسد في صورة الطفل

والبيت والحصان والطريق. إن درويش هنا لا يكتب «عن» النكبة فقط، بل يكتب من داخل أثرها النفسي والذاكري، وهذا التحول من الحدث الخارجي إلى الذاكرة الداخلية يمثل مرحلة متقدمة في تجاوز شعر المناسبة. وفي أعمال مثل: «جدارية» و «كزهر اللوز أو أبعد» و «لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي»، يتراجع حضور المناسبة المباشرة، ويتقدم التأمل في الوجود والزمن واللغة والموت والذاكرة. وهذا التطور يكشف أن وصف درويش بشاعر مناسبات وصف غير كافٍ؛ لأنه يتجاهل التحولات الكبرى في مشروعه الشعري.

من الصعب إنكار أن عدداً من نصوص درويش وُلد من رحم وقائع سياسية ووطنية مباشرة. كما أن بعض قصائده أدت وظيفة جماهيرية واضحة في مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني. لكن ليس السؤال الأهم: هل ارتبطت القصيدة بالمناسبة؟ بل ماذا فعل الشاعر بهذه المناسبة؟ وهنا تكمن خصوصية درويش. فهو غالباً لا يكتفي بتسجيل الحدث، ولا يحول القصيدة إلى بيان سياسي، ولا يجعل القيمة الشعرية رهينة بالمناسبة، ويستخدم الحدث بوصفه منطلقاً للتأمل، ويحول الواقعة إلى رمز. وينقل التجربة من الخاص إلى العام، ويجعل التاريخ جزءاً من بنية القصيدة، لا مجرد خلفية لها، ويدمج الوطني بالإنساني، والسياسي بالوجودي، والذاتي بالجماعي. لذلك يمكن القول إن درويش وظّف المناسبة ولم توظفه المناسبة؛ أي أنه لم يكن تابعاً للحدث، بل كان يعيد صياغة الحدث داخل نظامه الشعري الخاص. من أسباب إطلاق صفة «شاعر مناسبات» على درويش هو الخلط بين مفهومين مختلفين: شاعر القضية وشاعر المناسبة. فشاعر القضية قد يظل مرتبطاً بقضية تاريخية كبرى طوال تجربته، لكنه لا يكون بالضرورة شاعراً مناسباتياً. القضية في هذه الحالة تصبح جزءاً من رؤيته للعالم، وليست مجرد موضوع خارجي يختاره الشاعر. وهذا هو حال محمود درويش؛ إذ لم تكن فلسطين عنده مناسبة عابرة، وإنما كانت مركزاً لتجربته الوجودية والشعرية. لقد كتب فلسطين بوصفها أرضاً وتاريخاً وذاكرة وهوية ولغة ومنفى وحلماً؛ من هنا فإن وصفه بـ «شاعر القضية» قد يكون أكثر دقة، بشرط ألا نفهم القضية فهماً ضيقاً؛ لأن فلسطين في شعره فضاء شعري وإنساني واسع وليست مجرد شعار سياسي.

يمكن الوصول، في ضوء ما سبق، إلى

نتيجة أساسية هي أن محمود درويش لم يكن شاعر مناسبات بالمعنى التقليدي الضيق، وإن كان قد كتب عدداً كبيراً من القصائد المرتبطة بأحداث ومناسبات تاريخية وسياسية. فالمناسبة كانت عنده بذرة للقصيدة لا غاية لها، يبدأ من حدث محدد، لكنه يعيد صياغته بلغة شعرية تجعله قابلاً للاستمرار بعد زوال الظرف التاريخي. وهكذا تتحول الأرض إلى رمز، والمنفى إلى سؤال وجودي، والحصار إلى تجربة إنسانية، والهوية إلى مواجهة فلسفية مع النفي والغياب. وإن قوة محمود درويش تكمن في أنه لم يفصل الشعر عن التاريخ، لكنه لم يسمح للتاريخ بأن يتحول إلى بديل من الشعر. فقد حافظ على الصلة بالحدث، وفي الوقت نفسه حافظ على استقلالية القصيدة وجمالياتها وتعقيداتها؛ لذلك فإن الحكم الأدق هو: لم يكن محمود درويش شاعر مناسبات، بل كان شاعراً تاريخياً استطاع أن يجعل من المناسبات مادةً لتأسيس شعر يتجاوز مناسباته، ومن الحدث الفلسطيني الخاص أفقاً إنسانياً وجمالياً عالمياً.

لم يكن محمود درويش شاعر مناسبات، وإن كان من أكثر شعراء عصره ارتباطاً بأحداث عصره. فقد كتب في المناسبة، ومن داخل الحدث، لكنه تجاوز كليهما إلى بناء شعري تتداخل فيه الذات بالتاريخ، والوطني بالإنساني، والواقعي بالرمزي، والزمن العابر بالذاكرة الباقية. وهكذا لا تكمن أهمية السؤال في نفي وجود المناسبة في شعر درويش أو إثباتها، بل في الكشف عن كيفية تحوّل المناسبة داخل تجربته، فالشاعر الكبير ليس هو الذي يتجاهل زمنه، بل الذي يستطيع أن ينقذ زمنه من الزوال داخل العمل الفني، وهذا ما حققه محمود درويش حين جعل من النكبة والمنفى والحصار والهوية أحداثاً قابلة للتحويل إلى شعر، ومن الشعر فضاءً لحفظ الذاكرة ومساءلة التاريخ وإنتاج معنى يتجاوز لحظته الأولى.

وبذلك يمكن القول، في صياغة أكثر اختصاراً وحسماً، إن محمود درويش لم يكن شاعراً للمناسبة، بل كان شاعراً يحوّل المناسبة إلى تاريخ، والتاريخ إلى ذاكرة، والذاكرة إلى شعر؛ وهذه السلسلة التحويلية هي التي تفسر بقاء قصيدته وقدرتها على تجاوز ظروفها المباشرة، والانتقال من خصوصية التجربة الفلسطينية إلى رحابة التجربة الإنسانية.

حين يعيد الإنسان تشكيل ذاته: التحوّل الجذري من الداخل

تغريد بومرعي - كاتبة لبنانية - البرازيل

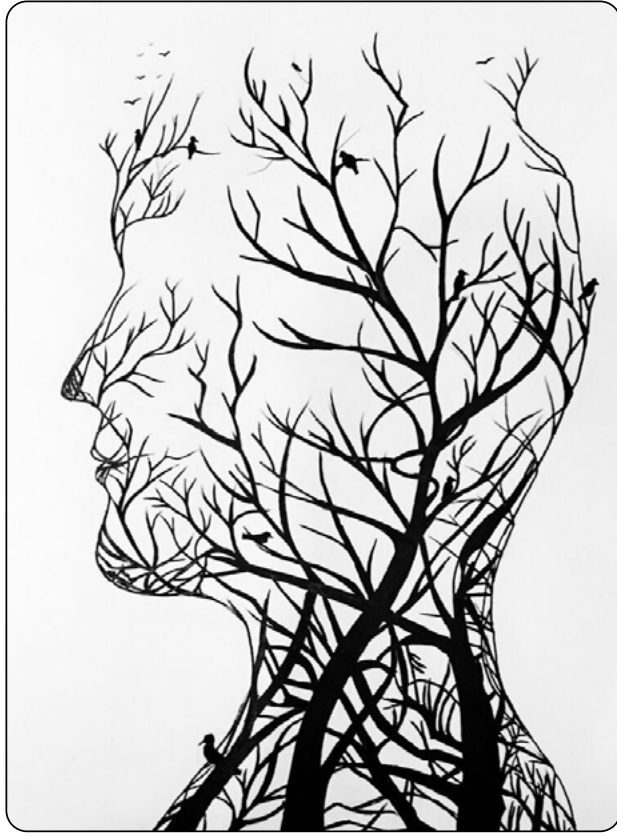
يمرّ الإنسان طوال حياته بتحولات كثيرة، بعضها عابر لا يترك أثراً عميقاً، وبعضها يغيّر مسار حياته ويعيد ترتيب علاقته بنفسه وبالعالم. قد يتغير المكان، العمل، العلاقات أو طريقة التفكير، ثم تستمر الحياة بصورة شبه طبيعية، أما التحول الجذري فيحدث في منطقة أعمق؛ حين تتبدل رؤية الإنسان إلى ذاته، وتتغير منظومته الداخلية، ويكتشف أن الشخص الذي أصبح عليه لم يعد يشبه تماماً الشخص الذي كانه قبل التجربة.

يمكن النظر إلى هذا التحول من خلال مفهوم Metamorphosis، وهو مفهوم ارتبط في الأصل بتحولات الكائنات في الطبيعة، ثم أصبح استعارة واسعة لوصف التحولات العميقة في الإنسان. الفكرة هنا تتعلق بإعادة تشكّل داخلي تجعل الإنسان أكثر وعياً بذاته، وأكثر قدرة على فهم ماضيه واختيار مستقبله ولا تتعلق بتغيير خارجي. وهذه اللحظة قد تأتي بعد تجربة مؤلمة، أو فقد، أو عزلة، أو سفر، أو أزمة فكرية، وقد تبدأ من سؤال بسيط يطرحه الإنسان على نفسه: هل ما أعيشه يمثل فعلاً الشخص الذي أريد أن أكونه؟ في تاريخ الفكر والفن نماذج كثيرة لإنسان أعاد بناء ذاته تحت تأثير التجربة.

يقدم فريدريك نيتشه مثلاً لافتاً على التحول الفكري المستمر، لم يكن فكره ثابتاً، فقد مر بمراحل متعددة أعاد خلالها النظر في القيم والمعرفة والأخلاق وصورة الإنسان عن نفسه، كان يرى أن الإنسان قادر على تجاوز صورته السابقة، وأن الحياة حركة مستمرة نحو إمكانات جديدة، ولهذا أصبحت فكرة تجاوز الذات من الموضوعات الأساسية في فلسفته.

وفي عالم الموسيقى، تبدو تجربة لودفيغ فان بيتهوفن أكثر قسوة من أن تختصر في سيرة فنان ناجح، فقد واجه فقدان السمع وهو أمر شديد القسوة بالنسبة إلى موسيقي، ووجد نفسه أمام احتمال فقدان الصلة بالحياة الفنية التي كرس لها وجوده، ومع ذلك استمر في التأليف وخرج من هذه المحنة بإبداع يحمل قوة مختلفة. لم تكن أزمنته مجرد عقبة تجاوزها فقد أعادت تشكيل علاقته بالموسيقى وبذاته وبالعالم.

أما هيلين كيلر فقد واجهت منذ طفولتها عالماً مغلقاً بفقدان السمع والبصر، ثم استطاعت عبر التعليم والإرادة والتواصل أن تفتح لنفسها



أبواباً واسعة نحو المعرفة والكتابة والعمل العام. تحولت تجربتها من حالة تحدٍّ شديد إلى مشروع حياة مؤثر، وأصبحت سيرتها مثلاً على أن الإنسان قد يجد داخل أزمته طريقاً جديداً لا يشبه الطريق الذي كان يمكن أن يسلكه في ظروف مختلفة. هذه التجارب لا تعني أن الألم شرط للتحول، ولا أن كل محنة تؤدي تلقائياً إلى النضج، فالإنسان قد يمر بالأزمة نفسها ويخرج منها محطمًا، وقد يخرج منها أكثر وعياً وقوة، الفارق يرتبط بطريقة استقبال التجربة، وبالقدرة على فهمها وتحويلها إلى معرفة بدل أن تبقى جرحاً مفتوحاً.

التحول الجذري يحتاج إلى شجاعة مواجهة الذات، ففي لحظات كثيرة يكون من الأسهل أن يستمر الإنسان في حياته كما اعتاد، حتى لو كان يشعر في داخله بأن شيئاً ما لم يعد مناسباً له، والتغيير الحقيقي يبدأ حين يصبح الإنسان مستعداً لمراجعة أفكاره، والتخلي عن بعض القنوات القديمة، والاعتراف بأن الصورة التي كوّننها عن نفسه قد تحتاج إلى إعادة بناء.

وقد يكون السفر أحد أكثر العوامل قدرة على إحداث هذا التحول، فحين يغادر الإنسان المكان الذي نشأ فيه يكتشف أن الكثير من أفكاره التي كان يظنها حقائق ثابتة مرتبطة بالبيئة التي عاش فيها، إن الاحتكاك بثقافات أخرى يوسع الرؤية ويجعل الإنسان أكثر قدرة على رؤية نفسه من الخارج، لذلك لا يكون السفر انتقالاً جغرافياً دائماً، فقد يصبح انتقالاً داخلياً أيضاً.

والكتابة والفن من الوسائل التي تساعد الإنسان على اكتشاف هذا التحول، فالفنان حين يعبر عن تجربته فهو يعيد تفسير ما حدث له: القصيدة، اللوحة، الموسيقى أو الكتاب قد تكون مساحة لإعادة ترتيب الفوضى الداخلية ومنح التجربة معنى جديداً، ولهذا ارتبطت التحولات الكبرى في حياة كثير من المبدعين بأعمال

تركت أثراً واضحاً في مسيرتهم.

هناك أيضاً تحولات تحدث من دون ضجيج قد لا يلاحظها المحيطون بالإنسان، لأنها لا تظهر في المظهر أو اللغة أو السلوك بصورة مباشرة. قد يكون التحول الحقيقي مثلاً أن يصبح الإنسان أكثر قدرة على قول «لا»، أو أن يتوقف عن انتظار اعتراف الآخرين بقيمته، أو أن يتعلم أن يختار حياته وفق قناعاته الخاصة، إن أكبر تغيير هو أن تتغير العلاقة بين الإنسان ونفسه.

ومع ذلك لا يعني التحول الجذري قطع الصلة بالماضي لأن الماضي جزء من تكوين الإنسان، وتجارب الطفولة والشباب، والنجاحات والإخفاقات، والعلاقات والخيبات، جميعها تترك آثارها في الشخصية، النضج لا يحتاج إلى محو النسخة القديمة من الذات، إنه يحتاج إلى فهمها والتصالح معها، ثم الاستمرار في بناء نسخة أكثر وعياً.

لهذا يمكن القول إن الإنسان لا يتحول مرة واحدة، نحن في حالة تشكّل مستمرة، وكل مرحلة من العمر تضيف طبقة جديدة إلى الشخصية، قد نعتقد في لحظة ما أننا وصلنا إلى صورة نهائية لأنفسنا، ثم تأتي تجربة جديدة تكشف لنا جانباً لم نعرفه من قبل.

إن التحول الجذري في جوهره هو اقتراب من الذات وليس الهروب منها، إنه اللحظة التي يتوقف فيها الإنسان عن العيش وفق الصورة التي رسمها الآخرون له، ويبدأ في اكتشاف الصورة التي يريد أن يصنعها بنفسه.

وفي عالم سريع التغير، ربما تصبح القدرة على إعادة تشكيل الذات واحدة من أهم أشكال القوة الإنسانية، فالحياة لا تمنحنا دائماً الظروف التي نختارها؛ لكنها تترك لنا مساحة واسعة لنقرر كيف نفهم ما حدث، وماذا نصنع منه، وإلى أين نريد أن نذهب.

نحن ثمرة ما عشناه، فكل تجربة يمكن أن تضيف معرفة، وكل معرفة قد تفتح باباً، وكل باب قد يقود إلى إنسان جديد، وهكذا يصبح التحول الجذري رحلة لا تنتهي، رحلة يكشف فيها الإنسان أن أكثر ما يمكن أن يغيّر حياته قد يبدأ من مكان لا يراه أحد: من الداخل.

المثقف المبدأ

محمود علي السعيد - شاعر فلسطيني - سورية

يصطدم المثقف المبدئي، في عصر انهيارات القيم وانكسارات غبطة المواقف، وبخاصة في العقد الأخير من متوالية عداد الزمن الأخطبوطي الهندسي، بجدار أن تكون مع، أو أن تكون مع، أن تكون مع طروحات الرقم المتأمر بك باسم العولمة، أو المتأورب باسم الديمقراطية، أو المتصهين باسم عدم معاداة السامية.

وبذلك تصنّف في خانة الجحود لكلمة كن، والنكران لمعتقد من نحن، والطعن بقرار من أين؟ من نحن؟ وإلى أين؟ وكيف؟ ومتى؟ وهو ابتلاء لا يُحسد المرء الذي انتهج سواء السبيل بوصلة توجّه عليه، ولا انصهار الفكرة والخطبة بوتقة خلاص إزاءه، أو أن تكون مع مافيا الثقافة، وسامسة الخطابات المحلّة بمعسول الكلم، وأناقة السلوك، ودهاء تمرير المعادلات تحت مظلة مؤسسات السلط المحتواة، أو منصة مرتفعات الواجهات المشبوهة، تعضّدها ركائز إسمنتية من النفاق الضليع باحتراف الوصول وقطف المواسم. وهو جنوح لا يُثلج الأفئدة والمهّج، والمبهج الخوض في لججه المكهربة، أو الانتكاء على مسنده من العاج بأوبئة الصعق، وفيروس التدمير والقرصنة وهتك الحُجب، لتُفتح الجبهات على الخيار البديل الفيصل وهو أصعبها مآلاً، وأمرها احتضاناً، وأنقلها حملاً؛ وذلك برفض مسلكي الحضور الرجيم، ومسلوك المساومة، لأنهما وجهان لصيدٍ فكري مدمر، وطمسٍ سادي لبصمة القوام الأدبي، بتجليات وجوه موشوره، وجوهرة العقل باشتعالها الفسفوري، وأصلاف نواة الخلائق التي فطرها المطلق من صواب سلوك وقول، وحرية انتخاب واصطفاف، ونزوع أصيل تجاه مناقب. فالفارق بين أن تكون مع، وأن تكون مع، الواردتين في سياق النص ونسج ثوبه، كالفارق بين من يذبحك بسكين مثلمة، ومن يذبحك بخيط حرير شفيف؛ وإن كان مقلع الأولي أرقى المعادن، والآخر أجمل مزارع دودة القز. فالمؤدى واحد، وحتمية فعل مردود الجرعة السالب على ألق الصحة بشطريها الروحي والجسدي أيضاً واحد.

والتواشج بين أن تكون ضد، أو أن تكون ضد، كالتواشج بين قطعة ثلج وكرة جمر؛ بين أضاميم قرنفل وحوجلة صحراء؛ بين أضلاع مثلث السيرورة الكونية، وحيوات الكينونة المعافاة (طين وماء ونار)، وأضلاع مثلث العدم السديمي (موت وانحلال وغياب). (فبأي آلاء المعادلات المدرجة تُحدث؟

حدث بنبل المقصد قبل الرحلة، وسقف القيمة قبل فرق القيمة، وبروعة قمر الحقائق قبل قطعان الغسق، وبالطريقة قبل المريد؛ ولا تأخذنك في صرخة أرخميديس اليوناني «وجدتها» لومة ساقط، وعتب متسلق، وأحبولة دجال، وجأر وضيع، وأنت تهزج مع المصور العالمي النجم ألبرت دورر: «أعطوني وحل الأرض فقط، لأرسم أجمل ذراعٍ لفينوس!»



ناجي العلي: المبدع الذي احترف قول الحقيقة

باسمة حامد - كاتبة وباحثة سورية



الصدق والوضوح

رسم ناجي العلي أكثر من 40 ألف كاريكاتير خلال مسيرته الفنية متناولاً القضية الفلسطينية والأنظمة العربية والحكام العرب، ورغم أن أسلوبه الفني اتسم بالبساطة في الأسلوب، والواقعية والوضوح في التعبير، وليس الإبهار، أو الجمال الفني، أو فزادة التقنيات وتكنيك الرسم.. إلا أنه أثر بالكثير من الفنانين حول العالم. والمثير للانتباه أن ريشته نجحت على الدوام في تأريخ الحدث وتحويل الفكرة إلى رسائل صريحة تخاطب وجدان الناس، والحفاظ على شعلة المقاومة في مواجهة محاولات الطمس والتزوير والاستسلام والسرديات الصهيونية. فرسوماته تتعامل مع السردية الفلسطينية من زوايا عميقة وتفاصيل حسية مفجعة (الجوع، الفقر، البؤس، الخوف، التهميش، ألم الشتات) بعيداً عن الشعارات الرنانة والتسطيح السياسي والاستهلاكي البصري.

وما يميز هذه التجربة الإبداعية أنها حرّة غير مؤطرة ولا مقيدة بالحسابات والاتجاهات والمجاملات، فالفنان الراحل كان مؤمناً بحرية التعبير ولم ينتمي لأي حزب سياسي أو حركة ثورية بل انتمى لفلسطين الوطن: «الطريق إلى فلسطين ليست بالبعيدة ولا بالقريبة، إنها بمسافة الثورة».

ومؤكد أن هذا التحرر من الانتماءات الحزبية مكّنه من قراءة المشهد السياسي بعمق واستيعاب ما يحدث خلف الكواليس، ولذلك كان من الصعب النقاش معه حين تكون فلسطين هي الموضوع وفق شهادة الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش الذي نقل عنه

يمثل المبدع الفلسطيني الراحل ناجي العلي حالة إبداعية استثنائية في المشهد الفلسطيني، فقد كانت أعماله ترى ما لا يراه الآخرون من تفاصيل وخفايا في الحياة اليومية لشعبه، وهي تفاصيل مهمة تقرأ الراهن وتتوقع المستقبل. والمؤكد أن منجزه الإبداعي لم يكن نابعاً من خيال المبدع بل من حياة حقيقية اختبرها عن كثب، وعانى منها، وعاشها، وعاش معها بكل جوانبها كغيره من الفلسطينيين، ولعل تلك الحياة هي ما صنعت منه رساماً عالمياً في زمن لم تكن فيه العالمية سهلة التداول كما هي اليوم ضمن ما توفره التكنولوجيا الحديثة من وسائل وتقنيات سريعة للشهرة والانتشار.

قوله: «لا أفهم هذه المناورات لا أفهم السياسة، لفلسطين طريق واحد وحيد هو البندقية».

المثقف المقاوم

كان ناجي العلي مثقفاً واعياً وشجاعاً حتى قبل أن تصيبه رصاصة الاغتيال، لمّا قرأ الواقع بعين ثاقبة، ذكياً في التقاط التفاصيل واستشراف المستقبل، وعُرف عنه أنه لا يهادن، ولا يؤمن بالحلول الوسط، ولا يقف على الحياد، ويقول كلمته ويمضي متجاوزاً حدوده كرسام ساخر: «أنا أرسم لفلسطين»، «أفضل أن أموت على أن أرسم شيئاً لا أؤمن به».

ومواقفه كانت صريحة وحاسمة: «هكذا أفهم الصراع: أن نصلب قاماتنا كالرماح ولا نتعب»، «متهم بالانحياز، وهي تهمة لا أنفيها، أنا منحاز لمن هم (تحت)»، «أن نكون أو لا نكون، التحدي قائم والمسؤولية تاريخية».

وانتقاداته أيضاً كانت لاذعة ليس فقط للصهاينة بل أيضاً للتخاذل العربي وتواطؤ الأنظمة السياسية المتآمرة على فلسطين، وللطائفية، والفكر التكفيري، والمهرولين نحو التطبيع، ومفاوضات السلام، والخلافات الداخلية الفلسطينية..

ولا شك أن جرأته في نقد الواقع العربي، ومصادقته في نقل معاناة الشعب الفلسطيني وهمومهم وأحلامهم المؤجلة جعلته في دائرة الاستهداف، لكنه كان يرد على التهديدات لإسكاته بحزم: «لو ذُوبوا يدي بالأسيد سأرسم بأصابع رجلي»!

حنظلة الذي رأى الحقيقة

اكتسب الفنان الراحل شعبية كبيرة من خلال احتكاكه اليومي بشعبه داخل المخيمات وخارجها، فقد تشكّل وعيه السياسي مبكراً حين عانى ألم الزواج بعد النكبة، حيث هُجر مع عائلته وهو طفل صغير لا يتجاوز العشر سنوات إلى لبنان، وعاش في مخيم عين الحلوة قرب مدينة صيدا في خيمة صغيرة، وشهد مآسي العائلات الفلسطينية في اللجوء، وبدأ يعبرُ بالرسم على جدران المخيم منطلقاً من الخاص إلى العام، وعمل جاهداً ليكون الفن أداة لإيصال أفكاره لإيمانه بدور الثقافة في مقاومة الاحتلال، ونستشهد بواحدة من مقولاته المشهورة بهذا الخصوص: «للكلمة والخط المرسوم وقع أقوى من طلاقات الرصاص».

والحديث عن هذه التجربة الفنية والإنسانية المميزة لا يكتمل دون الوقوف عند شخصية (حنظلة) ذلك الطفل الذي ابتكره ناجي العلي ورسمه وهو يقف حافي القدمين، بملابس مرقّعة، ويداه خلف

فلسطينيات: نص مسرحي سوري يمجّد ثورة الأبطال

جوان جان - ناقد مسرحي سوري



كانت القضية الفلسطينية - بكافة تداعياتها وحيثياتها - القضية الأكثر تناولاً وتداولاً في المسرح السوري على مدى سنواته المديدة، ويُعتبر عقدا السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي الأكثر غنى على هذا الصعيد، إذ ظهرت في تلك المرحلة تجارب مسرحية عديدة تناولت القضية الفلسطينية إما بشكل مباشر أو غير مباشر كـ بعض نصوص سعد الله ونوس، محمد الماغوط، محمد أبو معتوق، مصطفى الحلاج، جان ألكسان، ممدوح عدوان.. بالإضافة إلى نصوص للكاتب المسرحي علي عقلة عرسان الذي تناول في هذه الوقفة مسرحيته الشهيرة «فلسطينيات» التي جسّد فيها طبيعة الصراع العربي الصهيوني وكيفية تصدي الشعب الفلسطيني للغزوة الهمجية على فلسطين والعالم العربي.

فلسطينيات

تقدم المسرحية ثمانية عشر شخصية ما بين رجال ونساء، بالإضافة إلى جوقة من ست نساء مهمتها التعليق على الأحداث. تبدأ المسرحية باستعراض تاريخي على لسان جوقة النساء لوقائع القضية الفلسطينية ووضع الشعب الفلسطيني في الشتات ومخيمات اللجوء وكيف أن الأمل يتضاءل في العودة عاماً بعد آخر: «مرت الأعوام، أيقظت النيام.. عشرون عاماً والخيام على الخيام.. ومعايير الحارات والأمصار تغفو في الظلام.. ويمر عام بعد عام.. وتهب موجات فتزداد الخيام».

وبعد هذه المقدمة تبدأ أحداث المسرحية بالتسلسل، لتكون البداية مع ظهور مسعود حارس الميناء محدّراً من اقتراب الغزاة من الشواطئ وهم يحملون معهم الخراب والموت، وبذلك يزجّ الكاتب قارئه مباشرة في أتون المشكلة وصلبها: «مسعود: تغضب الأمواج من حين لآخر.. ويمجّ البحر أشكالا غريبة.. إن خلف الموج إعصاراً مخبئاً.. وحكايات مريبة.. فوقها ناس يفوح الحقد منهم.. مثل أفواج الجراد.. ما لهم لون موحد.. إنهم أعجوبة التهجين واللون المولّد.. يقصدون السهل والوادي وأحضان الجبال.. أمرهم أضحى خطيراً».

وبذا تقوم شخصية حارس الميناء مسعود بتقديم تشريح دقيق لطبيعة الغزاة وكيف أنهم ينتمون لشعوب متعددة ولا يربط بينهم رابط سوى طمعهم وهميتهم.

وبالتزامن مع تحذير حارس الميناء من خطر الغزاة يحلّل الكاتب هذه الشخصية مهمة فضح الموقف الرسمي السياسي والعسكري العربي المتهاون والمتخاذل أمام الجحافل القادمة، إذ يشير حارس الميناء إلى أن ما تطلق عليهم المسرحية تسمية «العساكر» قد تواطؤوا مع الغزاة وسهّلوا لهم مهمتهم بدل التصدي لهم: «رجل! عسكر الميناء.. حراس الشواطئ.. ما الذي قاموا به؟ حمدان: هل رأوا تلك المراكب؟

وداعاً سليمان منصور:

من مجمل المحامل إلى الشهيد

أحمد علي هلال - ناقد أدبي فلسطيني - سورية

أيا جمل المحامل، حسبه الجسد قد وهن، أما جمل المحامل مازال حارس دروب القدس وبيوتها وأشجارها العالية وأقصاها المقيم أبداً في القلوب والذاكرة. هل تذكر حينما قال لك ضابط إسرائيلي: أنه غير مسموح لكم أن ترسموا بالأحمر والأخضر والأسود والأبيض، ورفضت ما قاله لك ذلك المحتل الذي أراد طمس الهوية، وكسر العلم الفلسطيني، واقتلاع رمز الكيانية الفلسطينية، لكنك مضيت بعدما حُطرت الألوان لترسم بالطين والحناء فلسطين، ليست فلسطين المتخيلة، بل فلسطين الأبقى بقدرتها وقراها وكل حبة تراب فيها، ليمضي جمل المحامل متكباً تلك الدروب بخلّى وثقة، وعلى ظهره القدس/ المكان، رمزاً لفلسطين كلها.

أتذكر حينما قال لك ذلك الغازي الزنيم: فلترسم النساء والزهور، وقلت له: حينما نحصل على حريتنا سنرسم النساء والزهور، وأنت الذي ولدت قبل احتلال فلسطين، قبل النكبة شاهداً على فلسطين وثوراتها وانتفاضاتها وغضب أهلها، شاهداً على المنفيين في الأرض/ شعبك، لكنك وأنت ترسم وتحت وتوزع الألوان، وترهص لانتفاضة الحجارة، كنت في المكان الذي يجب أن تكون فيه، بأدواتك اللون والخط والرمز، لتشكل خندقاً مقاوماً بجدارية الفن والانتماء، لتكتمل سرديّة البقاء والدفاع الذكي عن حقيقة فلسطين التي حملتها بوصفك ضميرها الفني المؤسس لأجيال كثيرة جاءت وستجئ.

كم مزجت بطينك وحناءك من أرض فلسطين ذاتها، لتظل فلسطين هي الأبقى، ذاكرة على امتداد وتجدد.

هكذا نهضت رسوماتك لتجسد فهمك لدرس الفن الأعلى، ورؤيتك لجوهر الصراع ومآلاته، رؤيتك للقضية وتحولاتها وأنت بصيغة الجمع، لست فرداً يرسم ويقول، كانت الذاكرة الجمعية الوطنية من تؤرخ للفلسطيني الباقي على أرض منحه شرف الانتماء... حقاً سترسم الزهور، لكنها وجه آخر للحياة، وهي المزنة بعبط الشهداء وعرق الكادحين وصهيل الشهداء، وأنت المؤرخ بما وسعت أدواتك الفنية البسيطة لكنها الأعماق في حفر تلك السردية على جدارية تراجيدتنا الفلسطينية.

ففي معركة البقاء والصمود كان ائتلاف اللون والكلمة، اللوحة والرواية والشعر بأنواعه، بل الفن كله سادن معركة مفتوحة مع الغزاة، تُرى هل أدركوا تلك الأبجدية التي حملها الفلسطيني في قلبه ووعيه ولفته، وأنت تشكيل الوعي مشخصاً بجبر الأرض ودهشة التراب، وشغف اللون وجماليات الانتماء وعناوين الهوية، لتجعل فلسطين وعياً إنسانياً وعالمياً، يتخطى الحدود الضيقة ليصبح مهماز حرية سوف تكتمل.

وأنت السادن بكل عناصرك الفنية، لئن تجعل منها رموز البقاء ودفاع الذاكرة عن الذاكرة، لتبقى فلسطين حية وإن فنت الأجساد، وليبقى اللون خصوبة الأرض، والنحت جسارة الفلسطيني في افتراء أزمته.

وما زالت لوحاتك جمل المحامل في كل قلب وفي كل بيت، وعنوان قصائد الشعراء وحبكة روايات الروائيين، لتذكر العالم بأن ثمة قضية لن تموت، وثمة شاهد ظل خلف ألوانه يروي سيرة فلسطين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

وهو الذاهب في فضاءات اللون والطين، عاد إلى طينه الأول لتحلم الأرض به، ويتحد مع عروق ترابها، كأنبل حكاية على ثغر تاريخ فلسطين وحريتها، تماماً كما هي رموزك وألوانك وزخارفك من أعادت وهج العلم الوطني.

ظهره ويدير ظهره للعالم احتجاجاً على الظلم وتمسكاً بحق العودة: «لن أكبر حتى أعود إلى فلسطين».

تلك الصورة المبتكرة التي تنبأ بها الفنان الراحل وكرسها بكل ما فيها من معاني كبيرة عجزت عن شرحها الكلمات قدمت نموذجاً فريداً لسرد تاريخ القضية الفلسطينية، وأصبحت رمزاً لما يحقق بفلسطين، وللإرادة والصمود، وللطفولة الفلسطينية المشردة التي يمعن الاحتلال في قتلها مستغلاً تجاهل المجتمع الدولي لعمليات التهجير القسري، التجويع، القصف، العبث في المقدسات.. وغيرها من المجازر التي يرتكها بحق الشعب الفلسطيني.

الغائب الحاضر

يُعتبر ناجي العلي علامة فارقة في المشهد الفلسطيني: «كواحد من أعظم رسامي الكاريكاتير منذ نهاية القرن الثامن عشر» كما وصفه الاتحاد العالمي للناشري الصحف، ومازال حاضراً كأيقونة ثورية تحاكي الذاكرة الجمعية رغم مرور نحو أربعين سنة على اغتياله.

واليوم وبعد هذه السنوات الطوال على رحيله نكتشف أنه ظاهرة إبداعية لا تتكرر، فأعماله ليست زينة تُعلّق على الجدران، ولا بصمة فنية عابرة، بل أداة للمعرفة تصون التاريخ والأرض كفعل إنساني وثقافي جريء قلّ نظيره في الراهن العربي.. إنها البوصلة نحو الحقيقة والأسئلة المفتوحة على كل ما نفكر فيه ولا نجرؤ على قوله في العلن.. إنها فكرة نابضة بالحياة تحاور إنسانيتنا وحاضرنا ومستقبلنا في الصميم!!

إن الكتابة عن هذا المبدع في ذكرى رحيله ليست كتابة عن الموت بقدر ما هي كتابة عن الحقيقة التي رآها باكراً، وكان أميناً وصارماً في نقلها رافضاً لمحاولات الاحتواء والمساومة، ورسم بلا خوف أو مواربة مع علمه المسبق بأنه سيدفع الثمن: «الذي يريد أن يكتب لفلسطين، والذي يريد أن يرسم لفلسطين، عليه أن يعرف أنه ميت».

- اغتيل ناجي العلي برصاصة غادرة في لندن في 22 يوليو 1987 حين كان متوجهاً إلى مكتب جريدة القيس الدولية الكويتية لتسليم آخر إبداعاته، ودخل في غيبوبة لمدة 37 يوم حيث رحل في 29 آب عن عمر ناهز الخمسين عاماً، وأصبح الكاريكاتوريست الوحيد الذي اغتيل في العالم!

مسعود: قد رأوها.. لم يقولوا شيئاً.. سهّلوا أمر الدخول.

نواف: خطة تُملَى ومشروع يُنفَّذ.. وبعد مرحلة التلميح إلى أسّ المشكلة ومنبع التحريض (الدول الغربية) ينتقل الكاتب -على أسنة شخصيات مسرحيته- إلى مرحلة الاتهام المباشر للقوى الامبريالية بدعم الحركة الصهيونية ومشروع إقامة دولة عنصرية على أرض فلسطين:

«رجل 1: والكاتب الأبيض السامي وهاتيك الوعود؟

مسعود: كذبة كانت، وما نكت العهود بالجديد الصعب في تاريخ لندن.

رجل 1: آه من حكّام لندن.

رجال: آه من كذب السياسة».

ويصور الكاتب كيفية التغلغل الصهيوني الاستيطاني في أرض فلسطين وكيف انتقل الغزاة من مناطق الساحل الفلسطينيّ إلى الداخل، ناقلين معهم أطماعهم وأحقادهم: «مسعود: والجماعات التي حلت بحيفا غادرت حيفا إلى قلب البلاد.

نواف: هذه حال الجماعات العديدة.. كل يوم ترسو في حيفا المراكب.

مسعود: زحف غاصب في شرايين البلاد».

وفي خضم تواتر أحداث المسرحية وتجسيد طبيعة الخطر الصهيوني لا ينسى الكاتب الإشارة إلى نفر قليل ممن تسري الخيانة في دمائهم فلا يتورعون عن التقليل من حجم الخطر الداهم وتصويره وكأنه سحابة عابرة لا تلبث أن تنتشع، وبذلك يشكّلون مصدر مؤازرة للغاصبين من حيث يدرون أو لا يدرون، ويجسّد الكاتب هذا النمط من السلوك الشاذ من خلال شخصية حماد الذي يتعامل باستهتارٍ مع الأنباء المتواترة عن خطر الغزاة الداهم:

«حماد: بضع آلاف وما منهم خطورة. نواف: أعلنوا أطماعهم والكل يعرف.. إن سكتنا سوف نخسر.. سوف نندم. حماد: ما الذي تخشاه؟ دعنا من جنونك».

ويربط الكاتب بين موقف حماد المتواطئ كممثل لفئة شاذة من الشعب وموقف قوى السلطة العربية السياسية

والعسكرية، رابطاً -على لسان مسعود- بين الجانبين: «مسعود: نفس أقوال العساكر.. صانع الأقوال واحد».

المخيمات الفلسطينية

في القسم الثاني من المسرحية ينتقل الكاتب مع قرائه بضع سنوات إلى الأمام، مصوراً أجواء وظروف المخيمات الفلسطينية في الدول العربية المجاورة من خلال شخصيتين تظهران في المخيم هما نعمان ووالدته سلمى وهما من سكان المخيمات:

«سلمى: هذه الخيمة يا نعمان خيمة منفية.. مشلوحة في الريح.

نعمان: كل يوم تسبح الخيمة في بحر الدموع».

ويؤكد الكاتب على أن واحدة من أوائل كوارث الشعب الفلسطيني خروجه من أرضه بناء على نصيحة حكام عرب ووعودهم بعودة الناس إلى بيوتهم خلال أيام معدودات:

«سلمى: صارت الأيام أعواماً وما زلنا هنا.. نقلونا بين خيمات وخيمات آخر.. واستقر الأمر في هذا المخيم».

وبالعودة إلى شخصية حماد المتواطئ مع الغزاة في القسم الأول من المسرحية يتابع الكاتب رسم مسار الشخصية في القسم الثاني عندما ينقله مع بقية الشخصيات إلى المخيم بما ينسجم مع المعطيات التي قدمها الكاتب للشخصية في القسم الأول عندما يجعله ينتقل من متواطئ مع الغزاة إلى تاجر يتاجر بأوجاع الناس وحاجتهم إلى لقمة الطعام:

«حماد: ليس ذنبي أنكم تحت الخيام. النساء: باعنا التجار للتجار.. ضعنا واشترونا، ثم باعنا المناصب.. ضاق الرصيف بنا.. من ذا يؤازرنا؟ من ذا يواسينا؟ نحن الحيارى على طرف الخيام.. همّ يؤرقنا.. جرح يدمينا».

ولا يكتفي الجوع بالنيل من سكان المخيم، فما هو البرد أيضاً يتعاطف مع الجوع مهاجماً الجميع دون استثناء ودون وجود من يدفع لهم بحمل حطب أو شعلة نار:

«حسان: يا حارس الليل، بنا برد. الحارس: لا أحرس البرد.. إني أحرس

الأمّن.

حسان: من يحرس الناس إن جاعوا وإن بردوا؟

الحارس: هل مخزن القش في جيبي وأمنعه؟».

وبطبيعة الحال لا يقتصر مفهوم البرد في المسرحية على المعنى المباشر والماديّ له بل يمتد هذا المفهوم ليشمل البرد بمعانيه غير المباشرة كالإحساس بالحرية في دنيا التشرد والضياغ:

«النساء: برد فوق رصيف الشارع.. برد فوق رؤوس القتلى.. برد يُضني.. قلبي كتلة شوق.. قد جمّدها البرد.. برد في صحراء المنفى.. برد جمّد قلب اللاجئ.. برد جمّد عطف الدنيا».

وتمر سنة وراء سنة ويبقى اللاجئون رهائن التشرد والفقر والجوع كنتيجة طبيعية للتأمر عليهم من قبل أبناء جلدتهم من تجار المال والأوطان قبل غزو الغازي وغدر العدو:

«نعمان: في ظلام الخيمة الصفراء نحيا من سنين.. مثل أوراق بلا جذر وساق.. قد نُزِعنا من أراضينا وجعنا.. لم يَجع تجارنا أو مترفونا.

حسان: إنهم تجار الشعوب».

وفي أرض اللجوء يتعرض الفلسطينيون للعديد من الإغراءات والضغطات كي يتخلّى عن فكرة العودة إلى الوطن ويتخذ من أرض (الشقيق) وطناً جديداً له، لكن الفلسطينيين الحقيقيّ المحبّ لوطنه والمتمسك بأرض أجداده يرفض الفكرة جملة وتفصيلاً:

«نعمان: أرضنا خلف امتداد الشوك والأحزان تركع.. أرضنا مرج ابن عامر». وفي مقابل هذا الموقف يبرز موقف مناقض يمهد للقبول بفكرة الوطن البديل مؤقتاً والاستعداد لمعركة العودة والتحرير: «نزال: لكننا في أرض نستطيع العيش فيها والإعداد».

وما بين هذا الرأي وذاك يختم علي عقله عرسان مسرحيته «فلسطينيات» بالتأكيد على مفهوم الشهادة كمفهوم وحيد لاستعادة الحق:

«الجميع: بطل الثورة.. بطل الثار.. مشعال الأرض المغصوبة.. روى السهل الظامئ دمه».

حاتم قاسم:

حين تصير الأم وطناً والوطن أماً

وفاء حميد - صحيفة فلسطينية - سورية

هاجر من قريته القديرية قضاء صفد إلى الشتات، وترك قلبه فيها. وكان بالشعر يزورها كل يوم، ويهديها أجمل القصائد. لم يكتف بحب قريته وحدها، بل تعداه إلى كل فلسطين، إلى الأرض التي احتضنته وروته من نبعها الدافق. فكان الابن البار الذي ما فارق وطنه إلا وفؤاده معلق به، وما غادره إلا وجذوره ضاربة في أعماقه. فصنع من مهجره عنواناً لفلسطين، وفي كل مكان حلت به رحاله، حمل همومها وقضاياها، ونثر حروفها على دروب الغربية.

كما مزج في شعره بين حب الوطن وحب الأمة، فكلاهما وطن يعبر فيهما عن حنينه، وبينهما كان معنى الألم والفقد الذي لا ينسى.

حاتم قاسم شاعر وقاص وناقد وصحافي فلسطيني

- عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

- عضو تجمع كتاب القصة القصيرة

- عضو اتحاد كتاب الانترنت العرب

- نشر العديد من قصائده في الصحف العربية (الأسبوع الأدبي - صدى الجنوب

- السفير العربي - الجولان الثقافي - قورينا - فوانيس - البيارق - والعديد من الصحف الفلسطينية)

- كتب العديد من الأغنيات لفرقتي الشروق الفلسطينية وفرقة اتحاد العمال بدرعا.

- من أهم إصداراته: مجموعتان شعريتان (سهيل الغيوم - زهرة القرنفل)

- وله في مجال القصة القصيرة (عصافير الثورة)

- كتاب دراسات نقدية في الأدب النسوي المعاصر، كتاب مشترك مع الأستاذ حسين علي الهنداوي، كان لنا معه هذا اللقاء المفيد:

أتقن الشعر في سن مبكرة، يوم أرى العالم بعين مختلفة، وألتقط من التفاصيل الصغيرة ما لا يراه الآخرون. منذ طفولته كان للكلمة في داخله مكان خاص، وكان يشعر أنه يمتلك لغة أخرى للحياة، لغة لا تقال دائماً، وإنما تُحسّ وتُعاش.

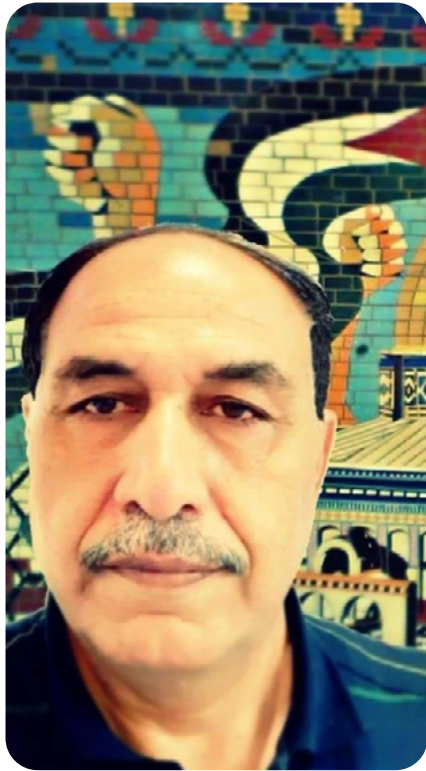
ولا يعتقد أن إتقان الأدوات يعني بالضرورة نضج الشاعر. فهو يرى أن الشاعر قد يتعلم الوزن والقافية والصورة، لكنه يحتاج إلى سنوات من التجربة والحب والفقد والانتظار والخذلان كي يتعلم كيف يجعل القصيدة جزءاً من روحه، لا مجرد كلمات جميلة على الورق.

وعندما نضج الشاعر في داخله، هو يرى أنه حدث تدريجياً، مع اتساع رؤيته للحياة، ومع كل وجع علّمه شيئاً، وكل فرح ترك في روحه نافذة، وكل غياب جعله أكثر إصغاءً لصوته الداخلي. نضج الشاعر عنده حين لم تعد القصيدة وسيلة ليقول: (انظروا إليّ)، بل أصبح حاجة يقولها من خلالها: (انظروا إلى ما يحدث للإنسان).

لقد تعلّم مع الوقت أن الشعر ليس براعة في انتقاء المفردات، وإنما قدرة على تحويل التجربة الإنسانية إلى معنى، والوجع إلى جمال، والذاكرة إلى وطن، والصمت إلى لغة.

فقد اكتشف أن القصيدة ما زالت تحبّ له طريقاً آخر، وأن أجمل ما في الشعر هو تلك المسافة التي لم نصل إليها تماماً، وإنما نظل نمشي نحوها. وكانت أول قصيدة تنشر له ورقياً آنذاك في مقتبل العمر في الصف التاسع بعنوان العودة.

وقد تجلّت الأم والوطن في تجربته الشعرية إذ لم يكونا موضوعين منفصلين، بل كانا وجهين لحنين واحد، وجذرين لمعنى واحد اسمه الانتماء. فالأم هي الوطن الأول الذي يولد فيه الإنسان، والوطن هو الأم التي تتسع لتحضن ذاكرته وطفولته وأحلامه ووجعه، حين كتب عن الأم، كان يكتب عن اليد التي منحتة الأمان الأول، وعن البيت الذي تشكلت فيه ملامح الروح، وعن الحنان الذي لا يحتاج إلى لغة كي



يُفهم. وحين كتب عن الوطن، كان يستعيد ذلك الشعور ذاته، لكن في فضاء أوسع؛ فالوطن بالنسبة له ليس جغرافيا فحسب، بل ذاكرة وملامح وبيوت وطرقات ووجوه، وفي مقدمتها وجه الأم. لذلك تداخلت صورة الأم في شعره مع صورة الوطن حتى بدا أحياناً أنه لا يستطيع الفصل بينهما. كلاهما يمنحه معنى الجذور، وكلاهما يسكن في الذاكرة حتى حين يبتعد عنه، وكلاهما يصبح أكثر حضوراً كلما اشتد الغياب.

ويرى أن الغربية هي التي كشفت له عمق هذه الثنائية؛ فالإنسان لا يعرف مقدار التصاقه بالأشياء إلا حين يفقد قربها. عندها تصبح رائحة الخبز، وعتبة البيت، وصوت الأم، وشجرة في الطريق، وحجر من تراب القرية، تفاصيل صغيرة تحمل وطناً كاملاً.

لهذا لم تكن الأم في شعره مجرد شخصية عاطفية، ولم يكن الوطن مجرد قضية أو شعار كلاهما تحوّل إلى حالة وجدانية. فيقول: «الأم هي الوطن حين يتجسد في قلبه والوطن هو الأم حين تتسع صورتها حتى تشمل الأرض والذاكرة والناس».

ومن هنا جاءت ثنائية الأم والوطن في تجربتي بوصفها ثنائية الحضور والغياب، الجذر والمنفى، الذاكرة والحنين؛ وهي في جوهرها محاولة شعرية لاستعادة المكان الأول الذي بدأ منه الإنسان، واستعادة

فيا ذكرى رحيليهما: محمود درويش وسميح القاسم شطرًا البرتقالة الفلسطينية

أمينة عباس - صحيفة سورية



حساسية «شيلي» وعنفوان «بايرون»

ينتمي الشاعران إلى جيل واحد حيث ولد سميح القاسم عام 1939، بينما ولد محمود درويش عام 1941 وكان كلاهما من الجليل في فلسطين، تشاركاً في طفولتهما ألم كارثة نكبة 1948، وتشكلت العلاقة الأدبية والسياسية الوثيقة بينهما في فترة الشباب، وكان أول لقاء بينهما حسب القاسم حين قام درويش بزيارته في الرامة، مع مجموعة من الطلاب ليتعرفوا عليه بعد إصداره الديوان الأول «مواكب الشمس» وكان عمره حينها ثماني عشرة سنة. ويذكر القاسم أنهم ناموا عنده، وحينها قال لدرويش: «أنت يا شاب لديك حساسية الشاعر الإنكليزي شيلي»، فرد عليه درويش: «وأنت عندك عنفوان بايرون». وهكذا استمرت علاقتهما التي وصفها درويش: «صداقتنا أقوى من الحب»، وهي العلاقة التي جعلت الكاتب محمد علي طه يطلق عليهما تسمية «شطرًا البرتقالة الفلسطينية»، التي كرسها الروائي إميل حبيبي في مقدمته لكتاب «الرسائل» التي جمع فيها رسائلهما المتبادلة بينهما (من أيار 1986 إلى أيار 1988)، وأسماء «الرسائل - محمود درويش وسميح القاسم» الصادر عن دار العودة في بيروت عام 1990، وقد وصفها في مقدمته بأنها الرسائل المتبادلة بين شطري البرتقالة الفلسطينية محمود درويش وسميح القاسم، مشيراً إلى أن هذه الرسائل تستحق الاسم الذي أطلقه عليها الكاتب محمد علي طه «رسائل بين شطري

يعد الشاعران محمود درويش وسميح القاسم من أهم الشعراء الفلسطينيين في العصر الحديث، والاثنان ارتبط اسماهما بشعر الثورة والمقاومة، وتصادف ذكرى رحيلهما في شهر آب، حيث سبق محمود درويش سميح القاسم بالموت في التاسع من هذا الشهر عام 2008 في حين رحل سميح القاسم في 19 من آب عام 2014 وقد عُدّت صداقتهما واحدة من أبرز العلاقات الإنسانية والأدبية في الشعر العربي الحديث، وكانت نموذجاً فريداً للشراكة الوطنية والإبداعية، فشكلا معا صورة كاملة للشعر الفلسطيني المقاوم رغم اختلاف أساليبيهما التي كانت مصدراً للإثراء المتبادل واستمرار الحوار بينهما إذ ظل القاسم يتحدث عن هذه الصداقة والعلاقة المشتركة بينهما حتى وفاته في 2014، مؤكداً في أحد حواراته أنها علاقة أقوى من الشعر بكثير، وهي ظاهرة إنسانية فريدة في الأدب العربي على الأقل، ومزيج من الحالة الإنسانية.. من هنا، وصفت الأوساط الثقافية هذه العلاقة التي لم تكن علاقة عابرة بالحب الأخوي، بعيداً عن شعور الغيرة، في حين قال عنها سميح القاسم: «صديقان في الأرض والشعب والعمر والشعر، عشنا معاً، مثل عائلة واحدة، كنا نختلف على صفحات الصحف، ويعتقد البعض أن دماً سيسيل بيننا. وما إن نلتقي نعانق بعضنا.. لم يكن أحد يستطيع أن يتدخل في علاقتنا.. كان درويش يقرأ لي ما يكتب، وكنت أقرأ له ما أكتب. ونظهر بالمهرجانات معاً، وقد نكون أكثر شاعرين في العالم قرأ معاً. أشك أنه في مكان ما في العالم قرأ شاعران معاً مثلما قرأنا أنا ومحمود درويش».

النص وإنما قدرته على أن يكون نصاً حياً وصادقاً ومختلفاً. فقصيدة عظيمة قد تغير شيئاً في وجدان قارئ، كما يمكن لرواية عظيمة أن تعيد تشكيل نظرته إلى العالم. وفي النهاية، المتلقي لا يبحث عن (الجنس الأدبي)، بقدر ما يبحث عن نص يلامسه، ويترك في داخله سؤالاً أو دهشة أو أثراً لا يزول. ويقول عن التناص في الشعر، في رأيه، ليس بالضرورة دليلاً على التأثير المباشر، ولا يعني أن الشاعر يعيد إنتاج ما قرأه، وإنما هو جزء من حركة النص داخل الذاكرة الأدبية والثقافية. فالشاعر يكتب من حصيلة قراءاته وتجربته وذكرياته، وقد تتقاطع نصوصه، من حيث لا يقصد أحياناً مع نصوص سبقته في الصورة أو الرمز أو الإيقاع أو حتى في بعض المفردات. وفي ديوانه (شال الحنين) حضرت بعض هذه التقاطعات بوصفها حواراً مع نصوص وتجارب شعرية سابقة، لا بوصفها محاكاة لها. ويعتقد أن الفرق كبير بين التأثير الذي يتحول إلى تقليد، والتأثير الذي يتحول إلى إضافة، فالأول يبقى النص في ظل النص السابق، أما الثاني فيأخذ من الذاكرة ليصنع صوتاً جديداً. أما قصيدة (يا طارق الباب) تحديداً، فهي مثال على هذا النوع من الحوار الشعري، فالباب فيها ليس مجرد مفردة أو صورة عابرة، وإنما يتحول إلى رمز للانتظار والحنين والبحث عن جهة يمكن للروح أن تعود إليها. ومن هنا قد تلتقي القصيدة مع تراث طويل من النصوص التي استحضرت الباب والطرق والعتبة بوصفها رموزاً للوصل والفراق والرجاء، لكن حضورها في القصيدة يأخذ دلالاته من تجربتي الخاصة ومن السياق الذي ولدت فيه. وهو لا يخشى من وجود أثر سابق في النص، فالشاعر لا يولد في فراغ، وإنما يولد داخل مكتبة وذاكرة وتراث وتجارب إنسانية متراكمة. المهم ألا يظل أسير ما قرأ، بل أن يحوّل ما يقرأ إلى مادة جديدة داخل تجربته، حتى يصبح التأثير بدايةً للتجاوز لا نهايةً عند حدود التقليد. ويرى أن أجمل ما في التناص أنه يجعل القصيدة نصاً مفتوحاً على نصوص أخرى، وحواراً مستمراً بين ذاكرة الشاعر وذاكرة الشعر. لذلك يتعامل معه بوصفه تفاعلاً إبداعياً لا استنساخاً، وحواراً مع الموروث لا ارتهاناً له.

علي الهداوي هي في الأساس صداقة أدبية نشأت من مساحة مشتركة من المحبة للشعر والثقافة، وتعمّقت عبر الحوار حول النصوص والقضايا الإبداعية. وقد كان العمل والاحتكاك في الوسط الثقافي فرصة لأن يكتشفا في بعضهما ليس فقط شاعراً، وإنما قارئاً مختلفاً وصاحب رؤية تستحق الحوار. وشريكاً حقيقياً في الهم الإبداعي. وأما فكرة الكتاب النقدي المشترك، فلم تولد بقرار مفاجئ، وإنما نضجت عبر نقاشات طويلة حول الشعر والنصوص وتجارب الشعراء، وحول أسئلة النقد التي كثيراً ما كانت تستوقفنا. ووجدنا أن اختلاف زاويتي النظر يمكن أن يكون مصدر قوة، لا سبباً للاختلاف، فالنقد في جوهره حوار، وحين تتعدد الأصوات حول النص تتسع دائرته وتغدو القراءة أكثر ثراءً. وقد اتفقا على أن يؤلفا الكتاب بروح التكامل لا بروح المنافسة؛ فلكل منهما رؤيته وأدواته، لكن بين الرؤيتين مساحة واسعة من التفاهم. وينظر الشاعر حاتم إلى الأجناس الإبداعية اليوم بوصفها مساحات متجاورة لا ميادين متنافسة، فالشعر والقصة والرواية والمسرح وسائر أشكال الكتابة الإبداعية لكل منها أدواتها وطرائقها. وما يشهده من تداخل بين الأجناس ليس بالضرورة فوضى، بل قد يكون تعبيراً عن تحولات الذائقة الأدبية وحاجة المبدع إلى البحث عن الشكل الأكثر قدرة على احتواء تجربته. أما القول إن السرديات قد طغت على الشعر، فيراها توصيفاً يحتاج إلى شيء من التروي. صحيح أن الرواية والقصة حظيتا بحضور واسع في المشهد الثقافي والإعلامي، وربما فرضت الرواية نفسها بصورة أكبر على سوق النشر والجوائز، لكن الشعر لم يفقد موقعه، لأنه ليس مجرد جنس أدبي ينافس غيره، بل هو طريقة مختلفة في رؤية العالم وتكثيف التجربة الإنسانية. وبالنسبة له، لا يعتقد أن هناك جنساً إبداعياً يمكن أن تمنحه صفة (الأكثر تأثيراً) على نحو مطلق. الرواية تستطيع أن تمنح المتلقي زمناً طويلاً للعيش داخل الشخصيات والأحداث، والقصة تستطيع أن تصدمه بلحظة مكثفة، بينما يستطيع الشعر أن يقول الكثير بأقل قدر من اللغة، وأن يصل أحياناً إلى منطقة وجدانية لا تستطيع السرديات بلوغها بالطريقة نفسها. المعيار الحقيقي، في رأيه، ليس جنس

الذات التي لا تكتمل إلا بانتمائها إلى أمّ ووطن». وهو لا يقف ضد قصيدة النثر، بل ضد الكتابة التي تتكئ على غياب الوزن والقافية لتبرر غياب الشعر. فقصيدة النثر، في رأيه، تحتاج إلى شاعر يمتلك لغةً كثيفة، وصورةً مبتكرة، وإيقاعاً داخلياً، ورؤيةً قادرة على بناء عالمها، لا إلى مجرد تقطيع الجمل على هيئة أسطر شعرية. ويرى أن المشكلة تبدأ حين يصبح الشكل غاية، وحين يُعتقد أن كسر السطر الشعري هو كسرٌ للقصيدة، وأن الغموض العابر هو عمق، وأن تراكم المفردات هو شعر. فالشعر العربي ظل عبر تاريخه قادراً على التجدد، من القصيدة العمودية إلى التفعيلة وصولاً إلى قصيدة النثر. لذلك أتعامل مع قصيدة النثر بوصفها مشروعاً شعرياً له شروطه وجمالياته، لا بوصفها نصاً نثرياً جرى توزيع أسطره بطريقة مختلفة. فإذا امتلكت القصيدة نَفْسَهَا، وموسيقاها الداخلية، وتوهج صورتها، ووحدة رؤيتها، فهي شعر، مهما كان شكلها. وإذا افتقدت ذلك، فلن ينقذها لا وزنٌ ولا قافية ولا كثرةٌ في المجازات، فالشعر عنده ليس أن نسأل: في أي شكل كُتبت القصيدة؟ بل أن نسأل: ماذا فعلت بنا القصيدة حين قرأناها؟ كما يرى أن التنوع هو أمر طبيعي في كل تجربة شعرية، وهو ليس تعريباً عابراً بقدر ما هو استجابة طبيعية لحاجة القصيدة إلى شكلها الذي يليق بها. فالشاعر الحقيقي لا ينبغي أن يكون أسير قالب واحد، بل عليه أن يترك للنص أن يختار موسيقاه وبنيته ولغته. وهنا يكتب الشاعر حاتم، القصيدة العمودية حين يشعر أن المعنى يحتاج إلى صرامة الوزن وإيقاعه، ويميل إلى قصيدة التفعيلة أو الشعر النثري حين يجد أن التجربة تتطلب مساحةً أوسع للحركة والانزياح والصورة. لذلك لا يتعامل مع الكلاسيكية والحداثة بوصفهما نقيضين، بل يراهما مسارين يمكن أن يلتقيا في جوهر واحد: هو الشعر. أما التجريب، فهو بالنسبة له وسيلة لا غاية؛ قيمته أن يضيف إلى التجربة لا أن يتحول إلى استعراض شكلي، وما يهمه هو أن تظل القصيدة صادقة مع إحساسها، ممتلئة لغتها وموسيقاها، وقادرة على أن تترك أثراً في المتلقي، سواء جاءت في ثوب القصيدة العمودية أو التفعيلة أو قصيدة النثر. ويقول إن علاقته بالأستاذ الشاعر حسين

البرتقالة»:» لأن صاحبها يشكلان حقاً شطري، أو شقي البرتقالة الفلسطينية» ، موجهاً حبيبي في مقدمته اللوم على نفسه لأنه لم ينتبه إلى روعة هذه الرسائل التي انشغل عنها بسبب انتفاضة شعبه: «والآن وقد هطلت الحجارة على هذه الصحراء فاستصلحتها فأثمرت تيناً وزيتوناً، أرى أن هذه الرسائل لم تكن مجرد قطرات دمع من عيون بخيلة بالدمع، بل مشي حجلان كبيرة تسير وراءها أفرأخا قاطعة، بأمان، عرض شارع معبد بالزفت والقطران. أراهما ضجة العصفير شعراً، في سيفونية فجائية تبشر بمقدم الربيع إلى بلداننا».

ويا أخاً لم تلده أُمي

بينت رسائل درويش والقاسم عمق العلاقة القوية بينهما، وعبرا من خلالها وهي التي اقتربت من أربعين رسالة عن مشاعرهما وأفكارهما ومواقفهما. وقد كان عتاب سميح القاسم لمحمود درويش بعد مغادرته فلسطين عام 1970 هو الموقد الذي أشعل حمى هذه الرسائل، حين كتب درويش للقاسم مبتدئاً سيل الرسائل بينهما: «ما معنى أن يتبادل شاعران الرسائل؟ لقد اتفقنا على هذه الفكرة المغرية منذ أسبوعين في استوكهولم الباردة، وها أنذا أعترف بتقصيري لأنني محروم من متعة التخطيط لمدة سبعة أيام قادمة، فأنا مخلوف دائماً إلى لا مكان آخر.. الآن أشمر عن عواظي وأبدأ، لا أعرف من أين أبدأ عملية النظر إلى مرآتنا المشتركة ولكنني سأبدأ لأنضبط، ولأورطك في انضباط صارم..» فيرد القاسم قائلاً: «لقد أحزنني رحيلك أكثر مما أغضبني، كان في رحيلك قسط من الأنانية بقدر ما كان قسط مماثل من الأنانية في سخطي عليك، «قلبي يثور ويزبد / وعلى الحنين يعربد». أننا منذ بداياتنا كنا مكرسين للتماثل والتناقض في آن، التماثل في الوجدان، والتناقض في شكل التعبير عن الوجدان..» واختصر درويش في رسائله الأولى للقاسم طبيعة هذه العلاقة حين كتب قائلاً: «كان كل واحد منا شاهداً على ميلاد الآخر»، طالباً من القاسم في رسالة أخرى أن يكون الجسر الذي يربطه بوطنه: «فكن أنت جسري الصلب، وقدم لجدل الداخل والخارج، عافية التواصل.. عضني عن غياب لأفرح: مادمت هناك أنا هناك». في حين أكد القاسم لدرويش في إحدى رسائله عمق صداقتهما ووحدة الوجود بينهما: «يخيل لي أن الواحد منا يكتب لنفسه حين يكتب

لصديقه، ويكتب عن أخيه حين يكتب عن نفسه، حتى ليختلط الأمر: من المرسل؟ من المرسل إليه؟» ليرد درويش في إحدى رسائله: «سنكتب، لا شيء يثبت أنني أحبك غير الكتابة. أعانق فيك الذين أحبوا ولم يفصحوا بعد عن حبه، أعانق فيك تفاصيل عمر توقف في لحظة لا تشيخ، سنكتب، لا شيء يثبت أن الزمان طويل اللسان سوى الكلمات، سنكتب من غير قافية أو وطن، لأن الكتابة تثبت أنني أحبك، وأن لأمي حقاً بقلبك، وأن يديك يداي، وقلبي قلبك! أسميك نرجسة حول قلبي، لو كان قلبي معك، وأودعته خشب السنديان لكنت قطعت الطريق بموت أقل.. ويا أخاً لم تلده أُمي..!»

تغريبتهما

تجاوز درويش والقاسم في رسائلهما المتبادلة حدود الحديث عن صداقتهما، وتناولوا فيها الهم الوطني والقضية الفلسطينية، وها هو القاسم في إحدى رسائله يهدي درويش قصيدة حملت عنوان «التغريبة»:

قطعنا بلاداً وراء بلاد

يفرقنا العالم العربي

ويجمعنا العالم الأجنبي

ونبقى أجانِب في العالمين!

ألقي بهمي على صدر همك

ونبكي ونضحك

في غربتين...

أسأَلني كيف حالي

وأنت جواب السؤال

نحن رفيقان

خصماً وإلفاً

يؤرخنا الحب والموت

في دفتر الأرض

تغريبة للمهاجر

وتغريبة للوطن

ونفضي بأسرارنا للقباب

وننقش أحزاننا في القناطر

ونطلق من جرحنا عندليباً

يزلزل صمت الزمن

ونعجن بالدمع

خبز المجازر

أتذكر أيام جعنا

معاً

وشبعنا

معاً

ثم جعنا

معاً

وعشقنا

معاً

ثم ضعنا؟

فماذا عساني أفعل وحدي

وماذا ستفعل وحدك

وقد صار لحدي مهدي

ومهدك لحذك

ونحن شقيقان

حلماً وسخفاً

وتعرف قلبي

وتعرف حزني

ووردة حبي

وخيبة ظني

وتبصر بيتك في وهج صوتي

وأسمع صوتك

كما تناول الشاعران في رسائلهما قضايا عميقة كقضايا الكتابة والنقد فيقول درويش للقاسم في إحدى هذه الرسائل: «قلت لي إنك تخاف كتابة النثر. لماذا تخاف؟ يبدو لي، يا عزيزي، أن النثر هو ديوان هذا العصر، وماذا لو سرق النثر شيئاً من الشعر. أليس النصّ نصّك؟ لا أظن النثر هو استراحة الشاعر، أو فضيحته كما يقولون. فقد تتحقق الشعرية في النثر أكثر من تحققها في القصيدة المشروطة بشكل قد يكبح جماح الجنون، هناك دائماً فائض شعري ينبجس من مكان آخر. المهم هو ألا نؤجل هذا الانبجاس، فليس من الصواب أن ندخر الشعر إلى أن تأتي قصيدته التي قد لا تأتي.. إياك، يا عزيزي، أن تغربل النثر لتفصل ما يصلح منه للقصيدة القادمة، فالشعر لا يسقط في النثر، بل يولد معه، ضع نفسك في الريح والجنون، فليس في وسع الشاعر إلا أن يكون شاعراً»، وعندما بلغ الشاعر سميح القاسم الستين في عمره كتب محمود درويش له: «بقيت أكثرنا فتوة، فتى في الستين، أو طفلاً في الستين. ولكن قل لي: متى غافلت نفسك وغافلتنا وبلغت الستين؟ وهل يكبر الشعراء الذين لا مهنة لهم إلا تجديد شباب اللغة، وفتوة الأمل، وصيانة الروح من الصداً والملل؟» كما أرسل له رسالة تعزية حين تلقى خبر وفاة والدته، جاء فيها: «أمك، أم قاسم، أمنا المشتركة، تنام أخيراً على متر من وطن، كيف أواسيك وأنت على مقربة من ثراها؟ خذ قصفة حبى واذهب إليها، وقبل ثوبها الترابي باسمي، كلمتها منذ شهر ولم تقل لي بأنها ستغادر ذلك البيت القديم، كلمتها ولم تخبرني بأنها ستذهب بهذه السخرية العبثية إلى النهاية».

خذني معك

حينما رحل محمود درويش عام 2008، قال سميح القاسم في كلمة له خلال مراسم التوديع، إنه كان لجثمان درويش أن يطلب الراحة الأبدية في مقبرة البروة الجليّة:» لكن المستوطنين يصرون على تحويل مقبرة أجداده إلى حظيرة لمواشيهم. إنهم ينتقمون لأسلحتهم عن مواجهة قصيدتك». وأضاف: «ولأنك مسكون بالحنين إلى خبز أمك وقهوة أمك، فإنهم مسكونون بهاجس العبثية والزوال، ولأنك مفعم بحب شجرة الخروب التي على الطريق بين البروة وعكا، فإنهم ملغمون بالكراهية وشهوة التدمير والتدمير الذاتي، لأنهم لا يحبون الحياة والسلام بقدر ما تحب أشجار الخروب والسنديان في وطنك.. لنا أن نعتز بالانتماء إلى شعب لا يتقاسم أرغفة الحصار فحسب، بل يتقاسم قبور الشهداء والشعراء» كما رثاه بقصيدة مؤثرة ومعبرة تحمل عنوان «خذني معك»، قال فيها:

تخلّيت عن وزر حزني

ووزر حياتي

وحملتني وزر موتك،

أنت تركت الحصان وحيداً.. لماذا؟

وأثرت صهوة موتك أفقاً،

وأثرت حزني ملاذاً

أجبنّي، أجبنّي.. لماذا؟

وأنت رحلت. رحلت.

ولم أبق كالسيف فرداً. وما أنا سيف ولا سنبله

ولا وردة في يميني.. ولا قنبله

لأنني قدمت إلى الأرض قبلك،

صرت بما قدر الله. صرت

أنا أول الأسئلة

إذن.. فلنكن خاتم الأسئلة

إذا أنت مرتحل عن ديار الأحبة

في زورق للنجاة، على سطح بحر

أسميه يا صاحبي أدمعك

ولولا اعتصامي بحبل من الله يدنو سريعاً. ولكن ببطء..

لكنت زجرتك: خذني معك

وفي عام 2009، أصدر سميح القاسم كتابه «مكالمة شخصية جداً» تناول فيه ذكرياته مع محمود درويش، والمكالمة الأخيرة التي أجراها درويش مع القاسم قبل السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإجراء العملية الجراحية التي أدت إلى وفاته، كما تضمن الكتاب الكلمة التأبينية التي ألهاها يوم دفن درويش في رام الله، والقصائد التي كتبها له .

النشيد الذي منع من التصفيق

يحيي سعيد الواضح - شاعر فلسطيني - السويد

قالوا هذا وطن كامل الأوصاف
فصدقت الخرائط
ثم اكتشفت أن الخرائط لا تصاب
بالخجل
وطن إذا ضحك الحاكم فيه بكت
الشوارع
من فرط التصفيق
وطن يعلق الشمس على صدر البيان
ثم يطفئها حين يحين موعد الكهرباء
حتى تكاد تنافس السماء
ويضيق فيه الرصيف عن ظل شاعر
وطن يوزع الأوسمة على الذين أتقنوا
الصمت
ويحاكم الكلمات بتهمة رفع الراس
فيه يصبح الكذب لغة رسمية
والصدق لهجة مهددة بالانقراض
كل شيء في مكانه الصحيح
اللس فوق المنصة
والقاضي ينتظر إذناً ليحكم
بالعدالة
والعدالة تنتظر وطناً تعرف عنوانه
يا أيها الوطن يا كامل الأوصاف
كم أتعبت النعوت
فكلما أضفت إليك صفة
حذفت منها المعنى
وتركت لي القاموس يبكي على
حروفه



وطن يتقن صناعة النشيد
ولا يجيد الإصغاء إلى حنجرة أم
تعد أبناءها كما يعد الفلاح سنابل

أمريكا: لعبة الأفق.. لعبة الثقوب

عبد النور الهنداوي - شاعر من سورية



يا أمريكا...

يا آ آ نعشنا الجميل !

إنه الآخر الذي مَنَحْنَا نكهة الدم، وبكل هذه الفظاظة والسخرية، يحق له أن يقول: هؤلاء العرب الذين يمزجون الفلسفة بحليب البقر، يحدثونك عن ماضيهم الغابر، وعيونهم تلاحق الذباب الذي يحمل فوق ظهره قِطْعاً فذّة وطازجة من الدم الساخن .

قد يكون العربي وقد تحوّل إلى تمثال من الهواء، بسبب أنه لا يفرّق بين الصرخة والهواء.. في حين الآخر «هو» الذي علمنا كيف تكون الصلاة !

لا بأس أن يقتنع الأمريكي أنه جاء من خطيئة أخرى، وبذل أن يموت العالم، حافظ على بقاء العالم .

صحيح أن الأمريكي حسب فلسفته أنه يشبه الطيف، وإنه يشق تحطيم الألم، والشك، والحيرة، والتّيه، وأيضاً المجهول.. وهذه المفردات تتردّد أمام بُعد الأزل، وأكثر من ذلك يقول: إنني أنا الحلّ، لأن نوع الرخام الذي يستعمله لدى الشعوب هو تحطيم الأمل «ولولا أمريكا» لأكل العالم العالم !

هنا في بلاد العرب، الأمكنة تحاول إقناع سكانها أن قبورهم لن تنتقل معهم إلى العالم الآخر، فثمّة خلاص شاعري يقول: ما الجدوى من المكان وأرواحنا ستصل محطّمة إلى هناك .

أقول لأمريكا: بالتأكيد أيتها السيدة العظيمة المبجلة.. إن العرب الذين هم أهلي، لهم أرواح، وإن الشمس تدخل إلى نوافذنا وتقول أنا لست يوم القيامة !

هل نحاول أن نترك الأمكنة شاغرة لنشعر أن ثمة عيوناً لنا في الفراغ، وأخرى من الطين؛

المساحة لا متناهية كي نتأمّل، ولكن

إلى ماذا يفضي الأمل، حين يكون الأطفال في غرّة يشبهون العذراء، والسيدة العذراء نفسها معذّبة مثلهم؟ ويجب على اليهودي أن لا ينتهي على المائدة، لأنه من الصعب بل من المستحيل إعادة تشكيله بعيداً عن نار الآلهة .

إنها سيّرة - يوشع بن نون- التي تعني: أن اليهودي هو الذي يحطّم الأجزاء الإضافية من الحياة، ليعيد صياغة الحياة تبعاً لمعايير الأنبياء الجدد، مع تكثيف الشخصية الفلسفية لليهودي الذي أعطي تلقائياً صلاحية الخلق !

لماذا التعتّر العقائدي أحدث ثقوباً هائلة في حائط المبكى، وظهرت لحظة الجنون في السيدة أمريكا من أجل الدور الإمبراطوري لدولة قامت على لهات العرب؟!

المشكلة أن العبقريّة العربية هبطت وأصبحت بمستوى الركبتين، إنه الفيروس الغامض الذي حلّ بديلاً عن اللعبة المفخّخة. في أن يكون الحطام العربي

هو الذي استقرّ في التوراة !

يبدو أن العربي قد لجأ إلى تلك النصوص المجنّحة، لأنه لا يستطيع أن يقفز فوق هذه الحفرة «لكن» قلبه سيظل بعيداً ولن يستطيع التخلّي عن هزيمته اللامرئية ما دام يجلس مبتهجاً على كتفي انكساراته، ويضع حدّاً لكل الأشياء، بما فيها الصفة المثالية لخروجه من خاصرة الجغرافيا، والدخول في خاصرة التاريخ.. وينتظر قدوم صورة العربي الذي يرتجف.. وقد ترك نصفه الآخر في الجانب الآخر !

هل هو الهواء الذي تركناه وراءنا كي نرسم حدوداً مسبقة للصدمة؟ من الآن وصاعداً ستقتات حتى الكلاب الشاردة من لحمنا، والصدى لن يلحق الأذى بالهيكل، أو حتى البحث عن حجارة الهيكل !

في أمريكا، يتعاملون مع المستقبل بعيني الفضيحة ولا يعني إن كان العربي بعقله المرير، يستطيع أن ينام في غير الأزمنة الضائعة بنومها .

المجهول يتدحرج دون هواده باتجاه

العرب، والحائط الدموي يفصل بين العربي والعربي، وبين اليهودي والعربي، وأمريكا تتعامل عمودياً وأفقيّاً «معنا» كشرائح تجربة مشوّشة بدأت تأخذ شكلها النهائي. إن كان على صعيد الارتجاج البنيوي للشخصية العربية ممثّلة بحاكمها الذي هو «لا شيء» أو على صعيد ترابطه العضوي مع الوجدان الأمريكي _ المغلق على اتساعه _

صحيح أن ضوء القمر لم يعد ذلك الكائن الشاعري الذي تحوّل ضوءه إلى حجارة، وإن العواء في الصحراء له نكهة خاصة جداً لدى أولئك الذين يتقيّدون حرفياً بالنصوص، ولا يوجد أي ثقب ما في المستحيل.. ولكن؛ أخشى أن يكون ذلك الثقب الضائع، كما اليهودي الضائع ! لقد بدأ الظهور الهشّ للعربي الضعيف جداً، مقابل الظهور الهشّ لليهودي القوي جداً وبينهما الأمريكي بسوطه اللألاء، يسوق ما تبقى من القطيع العربي الداشر جداً، باتجاه ذلك النوع الآخر من «الكلام»!

كيف يصيح العذاب والتعذيب لدى العربي ضرورة إديولوجية؟ وكيف نرى الأجوبة تندلع من أجسادنا بأقوال ونظريات رعاة البقر.. ويتعاملون مع شعوبنا كقطعان البقر؟!

إذن أمريكا جاءت من أجل أن تجعلنا بشراً أسوياء، هذا بعد أن لاحظت العاهات الحضارية والثقافية، وتنتظرنا نحتّ الخطلّ باتجاه منطق التضامن، لنلاحق الأضواء_ أضواءنا اليهودية طبعاً_ وحينئذ نعرف أننا فقدنا رؤوسنا على الأقل !

العنكبوت الأمريكي يطبق على العالم، بدءاً من الهمبرغر إلى الروك أندرول، والكنتاكي وبناطيل الجينز والسيدة مادونا، إلى تحويل الشعوب كلّ الشعوب إلى شرائح تجربة بدلاً من القوارض، وقد نجحت في تذويب الخشبة الإديولوجية، واحترفت في كيفية تصنيع الآلهة. ونحن بالكاد نستطيع تصنيع الرغبة !

فإذا كنّا نشتكي من أن السماء توقفت عن إنتاج المعجزات لسبب أو لآخر، فأمریکا الآن هي التي تتولّى هذه المهمة، باعتبار ما تبقى من الكرة الأرضية «ليس» سوى أرصفة لبضاعتها !

أمام أمريكا، لم يعد العرب «كل العرب» سوى جنازات للريح، وها هو اليهودي الذي رأى في اليهودي كيف أعاد صياغة الأنبياء الجدد، وكيف أبدلوهم برعاة البقر !

لقد وضعنا الكابوي هكذا، بين استراتيجية اللهات، واستراتيجية اللامعنى. لذلك يقول اليهودي فيما بينه: لاحظ إن من أردنا ان نجعل منهم حطاماً يستيقظون .

ألم يكتب الأمريكي الصاحب نورمان ميلر: «نحن العراة الموتى»!

كلنا على قناعة أن موتنا لا يحتاج إلى تصفيق، والدليل أنه لا يستطيع أن يتسلّق التاريخ إلى مالا نهاية؛

الدم العربي أصبح الإديولوجيا، ولا بأس يسقط الأبرياء ما دام هذا يُظهر كم هي الذراع الأمريكية اليهودية طويلة، وإننا نريد فقط وقفة أو برهة مع الضمير نحن نشبه كلماتنا، ونرثي قتلانا كما لو أننا نسيّج المكان والزمان بهستيريا الدم الذي تمارسه أمريكا والدولة العبرية، وكيف ترعرعنا داخل النصوص التوراتية في جدلية فلسفية كي نصبح كائنات من القشّ اليابس !

كل ما أود قوله، إن الحاكم العربي يتسلّل بخطى وثيدة عبر الجثث، وبينه وبين الكارثة زلّة قدم يهددونا بها.. إمّا أن نكون بقايا حجارة في حائط المبكى، أو الخراب .

حماقة العرب الآن ضيف شرف على التاريخ، إلّا إذا أردنا أن نمتطي ظهر حماقة، أو هي تمتطي ظهورنا ونقول: إن أمريكا «هنا» من أجل أن يجعلوا منّا بشراً، واليهودي يزغرد «من جانبنا» يا أصحاب الأزمنة العرجاء !

من يصدّق أن الحاكم العربي لا يشبه طبق «الكنتاكي الساخن» وأن قامته تتمايل بخيلاء لافت أمام الذهب الرنان؛ وقيل الذهب المجنون يهطل علينا من كل حذب وصوب، ثم نصرخ ضدّ أهلنا ودماء أهلنا، ونهزج لرعاة البقر الذين يحملون التوراة الجديدة.. بل للقياصرة الذين ما برحوا منذ عقود وعقود، يمشون فوق عظامنا، ومصممون أن نكون ضيوف شرف على حماقة !

هل نحتاج إلى تلك الشهادة البعيدة لإضاءة أحوالنا، ولا تزال رؤوسنا تتدحرج من الماضي إلى الماضي الذي هو الحيز الفسيح بل الفضفاض، الذي تعمل فيه تلك الرؤوس؛ ونكثر الحديث عن البراغمية، والسوسيولوجيا، والنفعية، والعشوائية، والضياع، وكيف لنا إعادة ترتيب الجغرافيا ومعها التاريخ !

أمريكا تُظهر بقية العالم كما لو أنه مجمّع للهنود الحمر، فيما على بوابة الهيكل، يقف اليهودي ويقرأ في التوراة: لا يمكن أن يعيش أو يستمر العربي إلّا داخل المقبرة !

في بعض النقاشات. سمعت أصواتاً تدعي الثقافة، تطالب بإعادة الاعتبار للعقل العربي، لأن أي خطأ في الرهان يعني الانزلاق إلى الأبد.. إلى مستنقع النار .

أين هي إذن مواجهة التفاصيل، ونصف القلب العربي في حالة نزاع مع النصف الآخر، أعني هل نحن أمام لعبة الأفق، أم لعبة الثقوب؟

هل تفضل علينا أمريكا وتقول للعرب: ما هو مشروعها قبل أن تنفجر غرائزها وتؤكد أنها صاحبة الهيكل المقدّس وهي الوحيدة التي ترفع الإصبع الغليظة في كل ما يعنيه العربي بشقاء فلسفته، وإنه مخلوق بشري وله أبعاد !

أمريكا إذن، هي التي تمسك الكرة الأرضية كي لا تقع، وتضطلع بشكل فذّ في كل اللحظات الغامضة والكارثية.. ويا لبهاء الفلسفة العربية من المحيط إلى الخليج حين تتحدث عن العربي ومنتجاته الآتية من أزمنة ميتة .

وعبثاً نستطيع أن نعثر على مثل لنا، لأن الإديولوجيا التي وُلدت في بلادنا لم تنتج سوى حَمَلَة المناجل، ومصاصي الدماء وقبضة من الرمل تلعب فيها الرياح !

يا أمريكا

يا آ آ نعشنا الجميل

ملعقة صدئة

وقليل من الخيال

كي يستيقظ حكامنا

من لحظة الكارثة

إلى

لحظة الكارثة !!



استعادة

رموز السردية الثقافية الوطنية
في نشاطات أكاديمية دار الثقافة

نظمت أكاديمية دار الثقافة بالتعاون مع منتدى غسان كنفاني في (مخيم سبينة) ندوة أدبية وتفاعلية استحضارا لذكرى الشاعرين الراحلين محمود درويش وسميح القاسم، وذلك بتاريخ ٢٠٢٦/٨/٢٢، وبحضور نخبة من الأدباء والناشطين الثقافيين وممثلوا العمل النقابي والشعبي في المخيم، وبحضور أعضاء أكاديمية دار الثقافة بدمشق.

حيث استهلقت بقراءة سردية تاريخية ونقدية للكاتب والباحث أ. وليد محمد، لفت فيها إلى تجربة درويش المغامرة ارتباطا بالأرض والمنفى والهوية والحرية، بوصف هذه التجربة لاسم جاء من أعالي الشعرية الفلسطينية من أهم المستودعات الرمزية للذاكرة الفلسطينية الحديثة، كما لفت إلى تجربة الشاعر سميح القاسم في انفتاحها على فضاءات واسعة، كوسيلة للبقاء والصمود، والدفاع عن الهوية عبر الكلمة المقاومة.

بعد ذلك ألقى الشاعر زهير القاسم عددا من قصائده المتنوعة ما بين المحكي والفصيح مشيدا ببطولات شعبنا الفلسطيني وتمسكه بأرضه. وتلت الشابة ميرال القاسم نص (فكر بغيرك) لمحمود درويش في أداء لافت وحماسي.

واختتمت الفعالية الشاعر فتحي صالح بمجموعة من قصائده المتنوعة بأجناسها الأدبية، حاكي فيها ما يجري في الوطن معبرا عن بطولات وتضحيات شعبنا الفلسطيني في غزة وكل فلسطين.

وقد دارت مداخلات غنية في نهاية الندوة تمحورت حول عبقرية الفلسطيني وإبداع سيمفونية الهوية الوطنية لدى الشاعرين الراحلين. وضمن مشروعها لمناقشة قضايا الثقافة الفلسطينية والعربية من زوايا مختلفة ومغايرة ومن خلال أسماء حلقت في فضاء الأدب والفكر والفن نظمت أكاديمية دار الثقافة - سورية ندوة أدبية وثقافية تحت عنوان (ناجي

العلي في عيون عربية) وذلك يوم السبت ٢٠٢٦/٨/٢٩، في مقرها في مخيم اليرموك، وبحضور نخبة من الأدباء والمثقفين والمناضلين والمهتمين بالشأن الثقافي، تزامنا مع ذكرى استشهاده واحتفاء بناجي العلي في عيون الأدباء والإعلاميين والمثقفين العرب، بوصفه ضميرا عابرا للحدود والجغرافيات. حيث افتتح الزميل الروائي د. حسن حميد هذه الفعالية بالتأكيد على المعاني والدلالات البعيدة التي تنطوي عليها استعادة ناجي العلي. بعد ذلك أدار الزميل الناقد أحمد علي هلال الندوة وشارك فيها، بقراءة قصيدة للشاعر الراحل مظفر النواب بعنوان (مرثية لأنهار من الحبر الجميل) وعقب بعد اختياره مقاطع دالة من القصيدة بوصفها مرثية خالدة، بالإشارة إلى العلاقة القومية والثقافية بين الشاعر مظفر النواب والفنان الشهيد ناجي العلي، لافتا إلى التراسل الفني بينهما.

بعد ذلك تحدث الشاعر والباحث أ. محمود فرحان محمد عن السيرة الذاتية والإبداعية لناجي العلي، مازجا السرد باختيارات من قصائده ومشيرا إلى الأيام الأخيرة للشهيد. واختتمت الندوة بورقة الباحث والإعلامي أ. وليد محمد الذي استعاد أحاديث الصحافي العربي الكبير الراحل طلال سلمان رئيس تحرير جريدة السفير اللبنانية، وأشار أ. وليد إلى العلاقة الوثيقة التي ربطت بين ناجي وسلمان، واستعرض بفقرات ذات دلالة مقالة طلال سلمان مضيئا جوانبها الفكرية والنضالية والإنسانية.

وأعقبت الندوة مداخلات ثرية وتفاعلية أكدت على عبقرية ناجي العلي، والسير في نهجه المقاوم وضرورة الانفتاح أكثر على تجربة ناجي العلي الفنية، كما ضرورة أن تنهض المؤسسات الثقافية المعنية بأدوارها في إحياء الذاكرة الوطنية الفلسطينية عبر رموزها الخالدين في الذاكرة الجمعية والوعي الجمعي الفلسطيني والعربي.



سُلَيْمَانٌ مِّنْصُورٌ.. وَكَدِّاعًا

يا حارسَ صورة فلسطين



هَيْبَةُ الْقَائِدِ

مروان عبد العال

وكان يؤمن بأن القيادة لا تستمد شرعيتها من بقائها، بل من قدرتها على الإضافة؛ وأن التنظيم الذي لا ينتج أفكاراً جديدة وقيادات جديدة يتحول إلى بنية تحرس ما أنتجته بالأمس وتبقى القيادة حارسة للماضي فقط.

لذلك كان التجدد القيادي عنده جزءاً من حيوية التنظيم، فالتغيير وتداول المسؤولية والتدافع بين الأجيال ليست مجرد ترتيبات إدارية، بل شروط لإنتاج المستقبل، القيادة التي لا تفسح المجال لمن يأتي بعدها تتحول إلى سقف، أما القيادة الخلاقة فهي التي تترك وراءها جيلاً قادراً على الإضافة والتجاوز.

لذلك لا تبدو شهادة أبو علي خاتمة منفصلة عن سيرته، بل تحدي ثوري، يعاند السائد، يقارع المحتل، ذروة لمسار اتصلت فيه الكلمة بالفعل، والموقف بالتضحية، والتنظيم بالمبدئية، لم يكن الموت مشروعاً؛ كانت فلسطين مشروعاً، وحين جاءت الشهادة، كانت الامتحان الأخير لقيمة عاش بها: أن تكون القضية أكبر من الفرد، دون أن يصبح الفرد مجرد وقود لها.

لهذا يبقى أبو علي فينا، نموذجاً للقائد الذي جعل التنظيم أخلاقاً للفكرة، ومثالاً للوطنية، وحراسةً للمبدأ، والتجدد شرطاً للاستمرار، ترك لنا أكثر من صورة قائد وشهيد؛ ترك معياراً: أن يكون الإنسان غاية الجبهة، وفلسطين غاية المقاومة، وأن يبقى الطريق إلى الحرية مفتوحاً نحو المستقبل.



لم تكن صلابة القائد أبو علي مصطفى التنظيمية مجرد صفة في قائد، ولا مهارة في إدارة المراتب والهيكل والأزمات الحزبية، بل كانت جزءاً من تكوينه الفكري والأخلاقي، كان يعرف أن الفكرة، مهما نبّلت، تفقد قدرتها على الفعل إذا لم تجد تنظيمًا يحميها، وأن التنظيم، مهما اشتدت قوته، يفقد معناه إذا انفصل عن الفكرة التي وُجد من أجلها، لذلك لم يكن التنظيم عنده انضباطاً شكلياً، بل انضباطاً للذات والموقف والبوصلة.

وفي لحظات الأزمة تظهر حقيقة القادة، وكان أبو علي من الذين يزدادون وضوحاً كلما اشتد الضغط، يرى في الأزمة امتحاناً للمنهج، لا مبرراً للتخلي عنه، وفي الصعوبة اختباراً للمبدئية، لا ذريعة لتخفيفها، يمتلك هيبة قيادية صارمة يعرفها كل من عمل معه؛ هيبة لم يصنعها المنصب أو الخوف من العقوبة، بل صرامته في المعيار واستقامته في الموقف، كان من يرتكب خطأ يخشى أبو علي، لا لأنه يخشى شخصه، بل لأنه يعرف أنه لن يستطيع الاحتماء بالتبرير أو الموقع أو العلاقة، كان يضع المبدأ قبل الأشخاص، والمصلحة الوطنية قبل الاعتبارات الخاصة، ويسمي الخطأ باسمه.

لم تكن صرامته قسوة، ولا انضباطه طاعةً عمياء، بل طاعةً واعية تنبع من الاقتناع والمسؤولية، كان يرى أن التنظيم يضاعف القوة، وأن الانضباط يحمي المشروع من التبعض، لكنه لم يجعل القوة غايةً في ذاتها، فالتنظيم وسيلة، والانضباط وسيلة، ووحدة القرار وسيلة؛ أما الغاية فهي الإنسان، والرفيق، والحزبي الملتزم، والوطن الذي من أجله تُبذل التضحيات، وحين تنقلب الوسائل على غاياتها تبدأ الثورة بفقدان معناها؛ يتحول التنظيم من حام للفكرة إلى كيان منفلق على ذاته، ويصبح الحفاظ على التنظيم غايةً تتقدم على الغاية التي وُجد من أجلها: الوطن والإنسان.

هنا تكمن قيمة أبو علي كنموذج قيادي، لم يجعل التنظيم بديلاً عن المبدئية، ولم يجعل الديمقراطية عذراً للفوضى، جمع بين الصرامة ومرونة التفكير، وبين المركزية والديمقراطية، آمن بالروح الجماعية والإرادة الفولاذية، في وضوح الموقف والقدرة على قراءة الواقع،